

مقدمة

مقدمة

لقد إستطاع الإنسان إدراك العديد من الحقائق حول أعضاء جسمه المتعددة وفهم الوظائف والعمليات التي تؤديها، غير أن معرفتنا وإدراكنا لأهم عضو في الجسم وهو الدماغ ما زال دون معرفتنا لأعضاء الجسم الأخرى بكثير، بالرغم من أن الإنسان قد تساءل وأولى إهتمامه للعقل قبل الجسم بزمن طويل إلا أنه فشل في إثبات ما يسمى بالعقل، مما ترك الأمور العقلية محصورة في مجال التأمل الفلسفي والديني، غير أن هذا الواقع قد تغير خلال القرنين الأخيرين، وخاصة خلال هذا القرن الذي نشط فيه الإهتمام بالبحث عن الظواهر العقلية سواءا كانت فكرية أو عاطفية أو سلوكية، بطرق علمية ومختبرية، ونتيجة هذا البحث، فقد تجمعت حتى الآن بيانات علمية عديدة ألقت الضوء على الكثير من الظواهر المكونة للحياة العقلية للإنسان وأعانت على فهمها، ومن بين أهم هذه الظواهر العقلية هناك ظاهرتي النوم والأحلام واللتان تعتبران من أقدم الظواهر المرتبطة بالحياة الإنسانية وحتى الحيوانية ، فالواحد منا يقضي ثلث حياته في النوم باعتبار أن الإنسان العادي يقضي ثلث يومه في النوم، وأن الإنسان الذي يبلغ مثلا من العمر ستين سنة، يكون قد قضى عشرين منها في النوم، كما أن الواحد منا يقضي ربع نومه في كل ليلة وهو يحلم، وبأن ذلك يحدث على فترات منتظمة تتكرر كل 90 دقيقة في أثناء النوم.

إن تلازم هاتين الظاهرتين عند الإنسان تفرض حدوث الأولى لكي تكون الثانية، فالنوم أمر طبيعي نشأ قبل نشوء ظاهرة الأحلام، ومع أنّ النوم سبق الأحلام من خلال الوجود ، إلاّ أن الإنسان لم يلتفت كثيرا في الماضي وحتى في الحاضر إلى ظاهرة النوم مقارنة بالظواهر الأخرى، كالأحلام ولعله اعتبرها من المسلّمات الطبيعية التي لا تتطلب التفسير أو التأويل، ووجه نظره إليها فقط في تلك الحالات التي امتنع فيها عن النوم.

أما ظاهرة الأحلام، فهناك من البيانات التاريخية ما يؤّكد على أنها استحوذت على اهتمام وتفكير الإنسان وأشغلته بمحاولات التفسير والتأويل، وبأنها كانت ذات أثر كبير في توجيه سلوكاته وحياته النفسية ومسيرته الحياتية.

ومن العصور الأولى كان سرد وتصنيف وتفسير الأحلام ذو أهمية كبيرة للبشرية، من خلال كتابات الأوائل ك : "لُجون لوبوك وهيربرت و إدوارد، وتايلر" وغيرهم، الذين اعتبروا الحلم كإلهام من الله وميزوا بين الأحلام الحقيقية والتي تتضمن تنبؤات بأحداث المستقبل من ناحية، والأحلام الفارغة التي كان الهدف منها تضليل الشخص ودفعه إلى الدمار.

وأخذت الأحلام معانٍ متنوعة لدى الأفراد والشعوب المختلفة، فتارة كانت عبارة عن تجليات دينية أو تنبؤات شخصية، وتارة كانت عبارة عن شياطين خطيرة، كما اعتبرت رموز جنسية وأوهاما خيالية، وكثيرا ما ساهمت في معجزات طبية واستعملت كوسائل علاجية أو إنجازات خفية وعناصر حافزة للإبداع، وبالنسبة للبعض الآخر لم تعدو الأحلام أن تكون أكثر من هراء لا معنى له سواء من الناحية العصبية أو العقلية، كما يراها آخرون أفلام حرة [1].

ولكن في كل هذه الآراء هناك فكرة راسخة لدى كل الاتجاهات وهي أن الأحلام ذات أهمية وتنطوي على معنى ، إذا ما حاولنا فهمها وترجمتها، خاصة وأنه هناك الكثير من الأحلام التي تجعلنا نستغرق في الضيق والقلق، وكثيرا ما تكون ليالينا حافلة لأنواع من الكوابيس ، حيث يستيقظ المرء ومِلْؤه الامتنان لتلك اليقظة التي خلصته من شر ما كان يراه ويخاطب نفسه قائلا "ما هو إلا حلم".

أو يعيش المرء حلما فيه لذة أثناء النوم واليقظة ويتمنى حينها لو لم يستيقظ من نومه لمتعة حلمه.

هذه الاتجاهات المختلفة نحو الأحلام والانطباعات السائدة عنها، كانت موجودة منذ القدم ، وقد فكرت فيها مختلف الشعوب وحاولت فهمها وتأويلها حسب ما وفرته لها بيئتها الإجتماعية والطبيعية والثقافية وتبعا للحقبة التاريخية التي عاشت فيها.

وجاء أرسطو وأصبح الحلم موضوع بحث سيكولوجي يعتمد على قوانين النفس البشرية، وقد توالى بعد ذلك ظهور التحليل النفسي بالمعنى العلمي، وكانت أولى

[1] – Sharon Pacher "dreams in myth, medicine and movies", London Westport, Connecticut , 2002 , p4.

الملاحظات المسجلة ذات قيمة علمية للعالم "سيغموند فرويد" الذي اهتم في عملية التحليل النفسي بتحليل الأحلام كوسيلة للوصول إلى أعماق اللاشعور والكشف عن أسراره، وبذلك يتمكن من تحليل الشخصية ومعرفتها عن طريق الحلم، ولكن قوبل عمله هذا بمجموعة من ردود الأفعال ،كانت أهمها آراء تلامذته الذين انفصلوا عنه وكوّنوا مدارس خاصة في التحليل النفسي بآراء مخالفة عن تفسيره.

وبينما اهتم علماء النفس بصفة عامة بالجانب النفسي ودوره في ظهور وتفسير الأحلام، اهتم الأنثروبولوجيين بدراسة الأحلام في كونها ترمز لثقافة الحالم من ناحية وأنها ذات وظائف إجتماعية وثقافية في المجتمع قيد الدراسة [1].

ونحن في هذه الدراسة ، سوف نحاول أن نجمع بين هذين الاتجاهين في تفسير هذه الظاهرة في مجتمع البحث، بحيث سوف نقوم بتحليل هذه الظاهرة تحليلا نفسيا ونربطها بمختلف العوامل الإجتماعية والثقافية والبيئة للفرد.

2-**الإشكالية**:

تلعب الأحلام دورا مهما في حياتنا اليومية، وهي لا تختلف عما نقوم به أو نفعله يوميا في حياتنا العادية، وتعتبر تكملة للجهد الذي نبذله من أجل تحقيق الغاية التي نريد الوصول إليها.

فإذا اعتبرنا الأحلام خبرة فردية يعيشها الإنسان أثناء النوم ومضمونها يختلف باختلاف الأفراد أنفسهم، وباختلاف بيئتهم الطبيعية والإجتماعية والثقافية، وإذا اعتبرنا أن الحلم في جوهره هو عبارة عن حالة خاصة من النشاط النفسي، فما هي وظيفته الإجتماعية والثقافية و الدينية ؟

3- **الفرضيات**:

من أجل مناقشة هذه الإشكالية فإننا نفترض أن الأحلام تتضمن بشكل أو آخر الصيغ الثقافية لأفراد المجتمع في تفاعلها مع العوامل النفسية، وهي بذلك تعكس الآمال

[1]– وصفي عاطف، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1981، ص187.

والآلام والمخاوف والإنفعالات ومختلف الإنطباعات والمعتقدات الدينية، كما أنها انعكاس لأسلوب معيشة الأفراد وأنماط تفكيرهم وعلاقاتهم الإجتماعية وأدوارهم المهنية ومراتبهم العمرية وفروقهم الجنسية وتجاربهم الحياتية.

إن هذه الافتراضات التي ذكرناها في بداية بحثنا هي عبارة عن إجابات مؤقتة، بحيث أن الغوص في الموضوع ومعايشة مجتمع البحث، والإلمام بهذه الظاهرة عند مختلف مستويات العينة المدروسة يجعلنا إما نثبتها أو نبطلها.

4- أسباب اختيار الموضوع:

إذا كان لكل باحث أسباب تدفعه إلى إختيار موضوع ما وإلقاء الضوء عليه ، فإنه من دواعي اختياري لهذا الموضوع جملة من الأسباب أحصرها فيما يلي:

أ-الأسباب الذاتية:

* دراساتي الجامعية وتخصصي في علمي "علم النفس وعلم الأنثروبولوجيا وما يوليانه من أهمية بالغة لهذه الظاهرة، حيث أنهما يفتحان آفاقا كبيرة في تناول هذه الظاهرة الإنسانية عن طريق تحديد مختلف الوظائف النفسية والإجتماعية والدينية للأحلام.

* إهتماماتي السابقة في مجال البحث في هذا الموضوع والتي كانت تجمع بين أبحاث علمية من جهة وبين البيئة التي نشأت فيها من جهة أخرى حيث أن جدي كان رجل معروف بتفسير الأحلام وتأويلها، وكان يقصده في ذلك العديد من الناس، هذا المشهد كثيرا ما خلق عندي تساؤلات حول الموضوع، وعن كيفية وطريقة فك رموز الأحلام.

ب-الأسباب الموضوعية:

* إن اختيارنا لموضوع ظاهرة الأحلام كظاهرة نفسية لها علاقة بمختلف المتغيرات الإجتماعية والثقافية، لم يأتي تعبيرا عن اعتقادي بسهولة فتح هذا الباب للإطلال عن ما يجول في أعماق نفسية الإنسان وعقله، خاصة مع قلة الدراسات حوله في الجزائر، وإنما

يعود للتدليل إلى أن أقدم الفعّاليات العقلية والظواهر النفسية المرتبطة بحياة الإنسان مازالت حتى الآن عصية على الفهم والتفسير خاصة إذا ارتبطت بثقافات مختلفة تحركها.

* وكما بدا لي فإن البحث في مجال الأحلام يعتبر ضرورة ثقافية تدفعنا إلى طرح تساؤلات عدة تجعلنا نتأمل أسرار هذا المخلوق العجيب.

* هذا ويبقى هدفنا الأسمى إثراء الجانب العلمي بهذا البحث المتواضع وتقديم مرجعية حول الموضوع ، خاصة وأنه من الأبحاث الأنثروبولوجية النفسية الجديدة بالاهتمام.

5- **المنهج المتبع وطرق جمع المادة العلمية**:

إعتمدت الدراسة على المنهج الأنتروبولوجي النفسي ، و الذي يستدعي منا إستحضار مجموعة من الادوات المنهجية من أجل المقابلة و تسجيل وجمع البيانات المتعلقة بالأحلام، في علاقتها بمختلف المظاهر الثقافية المشكلة لأفراد المجتمع ،والمظاهر النفسية والإجتماعية والدينية.

ولتنظيم أسلوب وطريقة البحث وجمع المعلومات الخاصة بالأحلام ، و تصنيفها وتفسيرها اعتمدنا على مجموعة من التقنيات الأساسية وهي :

1- **الملاحظة**: والتي كانت تشمل ملاحظة سلوكات الأفراد ومختلف إنفعالاتهم أثناء رؤيتهم للحلم أو محاولة تحليله وربطه بمختلف الظروف المحيطة ، كما إستعنا **بالملاحظة بالمشاركة** ، والتي كانت أثناء مقابلتنا بالمفسرين الشعبيين المعتمد عليهم في هذا البحث، وكان الهدف من ذلك هو الربط بين محتوى أحلام الأفراد وتفسيرات المؤولين الشعبيين، والذين إعتمدوا على الباحثة في تزويدهم بمختلف الظروف المحيطة بأصحاب الأحلام والمعلومات اللازمة لتسهيل عملية التفسير.

2- **المقابلة**: والتي تعتبر من بين أكثر الوسائل المستخدمة في جمع البيانات في العلوم الإنسانية ، نظرا لميزاتها المتعددة ومرونتها ولتنظيم طريقة المقابلة حسب متطلبات البحث الميداني، فقد تم الاعتماد على المقابلة الموجهة بهدف تحديد النواحي التي يتم فيها جمع البيانات التي تهم الباحثة، وعلى إثر ذلك فقد قسمناها إلى:

أ- **القسم الأول** من هذه المقابلة خصصناه لجمع مادة الأحلام، وفيه تناولنا مجموعة من المحاور وهي:

* معلومات عامة حول صاحب الحلم.
* أسئلة حول محتوى الحلم.
* أسئلة حول معنى الحلم عند صاحبه.
* أسئلة حول الظروف المحيطة بالحالم وحلمه.

ب- أمّا **القسم الثاني** من هذه المقابلة، فقد خصصناه لفئة المفسرين الشعبيين الذين يتميزون بخبرة في ميدان تأويل وتفسير الأحلام وكانوا من مناطق مختلفة من مجتمع البحث وقد كانت المقابلة معهم وفق الدليل التالي:

* معلومات شخصية عن المفسر.
* أسئلة حول معنى الأحلام ومضمونها.
* أسئلة حول أنواع الأحلام وتقسيماتها.
* أسئلة حول طريقة تفسير الأحلام وتأويلها.
* أسئلة حول شروط الحلم حين يكون قابل للتفسير وشروط المفسرين في حد ذاتهم.

و قد جاء **القسم الثالث** من هذه المقابلة خاص بحالات معينة من المجتمع كالمتصوفة وبعض أساتذة التعليم العالي وطلبة جامعيين ، وبعض الحالات التي تعاني من إضطرابات نفسية أو عقلية، و أخرى تعاني من مشاكل إجتماعية أو أسرية كالطلاق....

وكان الهدف من هذه المقابلة هو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الحلم ومعناه عند مختلف الفئات ، وكذا دراسة العلاقة الكامنة بين الإضطرابات النفسية والإجتماعية في علاقتها بمحتوى الأحلام.

د- أمّا **القسم الرابع** من هذه المقابلة فقد خصصته لفئة المسنين والتي كانت عبارة عن دراسة مقارنة بين محتوى أحلام مسنين بمراكز الرعاية، ومحتوى أحلام مسنين ذوي أسر

طبيعية ، والهدف من هذه الدراسة كان حول محاولة معرفة هل البيئة التي يعيش فيها المسن تؤثر على محتوى أحلامه وعلى بنائه الشخصي والنفسي.

أما الأداة الثالثة من أدوات البحث العلمي فهي:

3- **الاستمارة:** والتي تم الاعتماد عليها في جمع الحقائق الخاصة بهذه الظاهرة وتسجيلها وجمعها في صورة قياسية ، وتلخيصها بطريقة يسهل بها معرفة أراء واتجاهات الأشخاص تجاه هذه الظاهرة، وقد تم تقسيم هذه الاستمارة وتوجيهها إلى ثلاث فئات من المجتمع وهي:

* **الاستمارة الأولى** : خاصة بثقافة الحلم في الوسط الجامعي ، حيث قسمت هذه الاستمارة على طلبة قسم علم النفس وقسم علوم الشريعة الإسلامية وقد تضمنت مجموعة من المحاور وهي:

* بيانات عامة.

* معلومات حول فائدة ودور الأحلام في الوسط الجامعي.

*معلومات حول طرق تفسير الأحلام في الوسط الجامعي.

***أما الاستمارة الثانية** : فقد كانت مخصصة للأسرة ووُزعت بين أسر في المدينة وأخرى في الريف، وتضمنت مجموعة من المحاور وهي:

* ثقافة الحلم في الأسرة.

* دور الحلم في الأسرة.

* محتوى الحلم في الأسرة.

* تنبؤات الأحلام في الأسرة.

وجاءت الاستمارة الثالثة: مخصصة لفئة العمال حيث شملت مختلف القطاعات المهنية وقد تناولنا فيها:

* بيانات عامة.

* ثقافة الحلم في الوسط المهني.

* محتوى الأحلام في الأوساط المهنية.

* علاقة الحلم بالمهنة.

4- **دراسة حالة:**

قمنا أثناء تحليلنا لبعض المعطيات النظرية بإدراج تقنية دراسة حالات من الأحلام والتي كانت تخص نوع الكوابيس أو أحلام الرعب وغيرها، وقمنا بهذه الدراسة وفق خطوات وهي:

* التعريف بالحالة.

* ذكر حلمها وتفسيرها له.

* استخراج الرموز المتواجدة في الحلم وتفسير ها وفق التحليلي النفسي.

* تحليل الحلم وفق الحالة والتفسير العلمي والظروف المحيطة.

* دراسة أبعاده النفسية والإجتماعية والثقافية.

5- **وسيلة التسجيل الصوتي:**

حيث تم الاستعانة بجهاز التسجيل الصوتي لتسجيل مادة الأحلام بنفس اللهجة التي ذكرت بها ، وتسجيل تفاسير المؤولين الشعبيين للأحلام التي دكرت وآرائهم في الحلم وشروط التفسير والمفسرين، وهي وسيلة هامة جعلت الباحثة تجمع أكبر قدر من المعلومات من مجتمع البحث والمحافظة على معانيها.

6- **الدراسات السابقة:**

توضح المراجع المعتمد عليها العديد من الدراسات السابقة لموضوع الأحلام حيث قامت هذه الدراسات بمعالجة ظاهرة الأحلام من مختلف النواحي ، فمنها دراسات دينية والتي عالجت هذه الظاهرة من الجانب الديني ونذكر مثلا ابن سرين، أحد رواة الحديث بالبصرة، وكان حجة في تعبير الرؤيا وله فيها كتاب (كتاب تفسير الأحلام)، وعبد الغني

النابلسي الذي عرف بالاجتهاد في العلم والذي أخذ الكثير عن بن سيرين وأضاف إليه جهده الذاتي وله كتاب "تعطير الأنام في تعبير المنام"، وكتابه "العبير في التعبير في تفسير الأحلام"، و"تفسير ابن كثير" لأبي الدفا إسماعيل، و"صحيح البخاري "لمحمد منير الدمشقي وابن قيم الجوزية الذي كتب في الأحلام مقرا قيمتها ومكانتها في سلوكية الفرد اليومية، وابن خلدون في موضوع الأحلام والرؤيا طبقا للمنظور الإسلامي.

كما هناك عدد كبير من الدراسات الغربية القديمة والحديثة حول ظاهرة الحلم وكيفية حدوثها وطرق تفسيرها، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر: "تفسير الأحلام" لسغموند فرويد، وكتابه "الحلم وتأويله" ، كما تطرق كارل يونغ في كتابه "علم النفس التحليلي" إلى موضوع الأحلام وتحليلها، و قام العالم إريك فروم من خلال كتابه" اللغة المنسية "إلى دراسة وفهم الأحلام وتحليلها معتمدا في ذلك على منهج التحليل النفسي.

كما قام الدكتور عبد العلي الجسماني في دراسة حديثة بترجمة كتاب حول "الأحلام وقواها الخفية" للمؤلفة آن فرادي، والتي تناولت هذه الظاهرة من عدة جوانب مهمة كالخرافات الشائعة حول الأحلام ، ومقاصد هذه الظاهرة ومنحنيات تفسيرها، كما قام الدكتور سيد الحديدي بدراسة الأحلام في كتاب أسماه "باختصار عن الأحلام "والذي أشار من خلاله إلى كيفية نشاط المخ أثناء النوم وكيف تظهر الأحلام ، وعلاقة هذه الأخيرة ببعض الوظائف الأخرى كالتعلم والذاكرة، كما ذكر السيكولوجية العصبية الحديثة للأحلام.

وقامت الدكتورة نهاد خياطة بترجمة كتاب للعالم النفسي كارل غاستون يانغ المسمى "علم النفس التحليلي" والتي أشارت ومن خلاله إلى الظواهر الخارقة لتواصل والاستمرارية عن طريق تحليل الأحلام في التطبيق العملي .

هدا و قد ظهرت حديثا دراسات متنوعة لظاهرة الأحلام من طرف بعض الباحثين نذكر منهم مثلا: "الرؤى والأحلام في الفلسفة والعلوم والأديان" للدكتور سامي أحمد الموصلي، وكتاب" التحليل النفسي للأحلام" للدكتور عبد المنعم الحنفي، وكتاب "الأحلام والكوابيس" لعبد الحكيم العفيفي وكتاب" الشخصية والحلم" ليوسف أو الحجاج وكتاب

"الحلم تجربة نفسية خاصة" للدكتورة نادية شرادي و كتاب المؤلف يحي مرسي عيد بدر حول" دور الثقافة في الاحلام"،...وغيرها من الدراسات القيمة التي عالجت هذا الموضوع من إحدى نواحيه المتشعبة.

أما الدراسات الغربية فكانت متنوعة مثل مثيلتها بالعربية أو المترجمة ونذكر مثلا:
Freud (s): L'interprétation des rêves, Rallo Romero, "Les rêves comme unité et continuité de la vie psychique", Nerys Dee "your dreams and what they mean", Caro Ness, "Secrets of dreams, Ford Ham "introduction à la psychologie de Jung".

7- **خطة البحث**:

حاولت الباحثة دراسة جوانب متعددة للحلم في علاقتها ببعض الظروف النفسية والإجتماعية والمهنية...للحالم، وذلك بهدف معرفة ما لهذه الأخيرة (أي العوامل والظروف المختلفة) من أثر على تغيير شكل ومحتوى الأحلام.

وقد استندنا في ذلك إلى منهجية علمية في تحديد موضوع بحثنا والذي وسمناه ب"مكانة الحلم في منظومة الظواهر النفسية.."، وفي هذا الإطار فإننا قد بدأنا عملنا هذا **بمدخل** تمهيدي، وهو عبارة عن فصل أقرب منه لتأصيل المفاهيم المستخدمة لهذا المصطلح عبر تخصصات علمية ورؤى مختلفة لهذا العلم – علم الأحلام –.

ثم جاء **الفصل الأول** لمعالجة الأحلام من الناحية النفسية التحليلية حيث ذكرنا متى وكيف تحدث هذه الظاهرة ؟ وأهم خصائصها ومنبهاتها ومصادرها، كما تم ذكر ما لهذه الظاهرة من علاقة بحياة اليقظة واللاشعور.

أمّا **الفصل الثاني** فقد تم التركيز فيه على نوع خاص من الأحلام وهي الكوابيس أو الأحلام المزعجة، حيث تم علاجها من حيث سبب ظهورها وأسباب تكرارها عند البالغين والأطفال وكذا دراسة العلاقة بينها وبين مختلف الإضطرابات النفسية والاجتماعية وفي آخر هذا الفصل تم الحديث عن كيفية التخلص منها وعلاجها والتطرق لتحليل أحلام من نوع الكوابيس.

وجاء **الفصل الثالث**: لدراسة علاقة الأحلام ببعض الأمراض و الحالات النفسية، وفيه تم تناول علاقة الحلم بالأمراض الجسمية وبعض الأمراض العقلية والأمراض النفسية، ثم تم الإشارة إلى الوظيفة العلاجية للأحلام، وتناولنا في العنصر الأخير الأحلام كواسطة للبحث عن القوى الخارقة ، وقد رأينا أن تكون الفصول المتبقية ميدانية أي الفصل الرابع الخامس و السادس. **فالفصل الرابع** جاء فيه التفسير الشعبي للأحلام حيث قمنا باختيار مجموعة من المفسرين لتوضيح معنى هذه الظاهرة وأقسامها وطرق تفسيرها ، وشروط المفسرين والتفسير وكان ذلك وفق مجتمع البحث.

أمّا الفصل الخامس فقد تناولنا فيه الوظيفة الإجتماعية والثقافية للحلم ،حيث قمنا بتوزيع الاستمارات و جمعها و تفريغها و تحليلها . وجاء **الفصل السادس** لدراسة الوظيفة النفسية والدينية للحلم وفيه تناولنا وظيفته في مجال العبادة، وكذا محتوى الأحلام عند الشيخوخة وعند بعض الإضطرابات النفسية، كما خصصنا جزء لدراسة الأحلام عند الطلاب الجامعيين المتفوقين وجزء آخر للطلاب الجامعيين الذي يعانون من إضطرابات نفسية ، وحالات من النساء المطلقات و محتوى احلام رجال يعانون من الاكتئاب.

وكل هذه الدراسة الميدانية تمت بمنطقة البحث تلمسان" في الفترة الممتدة من سنة 2009 الى سنة 2012 .

وفي نهاية هذه الفصول إرتأينا أن نذكر النتائج العامة لهذا العمل وأهم النقاط التي تم التوّصل إليها، وختمنا بحثنا هذا بخاتمة ومجموعة من التوصيات التي يمكن أن تكون عناوين وميادين اهتمام باحثين في هذا المجال.

ولا شك أننا قد حاولنا الإجتهاد والسعي لتقديم معالجة علمية لهذا الموضوع الهام ونسأل الله أن نكون قد وفقنا ولو بقدر محدود في تحقيق ما سعينا إليه، والله ولي التوفيق، فإن حققنا ذلك فبعون من الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

الطالبة: جميلة ملوكي

جوان 2012



مدخل:
ما هو الحلم ؟

مدخل: ما هو الحلم؟

تمهيد

أولا : التعريف اللغوي للحلم.

ثانيا :التعريف الإصطلاحي للحلم .

1 - الحلم عند القدماء ومختلف الحضارات القديمة.

2 - الأحلام والفكر الفلسفي اليوناني.

3 - الأحلام عند علماء الدين.

أ- نظرة الدين اليهودي والمسيحي للأحلام.

ب- نظرة الإسلام للأحلام.

4 - الأحلام عند علماء النفس.

5 – الأحلام عند علماء الاجتماع.

6 - الأحلام عند علماء الأنثروبولوجيا.

تمهيد :

تتعدد الآراء بقدر ما تتنوع: رسائل من الآلهة، آثار هضم عسير، رؤى مستقبلية، صور غير مترابطة مأخوذة من الحياة اليومية ومشوهة بلا أي معنى، إنعكاسات تخيلية تنتج عن الضجيج...

فقد وُجد على الدوام فن تفسير و فهم معنى الأحلام، وأُعتبر في بعض الأحيان، نتيجة لإحدى قدرات الإنسان الأكثر رفعة ، وقد كرس الكثيرون أنفسهم لدراسة الظواهر الحلمية: منهم العرافون في القرن الثاني قبل الميلاد، ومنهم العلماء والباطنيون والكهنة وأيضا الأطباء والفلاسفة وعلماء الدين وعلماء النفس والإجتماع والأنثروبولوجيا ... ولم يمر أي فكر عميق مرور الكرام حول هذا الموضوع، في حين لم يكف العامة يوما عن الإعتقاد بأن ثمة رسائل تنقل إلى الإنسان على هذا النحو.

ورغم هذه الجهود مازلنا نجهل ما هو الحلم، إننا نعرف صفاته وفعاليته وكذلك صوره النموذجية وعمله ومع ذلك لم يستطع إنسان قط أن يعرف على نحو صحيح هذا النسيج المدهش المصنوع من الذكريات الشخصية ومن أقدم الرموز ومن تماوج الصور المليئة بالتناقضات الظاهرية والجماليات المدهشة وقد يتجاوز سؤالنا- ما هو الحلم - معطيات عصرنا ونتساءل عن ما الذي يتضمنه الحلم ؟ وما معناه ؟ والحق أنّه ليس ثمة سؤال أكثر إثارة من "ما معنى حلمي؟ ".

إذن لابد من جهد لفهم لغة الحلم وفهم صوره ورموزه التعبيرية التي قد تنبع من العصور القديمة، ومن مشاهد تاريخية تنتمي في بعض الأحيان إلى عصور غابرة وأعادت توليد ذاتها في العصر الحالي.

ولمناقشة هذا الموضوع "موضوع ما هو الحلم" ارتأينا أن نتفحص مختلف الثقافات في نضرتها لهذه الظاهرة والتي بدأناها بالتعريف اللغوي للحلم ، ثم انتقلنا لدراسة هذه الظاهرة عند القدماء ومختلف الحضارات ، لننتهي بعرض مختلف أراء العلماء حول موضوع الأحلام بدءًا برجال الدين إلى علماء النفس والإجتماع ثم أخيرا علماء الأنثروبولوجيا.

أولا : التعريف اللغوي للحلم:

حَلَمَ يَحْلُمُ حُلْمًا وحُلُمًا: "رأى في نومه رؤياه. يقال حلم الصبي حلما بمعنى تأنى وسكن عند غضب أو مكروه فكان عاقلا رزينا خلاف سفه.

حلم الرجل حلما: أدرك وبلغ مبلغ الرجال.

والحالم: دال على الاستسلام لأحلام اليقظة.

والأحلام جمع حلم ، وهو ما يراه النائم في نومه من أعراض نفسية تحدث في أثناء النوم وتتمثل للنائم في شكل رموز وصور متتابعة من دون اتّساق يقال رأى في الحلم حلما جميلا، حلم مزعج ..." [1].

إن الملاحظ على هذه التعريفات أنها إشتملت مضامين نفسية والمتمثلة في أنّ الحلم عبارة عن رموز وصور ناتجة عن أعراض نفسية، وهذا ما يجعل التعريف يحمل صبغة ذات صفة موضوعية أو ذاتية.

كما يستعمل كأداة للتشبيه في الواقع ويحمل دلالات مختلفة:

يقال: "ما الحياة إلا حلم ← فكرة منطوية على شيء من الوهم.

طوى الدهر أحلامي ← ما لا يمكن تحقيقه.

أضغاث الأحلام ← ما كان مختلطا من الخيال ملتبسا يصعب تأويله.

حلم يقظة ← الاسترسال في الخيال وبلا غاية.

بلد أحلامي ← بلد خيالي يجد فيه المرء كل شيء بوفرة وتكون الحياة سهلة سعيدة فيه"[2].

فقد تضمنت هذه الأمثلة صورا متعددة لمعنى الأحلام ، بحيث تعدت الصور الدهنية التي يراها الفرد أثناء نومه ، ودخلت الواقع والحياة العامة بحيث أصبح الحلم هنا يصوّر كلّ فكرة وهمية لا يمكن تحقيقها ، تنبعث من الخيال سواء اشتملت على صور سارة أو مؤلمة، أو أفعال من الواقع يعجز المرء عن بلوغها.

أما **ابن منظور** فالحلم عنده هو: " الرؤيا والجمع أحلام".

---

(1) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 2001، ص 321.

(2) نفس المصدر، ص 322.

والرؤيا والحلم عبارة عن ما يراه النائم في نومه من أشياء، ولكن غلبت الرؤيا عما يراه من خير وغلب الحلم على ما يراه من شرّ، ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر.

وحلم بالضم يحلم حلما بمعنى صار حليما.

وحلم بالفتح بمعنى رأى وتحلم إدعى الرؤيا كذبا أو الكاذب في منامه.

قيل: قد صح الخبر أن الرؤيا الصادقة جزء من النبوة، والنبوة لا تكون إلا وحيا، والكاذب في رؤياه يدعي أن الله تعالى أراه ما لم يره، وأعطاه جزء من النبوة ولم يعطه إياه، والكاذب على الله أعظم فرية ممن كذب على الخلق أو على نفسه"[1].

إن تعريف ابن منظور للحلم لغويا تضمن المرجعية الدينية والمتمثلة في اعتبار الحلم نوعا من الرؤيا. فإذا اشتملت على ما هو خير فهي رؤيا، وإذا اشتملت على شرّ فتعتبر حلما، كما أُعتبر الحلم الصادق أو الرؤيا الصادقة جزءا من النبوة.

والملاحظ هنا أن التعريف الإصطلاحي للحلم غلبت عليه القيمة المعيارية بل نجده تقريبا إعادة للحديثين النبويين ولأحكام الكذب في الأحلام أو حكم من ادعى رؤية شيء لم يره ، فقد ثبت في الحديثين قول النبي عليه الصلاة و السلام " رؤيا المؤمن جزء من ستة و أربعين جزء من النبوة ." [2] و قوله "...وإن أعظم الفرية أن يفتري الرجل على عينيه، يقول: رأيت ولم ير شيئا"[3] . وبالتالي ينقص تعريف المصطلح لغويا الصبغة العلمية أو الصفة الموضوعية.

---

[1] ابن منظور :لسان العرب، المجلد الثاني عشر، دار حادر للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة السادسة، سنة 1997، ص 145 (مادة حلم).

[2] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري دار الحديث، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1998 ص455

[3] عبد الغني النابلسي : تعطير الانام في تعبير المنام ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت ،لبنان ، سنة 2005 ص 7

ثانيا: التعريف الاصطلاحي للحلم :

1- الحلم عند القدماء ومختلف الحضارات القديمة:

يتميز الفرد البدائي بسذاجته في التفكير، فهو يرى الظواهر الغريبة محيطة به من كل جانب ويحاول تحليلها بما يلائم مفاهيمه البسيطة، ومما أثار دهشة الفرد البدائي لغز الأحلام، ولعلّه سأل نفسه أحيانا ،كيف له أن يرى في منامه أمورا ليست موجودة بالقرب منه، وربما دفعه ذلك الاعتقاد أن الأحلام تنشأ عن تدخل الآلهة أو الشياطين، وفي نظره الآلهة والشياطين وحدها تستطيع فعل ذلك.

وصار البدائيون يعتقدون بأن الأحلام لها وظيفة كبرى إذ تكشف لهم عما تخفي عنهم الأيام من مكنون الغيب.

"ويقال أن الفرد في بعض القبائل البدائية لا يجد فرقا بين أفعاله الواقعية التي يقوم بها أثناء اليقظة، وأفعاله التي يحلم بها أثناء النوم، فإذا رأى في منامه شخصا يهدده أو يعتدي عليه، أيقن أن الشخص يفعل ذلك حقا، وهو قد لا يتردد في الذهاب إليه صباحا ليعاتبه أو ينتقم منه"[1].

فقد اعتقد البدائي أن الأحلام تخبره عن طريق الآلهة أو الشياطين بما ينوي الآخر فعله سواءً خيرا أو شرّا ، فيمضي هو إليه لمعاتبته أو جزائه عما كان ينوي فعله، حتى إنّه كان في بعض القبائل البدائية يجوز العرف بأن يتخذ الرجل إحدى الفتيات زوجة له بناءً على ما رءاه في الحلم أو ما تمثل له.

كما اعتقد البدائيون أنه لا فرق بين الموت والنوم، ففي كليهما تخرج الروح من بدن صاحبها، ولكنها ترجع إليه بعد النوم، بينما تتركه نهائيا بعد الموت وقد أولى سكان القبائل البدائية في كل من أمريكا الشمالية وإفريقيا وأستراليا مكانة هامة للأحلام وضمنوها حياتهم اليومية بحيث اعتبروها طريقة تمكنهم من العيش بأمن وسلام إذ أُستغلّت بطريقة حسنة. [2]

---

[1] د. علي الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2009، ص 37.

[2] د. سليمان الدليمي: عالم الأحلام تفسير الإشارات و الرموز، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، سنة 2006 ص 15

فنجد سكان هذه القبائل يقيمون مواسم ومهرجانات سنوية لدراسة الاحلام وتفسيرها، " ...ويستخدمون هؤلاء الأحلام وما تكشف عنه من مضامين لصياغة سياسة وطريقة عمل مشتركة تهم حياة الناس ومستقبلهم هناك"[1].

و "نفس الإهتمام توليه قبائل أخرى للأحلام، كقبيلة الموارس في نيوزلندا وقبائل الزولوس في جنوب إفريقيا وقبائل الإسكمو وماليزيا ، أين يُعتقد أن الروح تغادر الجسد أثناء النوم لتعيش في عالم آخر مختلف هو عالم الأحلام ".([2])

أما قبائل كورسيكا فنجد جميع الناس في القرى يشهدون أحلاما مشتركة تتكرر بنفس الطريقة عند كل السكان تقريبا في نفس الليلة كما لو كانوا يخضعون لبناء سيكولوجي جماعي واحد يقوم بتوجيههم في الأحلام، كما أنهم يعتقدون كثيرا في فعاليتها أما طريقة تفسيرها فلا ينبغي الإفشاء بها لأحد خارج القبيلة، فهي في اعتقادهم "تعبر عن بعض خفايا الشخصية الإنسانية وتتضمن قوى سيكولوجية غالبا ما تظهر في عالم الأحلام وكأنها صور ومشاهد حقيقية ... ويقوم سكان هذه القبائل بتعليم أبنائهم منذ الصغر أهمية الأحلام وكيفية تفسيرها و متى يتسنى لهم التصدي للأرواح الشريرة التي تهاجم الإنسان أثناء النوم وتظهر في عالم الأحلام"[3].

إن مثل هذه القبائل تستخدم هذه الطقوس والممارسات بين أبناء قبيلتها بالشكل الذي يخدم جميع أوجه ونشطات الحياة اليومية، والأحلام تكشف عن مضامين ورموز تكهنهم للتنبؤ بما قد يحدث لهم مستقبلا.

فهي توظف الأحلام وطريقة تفسيرها في مختلف جوانب حياتهم الاجتماعية والنفسية والاقتصادية ولا شك أن المناسبات الدينية وبخاصة في حالة الإحتفالات هي أيضا وظائف اجتماعية تساعد على التقدم بالتماسك الاجتماعي والتكافل داخل المجموعة ،"يبدو أن وظائف الدين وما يرتبط بها من طقس واحتفال تتضمن في كل مكان وظائف

---

[1] Nerys Dee « your dreams and what they men », the Aquarian press 1984, p 26.

[2] د. سليمان الدليمي: عالم الأحلام تفسير الإشارات و الرموز ،مرجع سبق ذكره ص 15

[3] Nerys Dee « your dreams and what they men »,p 28

سيكولوجية تتعلق بالتخفيف من أنواع القلق والمخاوف وتوفر فرصة للتفاعل بين الناس والعالم العلوي"[1].

وكثيرا ما نجد في سرد الأساطير والأحلام نشاطا دينيا في حد ذاته كما هو الحال في الطقس أو الاحتفال.

فحسب تايلر في "كتاب إيفنز بريتشار صاحب كتاب الاناسة المجتمعية و ديانة البدائيين في نظريات الاناسين "، فكرة الروح نشأت عند الإنسان البدائي من ملاحظة نفسه عند النوم، فالرؤى العجيبة التي يراها في منامه تدفعه إلى التقبل بوجود الروح في بدنه وقد أدى به ذلك إلى الإعتقاد بأن كل شيء في هذه الدنيا له روح وبدن.

والعالم بهذا الاعتبار مملوء بالأرواح وهي قادرة على النفع أو الإضرار بالإنسان ، وما الآلهة إلا نخبة ممتازة من هذه الأرواح ، سَمَت على غيرها وصارت موضع الخشية والعبادة "ولما كانت النفس قادرة على الانفصال عن وعائها فيمكن اعتبارها مستقلة عن غلافها المادي، ومن هنا نشأت فكرة الكائنات الروحية التي يشكل وجودها بالنسبة لتايلر تحديدا أدنى للدين ثم تحولت هذه الكائنات الروحية في النهاية إلى آلهة أرفع شأن بكثير من الإنسان الذي تتحكم فيه"[2].

هذا وتعتبر "ظواهر الموت والأحلام والنوم قد أوحت للبدائيين بوجود الروح منفصلة عن الجسم الذي تحركه، كما أن الانفصال المؤقت للروح عن الجسد في أثناء النوم يفسر ظواهر الأحلام لديهم"[3].

إن الإنسان البدائي بالرغم من تخلفه العلمي إلا أنه كان دائم التفكير فيما حوله محاولا صنع تفسير للظواهر الطبيعية التي تحدث له، وتصور لها وجودا يماثل الكائنات الحية

---

[1] رالف ل، بيلز، هاري هو يجر :مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ترجمة محمود الجوهري، الجزء الثاني، دار النهضة مصر، للطبع والنشر (ب س)، ص 623.

[2] إيفتر بريتشار: الأناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظريات الأناسين، ترجمة حسن قبيسي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1986، ص 181.

[3] يحي مرسي عيد بدر: أصول علم الإنسان– علم الأنثروبولوجيا–، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الطبعة الأولى، سنة 2000، ص 445.

إلى حد ما، وهذه النظرة البدائية للأحلام والتي نعتقد أنه ليس لها أساس في الواقع هي غير بعيدة عن النظريات الحديثة والمتعلقة بالحالة السيكولوجية للإنسان وعلاقته مع أحلامه.

ولم تختلف شعوب الحضارات القديمة كثيرا عن الشعوب البدائية في أمر تقديس الأحلام واعتبارها إلهاما ، فقد اعتبر الرومان والعبرانيون بأن "الأحلام عبارة عن رسائل تصدر من الآلهة وموجهة إلى الأدميين، بينما تقدم الأحلام لليابانيين الكثير من الإرشادات حول كيفية تدبير أمورهم الحياتية وأحوالهم السياسية"[1].

ويعتبر الهنود القدامى أول من استطاعوا التمييز بين حالات النوم المختلفة وعلاقتها بالأحلام، ولهم في ذلك عدة مؤلفات وقد درسوا مستويات الشعور واعتقدوا بوجود مستويين للشعور "أحدهما ينتمي لعالم المعرفة والنوع الآخر لما وراء حالة المعرفة ... وعالم الأحلام يحتل مكانة مميزة بين العالمين ..." [2].

وأضاف الصينيون لذلك اعتقادهم بأن الأحلام "تهذيب للروح وتعلم الشخص دروسا ليس بمقدوره أن يتعلمها في عالمنا الذي نعيش فيه"[3].

أما المصريون القدامى فقد تعاملوا مع عالم الأحلام بكل جدية فشيدت المعابد والقصور الخاصة بآلهة الأحلام، ومارس الكهنة العاملين في البيوت والمعابد مهنة تفسير الأحلام لعامة الناس، وهم يُعتبرون الأوائل الذين أوجدوا نظرية التفسير بالضد أو التفسير بالقلب والعكس في الأحلام، فالبكاء في الحلم عندهم فرح والضحك يعني حزن والحلم بالموت هي حياة [4]... وقد حدثنا القرآن الكريم وقبله التوراة عن الاهتمام البالغ الذي كان المصريون القدماء يولونه لتأويل الأحلام، وكيف استطاع يوسف الصديق أن يصل إلى مركز عال في الدولة بواسطة الحدق في تعبير الرؤى.

كما أن الإغريق القدماء يشبهون المرمريين من هذه الناحية ولعلهم اقتبسوا بعض عقائدهم في الأحلام عن المرميين.

---

(1) سليمان الدليمي: عالم الأحلام، تفسير الإشارات والرموز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2006، ص 11.

(2) المرجع السابق، ص 12.

(3) نفس المرجع ، ص 12.

(4) المرجع السابق، ص 12.

2- الأحلام عند فلاسفة اليونان:

لم يكتف فلاسفة اليونان في تعاملهم مع الأحلام على ما قدمه المصريون، ولكنهم فسروا الرموز الخاصة بالأحلام، وأنشأوا معابد لذلك، كما تعددت أراء الفلاسفة بخصوص طبيعة ووظيفة الأحلام وفي هذا الإطار يرى هيراقليطس Heraclitus "أن الروح عندما تنفصل عن وظائف الحواس خلال النوم، وتنعزل وتقطع صلاتها بالواقع تكون على اتصال بالعالم اللاهوتي (المرتبط بالآلهة) وتصل خلال ذلك على معرفة بأمور المستقبل"[1].

كما نجد أن المدرسة الفيتاغورسية التي نشطت بعد القرن السادس(ق.م) قسمت الأحلام ، إلى أحلام بدون معنى، وتلك التي تسببها الإضطرابات المعوية والشيطانية، وفي ذلك فقد عول ديموقريطس Democritus على هذا الأصل الشيطاني للأحلام "وافترض أن العالم مليء بالصور الإلهية التي تتسلل إلى الأجساد خلال النوم وتتحول إلى صور طيبة أو شريرة"[2].

كما أوضح سقراط أن هناك أصلا ثالثا للأحلام: هو لغة الوحش في الروح، كما أنها تمثل صوت الإله في العالم الآخر وهي تأكيد للفكر الإنساني، إضافة إلى أنها بمثابة نصائح أو توجيهات إلهية يجب الالتزام بها [3].

"وعموما فإن اليونانيين القدامى كانوا ينظرون إلى الأحلام على أنها نوع من الوصايا الإلهية ..." [4].

وبدأت النظرية العلمية للأحلام مع أفلاطون Plato في كتابه المسمى "الجمهورية"، حيث يترك سقراط Socrates يذكر أن الأحلام تكشف عن رغبات الإنسان ويستطرد قائلا: وأنا أعني تلك الرغبات التي تستيقظ عندما ينام الاستدلال والقوى الحاكمة للبشر،

---

[1] Werner Wolf, dream herror of conscience, new York, Grune and Straton, 1952, p 16.

[2] Ibid., p 16.

[3] Ibid., p 16

[4] Medard Boss, the analysis of dreams, translated by Arnold J, pomeraus, New york, philosophical library, 1958, p 13.

ثم نجد أن الوحش المفترس بداخلنا يلتهم اللحم أو الشراب ويبدأ في التحرك من أجل إشباع رغباته، وتوجد طبيعة حيوانية في كل أجزاء أجساد الرجال الطيبين، وهي تخرج أثناء النوم. [1]

فبالنسبة لأفلاطون، لم يعد الحلم بمثابة وحي من الله فقط ، وإنما أصبح بمثابة وظيفة إنسانية تتعارض مع العقل، ويصور الحلم العقل اللاشعوري الذي يختلف عن العقل الواعي، ولكن أفلاطون أقر أيضا بأن بعض الأحلام لها أصل علوي ، وأن الله هو الذي يمنحها للإنسان، وذلك حسب ما يذكر سقراط الذي يقول أن الله قد يتحدث إلى الإنسان خلال أحلامه حسبما أعتقد تماما والله أمرني أن أفعل ذلك متحدثا من خلال الوحي الإلهي وفي الأحلام، وبكل طريقة يتحدث بها الصوت الإلهي للإنسان ويخبره بما ينبغي أن يفعله[2].

أما أرسطو فقد أرسى مبادئ النظرية العلمية الأولى عن الأحلام في مقالاته عن النوم والنبوءة، وفسر الأحلام كظاهرة مصاحبة للنوم، وتحدث وفق مصادر داخلية تسير الأعضاء الداخلية للجسم، فتسقط هذه الأخيرة صورها عن عقل الحالم، وقد كتب حول تفسير الأحلام ما يقارب ثلاثة كتب والتي بين من خلالها مصادرها وكيفية حدوثها. "وهو أول من اعتقد بأن الأحلام تعكس أداء جميع الأعضاء في جسم الإنسان"[3].

كما أنه فسر النبوءات الناتجة عن الأحلام كظاهرة خاصة بأشخاص غير مستقرين ويتميزون بإحساسات واندفاعات ذات تأثير مسبق وفق نبضات لاشعورية.

إنه يمكن القول بأن أرسطو من خلال تناوله للحلم قد ربطه ببعض القضايا النفسية ولم يرجحه إلى أصل ديني (إلهي) ، ولكنه يتعلق بالروح الحارسة والحلم ليس تجليا خارقا ولكنه يخضع لقوانين الروح البشرية التي لها صلة قرابة بالإله، ومن تم أوضح أن الحلم هو نشاط نفسي للنائم طالما أنه نائم.

---

(1) Caro Ness « secret of dreams », Ivy press, L.T.D 2002, p 35.

(2) ibid p35

(3) د. يحي مرسي عيد بدر: دور الثقافة في الأحلام ، دراسة أنثروبولوجية دار الوفاء، لدينا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة 2008، ص 66.

ومن ناحية أخرى أوضح أرسطو بعض خصائص الأحلام مثل تحويل أولى الأحاسيس المدركة في النوم إلى أحاسيس قوية مركزة "فالمرء يتصور أنه يمشي خلال النار ويشعر بالسخونة، وذلك لو أصبح هذا الجزء من الجسم دافئا،... ومن تم الأحلام تكشف بسهولة للطبيب المؤشرات الأولى للتغير الفيزيقي الذي لم يتم ملاحظتها خلال اليوم"[(1)].

ومن هنا أصبح أرسطو يفسر الحلم بأنه من الظواهر التي ترتبط بالمظاهر الطبيعية وأنه ينبع من خلال الخبرات والاتجاهات الشخصية للحالم، ومن اهتماماته وآماله وعملياته البيولوجية وخصوصا من حركة ودرجة دفء دمه.

وهو بهذا يتفق مع أبقراط الذي اعتبر أن الأحلام يمكنها أن تخبرنا بوجود خلل أو علة في وظائف أحد الأعضاء أو وجود ما يسبب عدم الشعور بالارتياح.

أما أرتوميدوروس Artemidorus فقد قسم الأحلام إلى مجموعتين وهما:" التي تتنبأ بالأحداث، والتي تهتم بالأحداث الراهنة، وكل منهما قد تحتوي على نوعين من المظاهر: إما أن تكون جدلية والتي تعني أنها قد تحدث، أو قد تكون مجازية بمعنى أنها لم تحدث في الواقع ولكن لها قيمة رمزية مثل أحلام الطيران"[(2)].

كما أنه افترض أن صور الحلم هي رموز للفكر، وأن المهرة في تفسير الأحلام يدركون رغباتهم التي تختفي وراء ثلث الرموز والتي عادة ما تكون مرتبطة بالواقع.[3]

وهكذا بدأت تتطور أراء الفلاسفة اليونانيين نحو الأحلام وبدأت تبتعد عن النظرة الدينية ، خاصة خلال العصور الوسطى التي سادها الفكر الديني إلى نظرة علمية لاسيما مع ظهور الحركة العلمية وتطورها.

هكذا كان الفكر اليوناني الفلسفي مليء مثل جميع الحضارات التي سبقته بمحاولات تفسير هذه الظاهرة وأضاف الكثير الى ما كانت تجهله العصور القديمة.

3 – **الأحلام عند علماء الدين :**

---

(1) Sigmund Freud « the interpretation of dreams » translated by A. A brill New York, Modern library, 1950, p 4.5.

(2) Werner wolf « Dream » herror of conscience, op-cite, p 19 – 22.

(3) Ibid. p 19 - 20

إن علاقة الأحلام بالدين والفكر الديني عموما هو موضوع كبير وشائك، ويمكن القول عموما أن النصوص الدينية مليئة بالأحلام الهامة، كما أن الكثير من الأنبياء ينسبون الكثير من حكمهم إلى التجليات التي كانت تحدث لهم خلال الأحلام والرؤى.

وسوف نتناول في العنصرين اللاحقين نظرة كل من التراث اليهودي المسيحي للأحلام ونظرة الإسلام للأحلام، بحيث تعددت لذلك وجهات النظر ، فمنها ما جاء استمرار للنظرة الإغريقية الرومانية، ومنها ما كان طبقا للتعاليم والمعتقدات الدينية السائدة في حينه.

أ- نظرة الدين اليهودي والمسيحي للأحلام:

إن للأحلام تأثير كبير على الديانات، وعلى الرغم من أن التراث اليهودي والمسيحي قد نظر إلى عملية تفسير الأحلام على أنها شعوذة وأنها تقترن ببعض أشكال التجلي الإلهي ، إلا أنه أعيد تغيير هذه النظرة عبر التاريخ وأصبح ينظر إليها على أنها حقيقة وأنها تكتسب أهميتها من خلال مصداقيتها.

فالدين اليهودي لم يقبل بشكل رسمي فن أو علم تفسير الأحلام، ولذلك لم يكشف التراث اليهودي عن أهمية الحلم، وإنما كان يتجاهل عمليات الحلم، وذلك نظرا لوجود تشابهات بين أحداث اليقظة وأحداث الحلم لدى الشعوب المجاورة.

إلا أن هذه النظرة سرعان ما تغيرت وأثرت على الرأي العام بسبب صدق ودقة بعض الرؤى والأحلام، وفي هذا الإطار ركز الإنجيل فقط على الأحلام التي تؤكد مقولة شعب الله المختار.

ومن خلال فحص بعض العلماء لهذه الأحلام عند اليهوديين اتضح "أنها تعكس الحاجة إلى تعويض شعور الحالم بالنقص من خلال إثارة مسألة حماية الكيان الكلي وهو إله إسرائيل (في هذه الحالة) ... فما تمتلئ النصوص الدينية اليهودية بالأحلام التي تعكس إرادة الله ... وتوجد العديد من الأمثلة التي تعلن مولد بطل عظيم أو نبي ..." [1]. وعلى الرغم

[1] ينظر: د. يحي موسي عيد بدر، دور الثقافة في الأحلام، دراسة أنثروبولوجية، مرجع سبق ذكره، ص 281-282 باختصار.

من أن الباحثين وجدوا صعوبة في تمييز الأسلوب اليهودي في تفسير الأحلام إلا أنهم توصلوا إلى فهم بعض المفاتيح عن طريق الرموز. كتناولهم مشكلة الموت. "فالموت في اليهودية ترتكز على الإمكانية الوجودية والمعرفية للأحلام، والثقافة المرتبطة بالأحلام في اليهودية تتناول المفاهيم المحورية الأخرى إلى جانب الممارسات الثقافية مثل فكرة التوحيد والتصورات البصرية للمقدس والكهانة والحياة الأخرة"[1].

ومن ناحية أخرى فإن الأحلام في اليهودية نجدها تتعلق بالدرجة الأولى بالقادة والملوك والأنبياء مثل يعقوب، ويوسف، وسليمان وبن خود نصر وغيرهم.

ومع تطور النظرة اليهودية للأحلام أصبحت تعني معنيين، فجزء من الأحلام يرجع إلى الجانب الإلهي الطيب، والجزء الآخر يرجع إلى الشياطين والأرواح الشريرة، وعلى إثر هذا التقسيم يتم توجيه أحلام الأشخاص إلى أحلام مرسلة من الملائكة أو الإله والجزء الثاني مرسل من طرف الشياطين.

وبقيت هذه الأفكار سائدة إلا أن أصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية، حيث ساد الدين المسيحي كذلك بعض الشكوك حول أصل الأحلام ومصدرها بل كانت الكنيسة تعتبرها نوعا من المحرمات التي لا يجوز التقرب منها أو معرفة أسرارها وخفاياها، باعتبارها من أعمال الشيطان. وكان لهذه الأفكار بصمتها على عموم المجتمعات المسيحية لفترة طويلة من الزمن ، لكن الكنيسة شهدت تطورات كثيرة في مرحلة الإصلاح الديني ، إنعكست بالتالي على نضرتها للأحلام ، و أصبح يمكن تقسيم الأحلام عند المسيحيين إلى قسمين :

"1- الأحلام الحقيقية :و يتسلم الشخص في هدا النوع من الأحلام رسائل مباشرة من الله أو رسوله ، و تتضمن بعض التوجيهات العامة لطريقة الإنسان في الحياة أو ما ينبغي عليه القيام به أو الامتناع عنه . وهذا النوع من الأحلام لا يحتاج إلى تفسير لأنها صريحة و واضحة...

[1] نفس المرجع، ص 283.

2 – الأحلام الرمزية : وهي عبارة عن رسائل تتضمن الكثير من الرموز المبنية على مجموعة من الأمثال و الحكايات الشعبية و يحتاج هذا النوع إلى معرفة معاني الرموز الواردة في الأحلام قبل أن يتضح التفسير الحقيقي للأحلام

ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع من الأحلام الرمزية لدى الدين المسيحيين قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع فرعون، وقصة سيدنا موسى عليه السلام والنبي سليمان."([1])

ومن الأمثلة على التطور الذي شهدته الكنيسة ونظرتها للأحلام خلال القرن الرابع الميلادي، أن الأب "كريكوري" "إعتبر الأحلام رسائل إلاهية وبالتالي فهي تمثل مرآة الروح وتعكس الكثير من جوانب شخصية الإنسان.

أما القديس أوغسطين فقد إعتقد أن ما يراه من أحلام كان بمثابة قنوات للتواصل بينه وبين الله وملائكته"[(2)].

وكانت أحلامه دائما تعكس تمنياته البسيطة المتواضعة، حيث كانت يتمنى تحقيقها، وقد كتب الكثير عن الأحلام التنبؤية والتي اعتقدوا أن السبب وراء ظهورها هو وجود حدث معين في حياة الإنسان، ولهذا فإن ظهورها غالبا ما يتزامن مع وجود حدث معين.

ب- **نظرة الإسلام للأحلام:**

لقد حدد الدين الإسلامي مصطلح الرؤيا لجميع ما يرى في المنام من أمور صالحة واعتبرها بشرى من الله تعالى.

كما حدد مصطلح الحلم للدلالة على ما يراه من أمور يكرهها وتكون سيئة فاعتبارها أهاويل من الشيطان، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان"[(3)]. وإن كان معنى الرؤيا في الخطاب الديني الإسلامي هو معنى الحلم نفسه، لكن غلب إستعمال الرؤيا في الأمور المحبوبة والحلم في الأمور المكروهة، والحلم كمعنى ويرد ذكره في القرآن الكريم بمسميات مختلفة وفي مواضيع متنوعة، فقد ذكره الله عز وجل باسم

(1) سليمان الدليمي: عالم الأحلام، تفسير الإشارات والرموز، مرجع سبق ذكره ص 95،96

(2) Nerys Dee ;your Dreams and what they mean ;the Aquarian press ;1984 pp. 24 25 .

(3) الحديث ذكره الإمام البخاري في صحيحه، المجلد الرابع، الجزء 7-8، باب التعبير، ص 68.

المنام في قوله: { إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }[1].

ولقد ورد في تفسير ابن كثير أن المنام مصرح به في الآية ولا يحتاج إلى تأويل "قال مجاهد أراهم الله إياه في منامه قليلا، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم"[2].

كما ذكرت في سورة الصافات عندما أمر الله سبحانه سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه في منامه فجاءت على لسان سيدنا إبراهيم في قوله تعالى: { قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } [3].

يقول ابن عباس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لمآ سُئل عن هذه الآية قال "رؤيا الأنبياء في المنام وحي"[4].

كما ذكرت باسم البشرى أو البشارة يقول عزّ من قائل { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [5].

وأوضحت النصوص النبوية أن معنى هذه الآية قد تم ذكره في الأحاديث النبوية حيث قال النبي عليه الصلاة والسلام "الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له"[6].

وهذه الرؤيا قد ذكرت في مواضيع عدة من الذكر الحكيم { قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [7]. كان هو جواب يعقوب، وهو النبي، لابنه يوسف الفتى إذ قص على أبيه حلمه وهو {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

(1) سورة الأنفال، الآية 43.

(2) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل: تفسير بن كثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة 1981، ص 316.

(3) سورة الصافات، الآية 102.

(4) ابن كثير إسماعيل: تفسير بن كثير، الجزء السادس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 1990، ص 16.

(5) سورة يونس، الآية 64.

(6) محمد بن سرين :تفسير الأحلام الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، لبنان، سنة 1998، (ب ط)، ص 18.

(7) سورة يوسف، الآية 5.

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [1]. فقدمنا الجواب على مدلول الرؤيا بالبرهان المستبان، فلو أنزل يعقوب رؤيا ابنه منزلة الحدث العابر لما نصحه بعدم إفشاء متضمنات ذلك الحلم المنبئ عن شيء خطير في مستقبل ابنه الفتى وإخوته الكبار ... والقصة كاملة لا تخلو من العبر، وما حلم فرعون بحلم يُنْتَسَى فقد جاء في نفس السورة قوله تعالى: { وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ}[2].

فهذه الرؤيا لملك مصر قد أثارت عجبه وما قد تعنيه من رموز فجمع كبار الكهنة وأمراء دولته لتأويلها، فلم يعرفوا ذلك لغموض رموزها وقالوا أنها أضغاث أحلام "وإنما سميت أضغاث لاختلاطها فشبهت بأضغاث النبات، وهي الحزمة مما يأخذ الإنسان من الأرض فيها الصغير والكبير واليابس والرطب"[3].

فهذه المسميات المختلفة للأحلام التي ذكرت في الآيات سواء باسم "البشري" أو "المنام"، أو كما ذكرت في سورة الصافات عندما أوصى الله إلى نبيه إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل هي وحي "فرؤيا الأنبياء وحي بخلاف غيرهم، فالوحي لا يدخله خلل لأنه محروس بخلاف رؤيا غير الأنبياء، فإنها قد يحضرها الشيطان[4].

وقد وقع خلاف عند المفسرين فيما يخص رؤيا الكافر، هل تصدق أم لا؟ فمنهم من قال يمكن أن تصدق ولكن لا تعبر مثل رؤيا المؤمن "قال ابن حزم وقد تصدق رؤيا الكافر، ولا تكون حينئذ جزءا من النبوة ولا مبشرات ولكن إنذارا له ولغيره ووعظا"[5]. وفي هذا إشارة إلى أن الأحلام باختلاف مسمياتها هي قابلة للتفسير والتعبير، وقد اتخذ بعض العلماء من التأويل علما أسسوا له وسموه بـ "علم تعبير الرؤيا" يقول بن خلدون:

---

(1) سورة يوسف، الآية 4.

(2) سورة يوسف، الآية 43-44.

(3) عبد الغني النابلسي: تعظيم الأنام في تعبير المنام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة 2002، ص 5.

(4) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1998، ص 429.

(5) محمد فريد وجدي: دائرة المعارف العلمية، باب الرؤيا دار المعرفة، بيروت، لبنان الطبعة الثالثة، سنة 1971، ص

"هذا العلم هو من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها، وربما كان موجودا في الملوك والأمم من قبل إلا أنه لم يصل إلينا، للاكتفاء فيه بكلام معبر من أهم الإسلام وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق ولابد من التعبير لها"[1].

وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالأحلام وكان معبر للرؤيا وقد ذكرت أحاديث كثيرة على ذلك ومنها قوله صلى الله عليه وسلم "أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا"[2]. وقوله "إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها"[3].

وذكر عليه السلام أصنافها فقال: "إن الرؤيا ثلاثا، منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومنها ما يهم بها الرجل في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة"[4]. فقد جاءت السنة النبوية متممة لذلك وسار النبي الكريم على نهج الأنبياء والرسل الذين سبقوه، وقد أعطى أهمية كبيرة للرؤيا الصالحة وغرس ذلك في نفوس الصحابة وكان معبرا ومؤولا للصحابة وأزواجه، كما شدد على الكذب فيها وبين أقسامها وفسر كل قسم منها وأعطى في ذلك آداب، ولا شك أن الباحث في التراث الإسلامي يجد الكثير من العلماء الدين اهتموا بهذا العلم وألفوا فيه كالشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه" تعطير الأنام في رؤيا المنام" ومحمد بن سرين وكتابه "منتخب الكلام في تفسير الأحلام" و "تفسير الأحلام الكبير" وخليل بن شاهين وكتابه "الإشارات في علم العبارات"، وغيرهم كثر ممن ألفوا في ذلك.

وهذا الطرح الذي تناوله المسلمون في تأويل الأحلام، لا يجعلهم يختلفون كثيرا عن غيرهم من الحضارات السابقة، بحيث يعكس الثقافة المسلمة ومساهمتها في جعل تعبير الأحلام وتأويلها علما قائما بذاته، ولا شك أنهم أخذوا من ثقافات غيرهم وأضافوا إليها

---

[1] ابن خلدون: مقدمة، دار مكتبة الهلال بيروت، سنة 1999، ص 299.

[2] صحيح مسلم، المجلد الرابع، ص 1224.

[3] البخاري الجعفى: صحيح البخاري، الجزء التاسع المكتبة الثقافية، بيروت، ص 95-96.

[4] صحيح سنن ابن ماجة: المجلد الثاني، ص 340.

من أصالة الإسلام وروحه وآدابه، ما جعل طرحهم يحمل نوعا من التميز، وربما يكونون قد سبقوا غيرهم في كثير من القضايا في هذا المجال

4- الأحلام عند علماء النفس:

موضوع الأحلام من الموضوعات الهامة في علم النفس، وذلك لأن الأحلام ظاهرة عامة لا تقتصر على المرض وإنما تحدث عند جميع الأفراد في كافة الأعمار. وهو "نشاط دهني أثناء النوم يحدث في شكل صور بصرية عادة، والحلم شبيه بالهلوسة لأنه لا يثيره في العادة التنبيهات الحسية الملائمة"[1].

كما يعرف على أنه "سلسلة من الصور البصرية والتخيلات الذهنية تحدث عادة للفرد أثناء النوم ويعتبرها التحليل النفسي حيلا تلجأ إليها النفس لتشبع رغباتها وخاصة الصعبة أو المستحيلة التحقق في الواقع"[2].

فالحلم حسب التحليل النفسي هو مجموعة من الصور التي تصدر عن النشاط الذهني أو العقلي للفرد أثناء النوم، وهذا يعني أن الدماغ أثناء النوم يعمل بنفس النشاط أو الطاقة التي يعمل بها أثناء اليقظة نتيجة انشغاله بالكثير من العمليات التي تم تخزينها خلال اليوم، ولكن بأقل تأثير بحيث أن مستوى التنبيهات الحسية يهبط.

ويعرف قاموس إكسفورد الحلم بأنه "رؤيا تمثل سلسلة من الصور أو الأحداث تظهر للشخص النائم، أما كالفان هال « Calvin Hall » فيعرفه على أنه توترات من الصور العقلية تكون في غالبيتها صورا بصرية تمر بالفرد كخبرات خلال النوم، .... وللحلم عادة مشهدان، ويشتمل على أشخاص بالإضافة إلى الشخص الحالم، فالحلم يشبه صورا متحركة أو عرضا مسرحيا يكون دور الحالم فيه مشاركا ومشاهدا في آن واحد"[3].

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، دار الجيل، الجمعية المصرية، الطبعة الثانية، سنة 2001، ص 340.

(2) د. نور الدين خالد وآخرون: معجم مصطلحات علم النفس، عربي، فرنسي، إنجليزي، دار الكتاب المصري، واللبناني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 1998، ص 99.

(3) موسوعة علم النفس والتربية، تفسير الأحلام، الجزء السابع، دار النشر والتوزيع edilocreps بيروت، الطبعة الأولى، سنة 2003، ص 95.

الواقع أن الحلم لا يحاكي الأشخاص أو الصور ويصورهم تصويرا ولكنه يصور ويعكس حياة الفرد اللاشعورية بطريقة رمزية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحلم يعبر عن هذه الحقائق اللاشعورية بصورة مبالغ فيها أو بصورة مجسمة، فالتوترات التي يشعر بها الفرد أثناء حياته العادية تطفو في حالة النوم على مشاعره، لتظهر في الأحلام على شكل صور مبالغ فيها كما نجد في الموسوعة النفسية أن الحلم "هو نشاط عقلي يجري أثناء النوم، يتحدد الحلم بنمط حصوله خلال بعض فترات مميزة من النوم وبالمحتويات الخاصة بهذا النشاط العقلي وباستخدام قصة لهدف علاجي في الطب العقلي والتحليل النفسي"[1].

فمن الواضح أنه إذًا أي نشاط عقلي يقوم به الشخص كخبرة خلال النوم يجب أن يكون حلما، وهذه النشاطات العقلية تعتبر بدورها مظهرا من مظاهر النشاطات النفسية، والواقع أن الحلم هو عبارة عن هلوسة نظرا لأنه ليس له وجود ماديّ ملموس، فالحالم يمر بخبرة يكون فيها في وضع كأنه يرى شيئا حقيقيا، إلا أن هذا التعريف صور لنا الحلم في كونه مظهرا من مظاهر الحياة النفسية المضطربة، وتعبيرا عن رغبات مكبوتة تثير أعراضا مرضية، مع أن للحلم وظيفة أرقى وأسمى من ذلك فهو عبارة عن تصوير لأفكار عادية وترجمة لأحاسيس في شكل رموز وصور.

"الحلم لغة يمكن استقراؤها كاللغة الهيروغليفية في حال استطاع الشخص والمحلل أن يتبينا ارتباطها ورموزها ومعانيها، وهناك دلالة حيث أن الدال يكتنف في مظهره بالمدلول، فالدال والمدلول بينهما خط فاصل لا يمكن تجاوزه"[2].

فلفهم لغة الحلم أو سيكولوجية الأحلام لابد من الإحاطة بمجريات اللاشعور وربطها بشخصية الفرد وما يحيط به ويمكن تشبيه هذه العملية كجبل الثلج فما يظهر من أحداث هو شيء بسيط جدا يعلو على السطح مقارنة مع ما يخفيه تحت السطح وفي

---

[1] دولان دورون، فرانسوا بارو: موسوعة علم النفس، المجلد الثالث، منشورات العويدات، الطبعة الأولى، سنة 1997، ص 958.

[2] محمد زيعور: تطور التحليل النفسي من تداعيات فرويد إلى إرشادية، روجرز، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر سنة 1994، ص 132.

الأعماق لذلك للإحاطة بالأحلام ومعانيها لابد من الكشف عن ديناميات الشخصية ومكوناتها النفسية وأبعادها.

5- **الحلم عند علماء الاجتماع:**

و إلى جانب الدراسات السيكولوجية التي اهتمت بالحلم ،نجد جهودا سوسيولوجية بمقابل دالك ، فقد حاول علماء الإجتماع معرفة إلى أي درجة يمكن أن يفيد الحلم الدراسات الإجتماعية، ففي الوقت الذي يرخي المجتمع بثقله على الفرد أثناء نومه بحيث تتقلص الرقابة ويسهل تسرب الرغبات المكبوتة من اليقظة وتحدث الأحلام ، يقول علماء الإجتماع أن هذه الظاهرة تحدث بسبب غياب الأطر الإجتماعية من الذاكرة بل جزءا من الحياة الإجتماعية يستمر في الأحلام، فقد قام العالم الاجتماعي "هالبواشز « Halbwaches » بدراسة هذه الظاهرة من الجانب الإجتماعي حيث يقول "نحن لا نخلق تماما البشر والأشياء كما في وضعيات الحلم، فهم مأخوذون من تجربتنا أثناء اليقظة أي أننا في حالة العزلة، حيث يحتوينا النوم، نرى من جديد ما اجتاح أبصارنا وبدّل حواسنا حين كنا على اتصال مع أمثالنا، وأكثر من ذلك، فنحن لا نرى هذه الصور فقط، لكننا نعرفها ... لأننا ننسب إليها معنى ونستطيع أن نعرضها في اليقظة، أي أن نؤولها مستعينين بمفاهيم مشتركة مع أشخاص جماعتنا. وهذا يعني بالتالي أن جزء على الأقل من عادات الحياة الإجتماعية يستمر في حياة الحلم"[1]. فالعالم هالبواشز في تعريفه هذا للحلم لم يحكم بالقطيعة الشاملة بين الأنا والمجتمع فالحلم عنده يحمل طابع إجتماعي ، أو جزء منه يحمل طابع إجتماعي بحكم الأحداث التي تدور في محتواه إضافة إلى الطابع النفسي، وهي نفس طريقة فرويد عندما فسر الرموز التي تحتويها أحلامنا فهذا الأخير يعتبر أن الأحلام هي عبارة عن ذاتنا العميقة لكن هذه الرموز التي يستخدمها التفكير هي ذات مدلول جماعي.

بل يذهب يونغ إلى أبعد من ذلك حينما يجعل الحلم ينطلق من اللاوعي الجماعي فهو يعتبر الحلم ينشأ من اللاشعور الذي له طابع فردي وطابع جماعي، واللاشعور الجماعي

---

[1] روجيه باستيد: السوسيولوجيا والتحليل النفسي ،ترجمة وجيه البعيني، دار الحداثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة 1988، ص 237.

هو أعمق من اللاشعور الفردي "الفرائز والنماذج البدئية مجتمعة تشكل ما أسميه الخافية الجامعة أو العامة، وقد وصفتها بالجامعة لأنها خلافا للخافية الفردية أو الخاصة، لم تتكون من محتويات فردية وخاصة بل من محتويات عالمية ذات حدث نظامي"[1].

ونظرية يانغ في النماذج النفسية ذات أهمية كبيرة في فهم سلوك الفرد والجماعات فهو يرجع الأحلام إلى اللاوعي الجماعي لأنه مخزن أعمق وأوسع فهو يحتوي على الذكريات الصحيحة التي خلفتها البشرية والعقائد والسلوكات والتقاليد والعادات الإجتماعية والدينية.

ويضيف "روجيه باستيد" في هذا الصدد قائلا: "نحن متحمسون إذا لتجربة سوسيولوجية الحلم انطلاقا من أولئك الذين يُصرّون على ما هو فردي بشكل متميز. وهذا يدل على أن مدلول الحلم يتعلق أولا بنمط حضاري معين ... فالأحلام ليست في المجتمعات القديمة وعند اللاحضاريين منفصلة بشدة عن حالة اليقظة، بالعكس تندمج التخيلات الليلية في تركيبة الوجود وتمتزج بتلاحم مع عمليات إدراك العالم المحسوس"[2]. فالحلم عند البدائي له وظيفة إجتماعية فهو الذي يوحي بالطوطم الفردي، أثناء احتفالات المسارة والذي بالتالي يثبت موقف الشخص الاجتماعي في كلية بنيوية، ونفس الشيء في مجتمعنا الحديث فنحن منشغلين دوما أثناء اليقظة بمشاكل يطرحها الوجود الإجتماعي ويتضاعف عددها كلما انخرطنا في حلقات اجتماعية عديدة ولا يبقى أمامنا سوى النوم للهروب إلى عالم الأحلام.

كما اعتبر علماء الاجتماع أن الأنماط الكثيرة للأحلام إنما هي دلالة على الكثافة الإجتماعية ، أو بتعبير آخر هي عبارة عن التصورات المختلفة للمجتمع ولتعاملاتنا فيه، بيد أن محتوى الأحلام يرتبط إلى حد ما بمقدار اندماج الفرد داخل الجماعة حيث أنه كلما اندمجنا في مجتمع معين كلما زودنا هذا المجتمع بمواد حلمية، وكلما قل تعلقنا به كلما تضاءل حلمنا به أما الرموز فتعتبر العامل المشترك بين علماء النفس وعلماء الإجتماع في

(1) ك. غ . يونغ: علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1985، ص 8.

(2) روجيه باستيد: السوسيولوجيا والتحليل النفسي، مرجع سبق ذكره، ص 238.

تحليلهم لهذه الظاهرة "ثمة مصدران للفكر الرمزي، الأول أوضحه فرويد والمحللون النفسيون وهو التنكر المفروض على اللبيدو، والثاني أوضحه دوركايم وموسي وهو مراحل الهيجان الإجتماعي، من هنا انفصال التحلل النفسي عن السوسيولوجيا، فإذا هما عالمان، مستقلان، غير أنه يمكن للرموز الاجتماعية ... أن تدخل في الحلم وأن تبدل الدلالة من هذا المنطلق بالذات وتستطيع الرموز الليبيدية بواسطة أولية الفكر الحلمي نفسها أن تدخل إلى الحضارة وأن تدخل فيها، من ذات المنطلق سلسلة من العوامل التي يرتبط تأويلها بمجال التحليل النفسي"[1].

إذن العالمان مستقلان لكن حدودهما تبدو مشتركة، وما يمكننا أن نخلص إليه في هذا العرض السريع لسوسيولوجية الأحلام ، أنّه يمكن أن تحمل طابعا نفسيا ويمكن أن تكون ذات طابع اجتماعي وعليه وبصفة عامة فأحلامنا هي نفس اجتماعية، بحيث العالمان (النفسي والاجتماعي) كلاهما يسهمان في تشكيلها وإخراجها وتفسيرها.

6- الحلم عند علماء الأنثروبولوجيا:

يذهب الكثير من الأنثروبولوجيين إلى رد الصور الحلمية إلى بداية الإنسانية وأنها بمنزلة الفطرة، ويقولون أنها لغة بدائية، تشبه لغة الديانات البدائية، وكأنما التفكير البدائي أو الفطري يجمع بين الاثنين، ولعل ذلك سبب القول أن بعض الأحلام مصدره إلاهي، وكل الثقافات بها ما يثبت أن البعض يرد بعض الأحلام إلى الوحي الإلاهي، وهناك نظريتين في الدراسات الأنثروبولوجية "إحداهما ترجع الأحلام كرؤى إلهية وتجسدها كتعبير عن القدر وعن الإيديولوجية الدينية السائدة في الأمة والثقافة التي تميزها، والأخرى نظرية عقلانية تعامل الأحلام كرؤى خاصة بالأفراد وتصنفها كأنماط، وتعمد إلى تفسيرها وتحليلها وتأويلها باجتهادات فلسفية"[2].

---

[1] المرجع السابق، ص 259.

[2] د. عبد المنعم الحنفي: موسوعة عالم علم النفس، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2005، ص 36.

كما ركز الأنثروبولوجيين الثقافيون اهتماماتهم على مضامين المنامات والعلاقات بين الأحلام والحالمين، فرأوا أن "الأحلام اختبارات فردية تلقي الضوء على سير الحياة وتكشف أيضا الرواسب غير المتحضرة للشخصية والنقاط العشوائية للثقافة"[1].

والملاحظ هنا أن هذا التعريف حافظ على الشكل العلمي لمعالجة الحلم وهو التحليل النفسي، وأضافوا عليه الطابع الشعبي، وذلك من خلال اعتبار الأنثروبولوجيين الثقافيين أن الحلم ظاهرة فردية تكشف عن نوع شخصية الفرد بمختلف جوانبها أكانت شخصية متحضرة تتعامل مع الحلم على أنه ظاهرة من ظواهر النوم ،أو كانت تشتمل على رواسب غير متحضرة أي الشخصية الخرافية التي تتعاطى الثقافة التقليدية، وتتعامل مع المعتقد الشعبي بصور التسليم والاستسلام له.

إن هذا التصور الذي وضعه الثقافيون كان نتيجة احتكاكهم بشعوب عديدة حيث قاموا بدراسة أنثروبولوجية للحلم في الحقل الميداني خلصوا من خلالها إلى النتائج التالية:

" * تصورت شعوب عديدة وجود روابط بين الحلم واليقظة تنطوي على مفاهيم خاصة بالعالم والشخص، لاسيما بالروح التي غالبا ما ترتبط بالحلم والمرض والموت.

* يؤول بعضها الحلم وينقيه ويحيطه بالرقابة حتى أنه يزعم تحديد مضمونه أو تخفيف طابعه الاعتباطي بتخصيص بعض الأشخاص مثل الشاميين أو العرافين بالقدرة على الحلم بطريقة تكاد تكون إرادية.

* يفترض بعضها الآخر أن هناك كيانا إلاهيا يرسل الحلم بخصائص مميزة وتظهر وسائل أخرى تغير مضمونه أو تصرفه وتلغي التنبؤات التي يفترض أن يحملها.

* يترادف الحلم بالأسطورة مع تحويلها إلى عمل، إلى اختبار والشعور بحقيقتها لكن بالمقابل يمكن أن يساهم الحلم في إغناء الأسطورة نظرا إلى قوة تعبيره التي ترجع إلى افتراض صدوره عن عالم آخر.

---

[1] بيار بونت، ميشال إيزار: معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – مجد–بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة، 2006، ص 447.

* هناك أشكال خصوصية للحلم يمكن أن تشرع الوصول إلى بعض الوظائف أو الدخول إلى بعض الجماعات، أو لعب دور في بعض النشاطات"[1].

يلاحظ أن الأنثروبولوجيين حددوا إطارا معرفيا للحلم وذلك باعتباره يساهم في الوصول إلى بعض الوظائف ويساعد كذلك على الإندماج من خلال ممارسة بعض النشاطات في إطار جماعي.

فالأنثروبولوجيا حين معالجتها للحلم جعلت منه ظاهرة فكرية اجتماعية وثقافية ذات شأن واسع من خلال اعتبارها إياه نمطا للتواصل، وكذلك من خلال موازنتها بين عمل الحلم والفكر الأسطوري اللذين يتعارضان أحيانا ويكمّل أحدهما الآخر أحيانا أخرى.

كما أجريت عدة دراسات وبحوث من طرف الأنثروبولوجيين النفسيين على مدى تأثير الأحلام على سلوكات الأفراد وثقافتهم حيث توصلوا إلى أن الكثير من الإنتاج الفكري هو من وحي الأحلام، والكثير من الأساطير والملاحم، والشعر الملحمي، والعقائد والخرافات ويمكن ردها إلى الأحلام، كما أن دراسة هذه الظاهرة هي سبب القول بفكرة الخلود والتناسخ، فالنوم يعتبر موتا أصغر والروح تتحول فيها إلى الجوار سيما في الموت تتحول ولا تعود أبدا إلى الجسم، وفكرة النسخ والقول بالطوطمية هو أن يكون لنا جميعا كشعب إِلَاهًا ننسب إليه ونتحول شكلا إلى بعضنا البعض في الواقع والحلم أيضا[2].

[1] نفس المصدر السابق، ص 448.

[2] ينظر، باختصار إلى موسوعة عالم علم النفس لعبد المنعم الحنفي في سيكولوجية الأحلام.



الفصل الأوّل:

دراسة نفسية تحليلية للأحلام

الفصل الأوّل: دراسة نفسية تحليلية للأحلام

– تمهيد

1 – زمن الحلم

2 –كيفية حدوث الأحلام و تفسيرها

أ – مدرسة التحليل النفسي لفرويد.

ب – السيكولوجيا التحليلية ليانغ .

ج – مدرسة علم النفس الفردي لآدلر

3- الخصائص السيكولوجية المميزة للأحلام.

4 – منبهات الأحلام و مصادرها :

أ – المنبهات الحسية الخارجية أو الموضوعية.

ب – المنبهات الحسية الداخلية أو الذاتية.

ج – المنبهات الجسمية الباطنية أو العضوية.

د – مصادر نفسية خاصة للتنبيه.

5 – أوجه الحلم :

أ – الأحلام الواقعية

ب – الأحلام التذكيرية

ج – الأحلام الرمزية

د – الأحلام التبصيرية أو التنبؤية

هـ – الأحلام المشتركة

6 – علاقة الحلم بحياة اليقظة و اللاشعور.

7 – لمادا ننسى أحلامنا ؟

8 – أحلام الأطفال.

تمهيد:

ترافق الأحلام حياتنا منذ الطفولة وحتى الممات، وتهتم دوما بمسائل الحياة الحاضرة للحالم، فلا يمكن فهمها وتناولها كموضوع قابل للتفسير إلا وفقا لهذه الحياة نفسها، ورغم ذلك فهي تحمل في الوقت نفسه بعدا غامضا، أكثر اتساعا من الحياة الشخصية، ومخفيا وراء حقائقها الحسية.

في الحلم لا شيء تافه، ولا شيء عظيم جدا، فالأحلام تصنف ضمن الظواهر الأقل شأنا في الحياة اليومية لكنها تدخل في المقابل ضمن القضايا التي اعتبرت في جميع الأوقات الأكثر أهمية ، لأنها تمثل الإنسان بمختلف انفعالاته سلبا أو إيجابا وتعتبر جزء من شخصيته وصورة عن حياته الغير ظاهرة للعيان ، وهذا ما كشفه علم النفس التحليلي الحديث في دراسات فرويد ويونغ وغيرهما، وهذا التحليل يعوّل كثيرا على الأحلام في اكتشاف باطن الإنسان وطريقة تفكيره ومعالجته للأمور، لأنه يعكس الواقع النفسي الشخصي للفرد بما في ذلك تجاربه وحاجاته وأماله ومخاوفه وتوقعاته ... إلى غير ذلك من العناصر التي تتكون منها حياة الفرد النفسية الخاصة، ولو تمعنا في النظر في موقف الإنسان في الحضارات المتعاقبة من أحلامه ، يتبين بوضوح مثل هذه الرابطة عبر العصور، ولعل خصوصية هذه الرابطة في نظر الإنسان عبر مختلف هذه العصور هو الذي أوجد الاهتمام بظاهرة الأحلام ، ودفع باجتهادات مختلفة لمحاولة تفسيرها وربطها بمختلف نشاطات الإنسان بل وضرورتها له ، والأسباب التي من أجلها نحلم والفرق بين أحلام الكبار وأحلام الصغار والبحث فيما إذا كانت حتى الحيوانات تحلم أم لا ... وغيرها من التساؤلات التي اهتم بها الإنسان لفهم أحلامه، وهذا ما سوف نعالجه في هذا الفصل من خلال تحليلنا السيكولوجي لهذه الظاهرة.

1- زمن الحلم:

غالبا ما توصف الأحلام بأنها عبارة عن صور وخيالات يراها الشخص أثناء النوم أو عبارة عن مظاهر حسية وحركية وفكرية متخيلة تحدث أثناء النوم، وحيث أن هذه الظاهرة تحدث في النوم كان لابد لنا أولا من دراسة النوم ومراحله لنتعرف على المراحل التي يحدث فيها الحلم.

كما أن هناك صعوبة في تعريف الأحلام، هناك صعوبة أكبر في تعريف النوم ولكن يمكن تعريفه عن طريق مظاهره الفيزيولوجية والفزيائية والعصبية والنفسية على أنه: "فترة راحة جسمانية يغيب خلالها الوعي والإرادة وتتبطّأ بعض الوظائف البدنية وتنشط الأحلام"[1].

وهذا يعني أنّ الإنسان يحتاج كشرط أساسي للنوم إلى الراحة الجسدية والذهنية، وقد تبين أن الدماغ يعمل بنفس الطاقة والنشاط تقريبا في الليل مقارنة مع النهار، ذلك أن العقل أثناء النوم لا يعني أنه في حالة راحة تامة كما يتصور البعض "وإنما يكون مشغولا بالكثير من العمليات التي تم تخزينها خلال اليوم، وعلى غرار جهاز الكمبيوتر يقوم الدماغ بغربلة هذه المعلومات وتصنيفها ثم إجراء عملية التقييم وبالتالي تحديثها وتخزينها ... ولا يمكن للإنسان أن يتخلص من الذكريات القديمة أو ينساها كما يحدث في جهاز الكمبيوتر حين نعمل على مسح الملفات التي لا نحتاجها، فهذه الذكريات وخاصة ذات الأهمية تبقى عالقة إلى الأبد ويعمل الدماغ أثناء النوم على إعادة تحديثها وظهورها بشكل طبيعي للتعبير عن نفسها في الأحلام"[2].

فالإنسان يقضي حوالي ثلث عمره في النوم، وقد اكتشف العلماء أن حالة النوم عند الإنسان هي ليست مستمرة ومنتظمة، وإنما تحتوي على مراحل متباينة، وكل مرحلة لها صفاتها الفيزيولوجية والبيولوجية، وهذا بعدما أُكتشف جهاز تخطيط كهربائية الدماغ EEG الذي بواسطته يتم تسجيل النشاط الكهربائي للمخ أثناء النوم، وقد أمكن عن طريق هذه

[1] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 2001، ص 1466.

[2] د. سليمان الدليّمي: عالم الأحلام- تفسير الإشارات والرموز، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة 2006، ص 58-59.

الوسيلة معرفة الفرق بين نشاط المخ في حالة الإستيقاظ وفي حالة النوم بمراحله المختلفة ومعرفة فترات الأحلام.

ولقد استطاع العلماء أن يقسموا حالة النوم إلى أربع مراحل: "المرحلة الأولى: وهي مرحلة انتقالية ما بين الإستيقاظ والنوم وفي هذه المرحلة تصبح الأفكار عائمة، وتفاعل الفرد للتنبيهات الخارجية يكون أقل، وتستمر عدة دقائق.

المرحلة الثانية: تحدث بعد حوالي خمس دقائق، حيث تشاهد موجات مغزلية من الجهاز Eeg وتسمى Sleep Spindles.

المرحلة الثالثة: يتغير التسجيل في الجهاز EEG وتظهر موجات دلتا وهي أبطأ في ترددها من المرحلة الثانية ... وقد وجد أن حركات العين في المراحل الثلاث السابقة لا تكون سريعة وتستمر هذه المراحل حوالي 90 دقيقة.

المرحلة الرابعة: وبعد مرور حوالي 90 دقيقة من بداية النوم تبدأ هذه المرحلة التي تتميز بسرعة في حركات العين ويزداد النشاط الكهربائي للمخ ليقارب ما يشاهد في حالات الاستيقاظ، وهنا قد تبدأ أولى فترات الأحلام ... وتتميز أيضا بارتخاء شديد في عضلات الجسم كلها ... وتستمر عادة فترة الحلم حوالي 5 – 10 دقائق، بعدها يعود الإنسان ويدخل في المرحلة الثانية، ويتكرر في الليلة الواحدة عدة مرات كل حوالي 70 إلى 90 دقيقة.

ومعظم الأفراد الأصحاء الطبيعيين يمرون بحوالي أربع فترات من النوم حركات العين السريعة REM التي يمكن أن تحتوي على الأحلام حتى ولو لم يتذكر هذا الفرد عند الاستيقاظ أي حلم منها"[1].

وهكذا فإن هذه الأبحاث الاختبارية على النائمين تفضي إلى أن كل نائم يمر عبر فترات محددة من النوم الغير حالم وتليها فترات أخرى من النوم الحالم، وبأن الفرد خلال فترات النوم الحالم، ولا نتذكر إذا تذكرنا إلا الحلم الأخير من أحلامنا وهو الحلم السابق

[1] د. سيد الحديدي: باختصار عن الأحلام، شعاع للنشر والعلوم الرباط الطبعة الأولى، سنة 2009، ص 7 و 8.

ليقظتنا كما أن "أحلام الفترة الأولى من النوم الحالم التي تحدث عادة بعد حوالي 90 دقيقة من بداية النوم هي أحلام قصيرة المحتوى، يكون التنفس فيها منتظما وحركة العينين السريعة قليلة، وقليل المحتوى الحسي البصري، والحالم له مقدرة أقل على تذكر محتوى حلمه بينما أحلام الفترات الأخيرة من النوم التي تقع ضمن النصف الأخير من النوم الحالم فهي أطول وأكثر زخما ووضوحا، كما أنها تقترن باضطرابات أعظم في التنفس وبحركة للعينين أكثر وضوحا وقوة وبعاطفة أكثر شدة ولها معنى مما يسهل تذكرها للذين يملكون مقدرة للتذكر"[1].

وإذا يمكن للأحلام أن تحدث في فترات النوم الحالم بصورة متكررة ومستمرة ولكن الأحلام التي يتذكرها الإنسان تحدث في المرحلة الأخيرة من النوم أو الساعات الأخيرة للنوم، ويتكرر حدوث هذه الدوريات في الليلة الواحدة ما بين أربع إلى خمس مرات، وأغلب الناس لا يتذكرون إلا الأحلام التي تحدث عند الصباح، وقد لا يتذكرها الفرد إطلاقا، ولكن عدم القدرة على التذكر لا يعني عدم حدوثها أو كما يتصور البعض أنهم لا يحلمون والحقيقة أنهم لا يتذكرون أحلامهم.

2- كيفية حدوث الأحلام و تفسيرها:

إن تجربة الأحلام منذ أقدم الأزمان وحتى الآن مثيرة للتعجب لا من حيث محتواها، وهو محتوى عجيب في معظمه لا يتوافق مع خصائص حياة الفرد وتجاربه اليومية المألوفة، وإنما حتى من حيث الكيفية التي تحدث بها الأحلام في أثناء النوم، ومنذ القدم وحتى اليوم تتوالى النظريات والمعتقدات حول كيفية حدوثها وقد سبق ذكرنا بعض هذه النظريات وخاصة التي تعلقت بالحضارات القديمة بما في ذلك الأقوام البدائية "في المدخل" وفي ما يلي سوف نوضح طريقة حدوثها وفق النظريات العلمية الحديثة ولعل أرسطو هو أول من ابتعد عن المعتقدات القديمة التي وجدت في الأحلام مصدرا إلاهيا، وذهب في تفسيره للأحلام إلى حدوثها على أساس مادي بيولوجي ذلك أن الفرد حسب أرسطو يقع تحت تأثير

[1] د. علي كمال: باب الأحلام، سلسلة أبواب العقل الموصدة المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة الثالثة سنة 1994، ص 67.

أحاسيس خارجية عديدة أثناء اليقظة وما يتبقى منها من انطباعات كاف لإحداث الأحلام حيث يقول في ذلك "وحتى بعد أن نغادر الموضوع الخارجي للإحساس، فإن الإنطباعات تبقى، وتصبح هذه في حد ذاتها مواضيع انطباع ... وهذه الانطباعات سواء صدرت من الخارج أو من داخل الجسم، فإنها تظهر نفسها أثناء النوم بانطباع أشد، ذلك لأن الفكر والأعضاء الحسية لا تبعدها"[1].

وخلاصة رأي أرسطو أنّ الأحلام تحدث إثر انطباعات حسيّة مستمدة من بقايا انطباعات حسيّة خارجية أثناء اليقظة أو من إنطباعات حسية صادرة من داخل الجسم والتي صرفنا التفكير عنها .

أما ابن سينا في تحليله لكيفية حدوث الأحلام فقد انتهج نهجا علميا مخالفا لما كان معروفا في وقته.

ونظرته في ذلك "أن الأخلاط والعصارات من الجسم والتي تصل إلى الدماغ عن طريق الدورة الدموية، فإن لها إذا ما ملكت من الحدة الكافية أن تثير منطقة ما في الدماغ، فإذا حدث ذلك أثناء النوم، فإن هذه الإثارة تؤدي إلى إظهار محتوى الذاكرة ... وهذه الاستعادة هي ما يعرض للنائم في حلمه"[2].

وهذه النظرية هي قريبة من النظرة العلمية الحديثة للأحلام ، والتي ترى بأن الأحلام تحدث إثر التنبيهات التي تحدث للدماغ أثناء النوم سواء بفعل كيمياوي أو بفعل كهربائي أو بكلاهما، والتي تؤدي إلى تنبيه بعض محتويات الذاكرة المخزونة في المناطق الدماغية.

أما النظريات النفسية والتي عارضت النظريات السابقة في تفسيرها لكيفية حدوث الأحلام ، فقد يطول بنا الحديث جدا لو أردنا أن نقدم نظر لكل علماء النفس لكيفية حدوث الأحلام ، وكيفية تحليلهم لها لذلك سوف نقدم ولو جانبا يسيرا من الآراء ، والتي سوف نجملها في مدرسة التحليل النفسي "لفرويد" والسيكولوجيا التحليلية "ليانغ" ومدرسة علم النفس الفردي "لآدلر".

---

[1] د. علي كمال: باب الأحلام، مرجع سبق ذكره ، ص 69.

[2] نفس المرجع السابق، ص 69.

أ- مدرسة التحليل النفسي لفرويد[*]:

يعتبر اللاشعور أهم اكتشاف توصلت إليه نظرية التحليل النفسي والذي يعتبر مستودعا كبيرا لكثير من الطاقات و الأفكار و الرغبات المكبوتة ، و قد وضع فرويد نظرية اللاشعور ودورها الأساسي في الحياة النفسية وعمّق هذه النظرية ووسعها ليفسر بها كيفية حدوث الأحلام.

"يرى فرويد أننا نحمل جميعا في دواخلنا مثل هذه الرغبات اللاعقلانية (أي اللاشعورية) التي كبتناها بناءا على وطأة المقتضيات المجتمعية، لكننا لا نقوى على التخلص منها تماما، فعندما تخف رقابة الوعي خلال النوم، تدب الحياة في تلك الرغبات وتأخذ بالإفصاح عن نفسها في أحلامنا"[1].

ثم يذهب فرويد إلى أبعد من هذا ، فيربط بين نظرية الأحلام ووظيفة النوم في مقولته المشهورة "الأحلام حارس النوم" وهو يرى أن أصل الحلم قد يكون رغبة من رغبات حالة اليقظة عند الإنسان وتكون متموقعة فيما قبل الشعور، فتلقى دعما أثناء النوم من أحد العناصر اللاشعورية وتظهر في شكل أحلام، وهنا يحافظ الإنسان على حالة النوم.

أما إذا تعرض الإنسان إلى رغبات عنيفة فيستيقظ من حالة النوم وهو ما أشار إليه فرويد من خلال قوله "فما الذي ينبغي لنا أن نقوم به عندئذ لكي نظل نائمين سوى أن نتخيل أن رغبتنا قد لبيت وأشبعت، وهكذا فإننا نتذوق حلاوة الانشراح والإشباع بدلا من أن نعاني من وطأة الكبت والقمع"[2].

وهكذا يصل فرويد في دراسته إلى الجزم بأن جوهر الحلم هو تلبية الرغبات اللاشعورية ، وأنّ وظيفته هو الحفاظ على النوم، لهذا تحدث الأحلام.

---

[*] سيغموند فرويد :من مواليد 1856 بمورافيا وهو طبيب نمساوي اختص في الأمراض العصبية ومؤسس مدرسة التحليل النفسي التي اهتمت بعلاج الأمراض النفسية والعصبية ، تميز بثقافة عامة وواسعة، من أهم مؤلفاته كتاب ،تفسير الأحلام، الذي صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1900، ونشر بالتوازي معه نظريته حول أمراض العصاب والأحلام وتوفي سنة 1939.

[1] إريك فروم: اللغة المنسية، مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير ، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، سنة 1995، ص 53.

[2] نفس المرجع، ص 54.

ب- السيكولوجيا التحليلية يانغ[*]:

لقد اختار يانغ - وهو من زملاء فرويد - طريقته الخاصة به في مجال التحليل النفسي لتفسير كيفية حدوث الأحلام، فقد اتفق مع فرويد على أنها تعبير عن حالة لا شعور ولكن أكثر من ذلك إتجاها إلى المستقبل، فالحلم في نظره يحدث لتعيين غايات وأهداف إذ يعتقد "أن النفس كائن إنتقالي لذا يجب تعريفها بالضرورة بناء على وجهيها، فهي من جهة تقدم لنا لوحة عن بقايا الماضي وآثاره، كما تقدم لنا من جهة أخرى وفي هذه اللوحة نفسها معالم المستقبل نظرا لأن النفس تبدع بحد ذاتها مستقبلها الخاص"[1].

إذا الأحلام حسب يانغ لا تحدث فقط لأن اللاشعور يريد أن يخبرنا بشيء ما ، وإنما تحدث كذلك لأن تطلعنا على أمر في المستقبل. وقد انطلق يانغ في تفسير ذلك من أحلامه الخاصة، فقد رأى خلال خريف 1913 أن محيطا من الدم ينحدر من جبال الألب ليغرق كل الحضارة الغربية، ثم في ربيع 1914 جاءته سلسلة من الأحلام أن جليد القطب الشمالي يهبط على أوربا فيجمدها، وبعد أشهر قليلة من هذه الأحلام هبت واندلعت عواصف الحرب العالمية الأولى.

لذلك يعتقد يانغ أن الأحلام قد تحدث لإخبارنا بأمر ما "الأحلام كثيرا ما توحي بما قد يحدث وما يخبؤه القدر للإنسان من أقدار وإمكانيات وأحداث"[2]

ج- مدرسة علم النفس الفردي أدلر[*]:

---

[*] يانغ: كارل غوستاف يانغ من مواليد 1875، ببلدة كوسويل من مقاطعة تروغوا بسويسرا ، تلقى علومه في مدينة بارزو تخرج على إثرها طبيبا في الأمراض العقلية، وهو صاحب المنهج المعروف بـ -اختبارات التداعي-كما قام بإرساء قواعد الطب النفسي التحليلي الجديد وعين رئيسا لهذه الجمعية الدولية، كان من زملاء فرويد تم اختلف معه فشقّ لنفسه مدرسة خاصة به أسماها السيكولوجيا التحليلية أو علم النفس التحليلي توفي عام 1961.

[1] إريك فروم: اللغة المنسية، ص 87.

[2] فريد إبراهيم الدر: علم الأحلام، منافعها ومحتوياتها ونظرياتها، الدار العربية للعلوم، بيروت ، الطبعة الأولى، سنة 2000، ص 134.

[*] الفرد أدلر من مواليد 1870 بفينا، كان ذا بنية هزيلة، درس علم النفس والاقتصاد السياسي والاجتماع، وأتم دراسته في الطب فتخرج من جامعة فينا طبيبا عام 1895، ثم عزم التخصص في دراسة الأعصاب والتحق بفرويد، وكان مولعا بأفكاره وآرائه لكن سرعان ما انشق عليه وأسس السيكولوجيا الفردية، أو ما تسمى بمدرسة علم النفس الفردي، توفي عام 1938.

يذهب أدلر إلى النظر للأسس السيكولوجية التي تشكل مجتمعه مع بعضها البعض مختلف نشاطات الفرد، حيث يفسر كل جانب منها الجانب الآخر.

والأحلام لا يمكن فهمها وتفسير طريقة حدوثها إلا إذا ربطناها بمختلف نشاطات الفرد وسلوكاته "لا نفهم ظاهرة مفردة من ظاهرات الحياة النفسية إلا في علاقتها بالظاهرات الأخرى"[1].

والأحلام بالنسبة "لآدلر" ما هي إلا وسيلة لالتماس الحلول السهلة للمشاكل التي يصادفها الإنسان في حياته والتي لم يلقى لها حلول في الواقع، فحسب رأيه لو استطاع الإنسان أن يهتدي إلى حل المشاكل التي يتعرض لها في الحياة لتمتعنا بنوم هادئ خال من الأحلام.

ولكننا في أحيان كثيرة نفتقد إلى ذلك ولا نستطيع حل كل المشاكل التي نتعرض إليها والضغوطات، ومن تم يحدث "الحلم تكملة للجهد الذي نبذله في حل المعضلات التي تعرض لنا، يسر تلك المشكلات ويزيد فيها تسهيلا وتيسيرا حتى يصل إلى الحل بتأييد الأسلوب الذي اتخذه المرء في حياته"[2].

إن هذه النقطة بالذات شغلت تفكير أدلر منذ مطلع انشغاله بتفسير الأحلام ، إلى أن وصل في الأخير إلى نتيجة وهي (أن الحلم محاولة لحل مشاكل الحياة).

"إننا نتحاشى السقوط أثناء النوم ونتخذ الوضع الذي نستشعر فيه الراحة، حتى يتضح لنا أننا نستمسك ونحن نيام بعا لم الواقع، ولو أن النوم يخفف عنا كثيرا من قيوده ومن أوضاع الجماعة التي نعيش فيها"[3].

وبهذا يعتبر أدلر الحلم وسيلة وأداة لاستثارة الأحاسيس والانفعالات من أجل الوصول إلى الحالة الوجدانية التي يخلفها وراءه، خاصة وأن الإنفعالات ترسم حسب أسلوبنا في الحياة، فإذا عاش منّا الفرد أياما مزدحمة بالمشاكل فإنها تلاحقه حتى في النوم.

---

[1] د. إسحاق رمزي: علم النفس الفردي، دار المعارف ، الطبعة الثالثة سنة 1981، ص 131.

[2] نفس المرجع السابق، ص 131.

[3] نفس المرجع، ص 138.

وبصفة عامة ورغم اختلاف هذه المدارس الثلاثة في طريقة تفسيرها لحدوث الأحلام إلا أنها تصب في نفس الوعاء وهي أنه في النوم ينخفض مستوى النشاط الحركي والذهني ولكن لا ينعدم ، ويتضح ذلك من خلال استجابة النائم لكثير من المنبهات الخارجية التي تطرأ عليه أو الداخلية بما في ذلك اللاشعور "إن المراكز العصبية الدماغية لا تكون في حالة سكون تام بل تكون في حالة شبيهة بحالة التخدير العميق، ولا يزال بعضها الآخر يواصل نشاطه ولكن على نحو ضئيل منقطع، وقد تثير التنبيهات الداخلية أو الخارجية أو أنّا من الصور الذهنية فيراها النائم فيما يعرف بالأحلام.

وهناك صلة بين الأحلام ومشاكل النهار أو ما ورد على الذهن من خواطر وأفكار أثناء اليقظة حيث أن الفرد يحلم أكثر من حلم واحد في النوم"[1].

وقد تمتد صلة الحلم بحوادث الحياة الماضية البعيدة وخاصة الصدمات والأزمات الانفعالية والتجارب العاطفية ، والتي لا تنتهي وفق رغبات الشخص فتعود لتظهر في الأحلام ويكون بذلك الحلم تحقيق لرغبة مكبوتة بعيدة.

أما الدراسات الحديثة والتي نقصد بها البيولوجية ، تختلف في طريقة تفسيرها لحدوث الأحلام مقارنة مع النظريات السابقة التي ذكرت، ففي هذا الصدد قمنا بالاتصال بمصلحة الطب العصبي للمستشفى الجامعي تلمسان الدكتور "مصطفى دمرجي" حيث اجرينا مقابلة مع بروفيسور مختص في تشريح الجهاز العصبي ، أين قمنا بالاستفسار عن كيفية حدوث الأحلام و الاعضاء المشاركة فيها ،و هنا أفادنا البروفيسور :

بأن حدوث الأحلام يشمل عدة أعضاء تشارك في إحداث هذه الظاهرة بدءا بحركات العين السريعة وحركة عضلات الأذن الوسطى إضافة إلى الحركة الدماغية وما يترتب عليها من زيادة في نبضات القلب والتنفس وضغط الدم وصولا إلى التغيرات الكيماوية والهرمونية التي تحدث في الجسم، وهي مواد معروفة بالتنبيهات العصبية والتي تقوم بمهام نقل الرسائل العصبية من خلية إلى أخرى ، وقد أثبت علميا أن هذه الظواهر البيولوجية ضرورية

---

[1] د. كمال وهبي ، ود. كمال أبو شهدة : مقدمة في التحليل النفسي ، دار الفكر العربي بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة 1997، ص 69-70.

لحدوث الأحلام، أو على العكس أن الأحلام هي تجربة ضرورية لازمة لقيام هذه الظواهر المتزامنة، وفي نفس الصدد يضيف البروفيسور:

بأن الأحلام تحدث إثر تنبيهات عصبية وذلك بإثارة عصبية في مراكز معينة في منتصف الدماغ ، وبواسطة مجموعة من الخيوط العصبية تنتقل إلى نواة وهي مختصة بالعملية الإبصارية ، ومن هذه الأخيرة ينتقل إمداد آخر أو تنبيه آخر إلى القشرة الدماغية فتبدأ عملية الأحلام مع ما يصاحبها من فعاليات ونشاطات العين السريعة والحركة الدماغية وما يترتب عليها من تغيرات فيزيولوجية بالجسم كزيادة دقات القلب والتنفس السريع وارتفاع الضغط...

ثم يضيف البروفيسور بأنه أثبت علميا، وجراحيا بأنه إذا ما حدث إتلاف أو تعطيل في منطقة ، pons وهي منطقة في النصف الأسفل من الدماغ والتي يفترض بأنها مسؤولة على عملية الحلم أو نوم الحالم فإن تعطيلها يؤدي إلى توقف الأحلام.

وهنا نخلص إلى أن العقل هو الذي يمدنا بعملية الأحلام لأن أي خلل على المستوى المذكور يؤدي إلى انقطاع الأحلام.

إن هذا التغير الذي يوضح لنا النشاطات التي تحدث في الدماغ قبل بداية الحلم يمدنا بفعاليات بيولوجية متعددة الأطراف ، والتي تحدث نتيجة إشارات من داخل الدماغ نفسه، ولكنه في نفس الوقت لا يفسر الصور التي تأتي بها الأحلام خاصة الغريبة منها والغير متسلسلة أو التي تتميز بالغموض والرموز الغير مفهومة وغير ذلك من الخصائص التي تتصف بها الأحلام عامة.

3- الخصائص السيكولوجية المميزة للأحلام:

إن الأحلام من الناحية السيكولوجية تتصف بخيالات وهلوسات سمعية وحسية وبصرية وحتى حركية ... وفي بعض الأحيان يصاحبها ظهور حاسة التذوق والشم ... كما أن الإحساس بالألم موجودا فكثيرا ما ينخرط الحالمين أثناء أحلامهم في معارك جسدية عنيفة ، و ربما يحلم المرء بأن جزء من جسده تم قطعه أو تشويهه.

وإذا تطرقنا إلى الخصائص النفسية المميزة للحلم فذلك "لنميزه بخصائصه هذه عن باقي الظواهر النفسية لاسيما عن الوعي ، وأهم خاصية للحلم هي أن له معنى ، ... هذا المعنى يأتي من تاريخنا النفسي"[1]. والمعنى الذي يظهر في الحلم ليس هو الحلم كله فما يظهر في الحلم من أحداث هو مجرد شيء بسيط جدا يظهر ويطفو على السطح مقارنة مع ما هو موجود في الأعماق.

وتعتبر الأحلام ولا تزال من أهم وسائل الكشف عن ديناميات الشخصية ومكوناتها النفسية وأبعادها . "إذا كانت مذكرات الشخص أو يومياته أو كتاباته التي بينه وبين نفسه هي من وسائل الإحاطة بما يفكر فيه وما يدور في نفسه ، فإنّ الأحلام هي الأكثر فائدة في هذا المجال وذلك لأن الكبت يعمل عمله في الكاتب عند كتابته المذكرات أو اليوميات ... وأما في الحلم ، فالكبت أقل عملا والحلم أقدر على التعبير عن الأماني والرغبات والحاجات والآمال والمخاوف التي تعج بها نفس صاحب الحلم"[2].

فكثيرا ما نجد الحلم يتجه بمشاهده إلى الماضي أو إلى المستقبل ومنه ما هو هروب من الحاضر إلى الماضي، ومنه ما هو هروب من الحاضر إلى المستقبل وذلك لتصارع الرغبات بين مشاعر الندم ومشاعر الفرح، فينفخ الحلم في هذه المشاعر حياة جديدة تجعل كل حلم فريد بنوعه.

وقد ميز الباحث (Picat-j) مجموعة من الخصائص النفسية التي تميز الحلم والتي ذكرها في:

"1- خمود حركي معوض بالمشاركة الانفعالية للحالم أثناء حلمه.

2- المعاش الحالي يكون في الحاضر.

3- غياب واضح للمنطق ما عدا استخراج المنطق الداخلي الخاص بالأحلام انطلاقا من سلسلة الدلالات التي يريد أن يتخذها الحلم منفسا له للظهور على ساحة الشعور.

4- انعدام التسلسل الزمني مع دمج اللقطات التي تتخلل الأحلام.

---

(1) Valery-p - " question du rêve" paris Gallimard, 1er Ed 1979, p 230.

(2) عبد المنعم الحنفي: موسوعة عالم علم النفس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2005، ص 33.

5 – انغماس كلي للحالم في محتوى الحلم المعاش"[1].

فالحلم كنشاط نفسي عقلي عبارة عن ترتيب وتجمع أحداث نفسية يعيشها الشخص النائم وجدانيا دون أن تصدر عنه حركات فعلية إرادية، إذ يكون منغمسا في النوم، وظهور المحتوى الحلمي مرتبط بالقوى النفسية التي تنشط على مستوى اللاشعور.

كما أن النوم يساعد على الإسترخاء لذلك تظهر فيه صور بصرية يعيشها الشخص وكأنه في حالة اليقظة ، حيث يشعر وكأنه غير نائم أين نجد الشخص يعايش أحداث الحلم بالمشاركة الوجدانية ، و يؤكد ذلك فرويد حين يقول "عناصر الحلم ليست مجرد تصورات، وإنما تجارب نفسية حقيقية وواقعية تشبه تلك التي تحدث في اليقظة عن طريق الحواس ... فأثناء اليقظة نتصور ونفكر بفضل صور كلامية ولغوية، أما أثناء الحلم فبواسطة صور حسية"[2].

ففي الحلم لا يفكر الإنسان وإنما يعيش الأحداث، وعند الاستيقاظ فقط يدرك المرء أنه لم يعش تلك الأحداث بل كانت مجرد حلم ، والأحلام التي يتذكرها الشخص هي تلك التي تترك انطباعا قويا وقد يكون مصدرها عميق في النفس لذلك تشكلت في صور بصرية إذ أن "النص التصوري للحلم تغلب عليه الصور البصرية"[3].

إن النشاط النفسي أثناء اليقظة يختلف عن الذي يكون في الحلم فلو كان نشاطنا السيكولوجي نفسه ما بين اليقظة والنوم، لا يكون الحلم حينئذ إلا استمرارية بأقل كثافة لحياتنا في اليقظة ، وبالتالي يمكن أن يكون له نفس المادة ونفس الشكل. لذلك كان النشاط العقلي مبنيا على المفاهيم وليس على الصور بخلاف الحلم الذي يبنى تقريبا على الصور.

إن الحلم لا يعتمد فقط على الصور البصرية إنما أيضا على الصور السمعية وهذا ما أشار إليه فرويد في "الحلم يفكر عن طريق الصور البصرية، لكنه لا يستبعد الصور الأخرى،

---

(1) Picat (J) « le rêve et ses fonctions » paris, Masson 1984, p 230.

(2) Freud S « l'interprétation des rêves», paris, p ,u, F, 2ème Ed, 1967, p 53.

(3) Guillaumin (J) « le rêve et le moi : rupture, continuité, création dans la vie psychique, paris, P. U.F, 1979, p 136.

فهو يستعمل كذلك الصور السمعية ، وبشكل ضئيل الإنطباعات ذات مصادر حسية أخرى ، فقط العناصر التي تظهر على شكل صور أي التي تشبه المدركات هي التي تميز الحلم أكثر"[1].

إذ إن الصور الحسية الأخرى موجودة ولكن قد تغلب عليها الصور البصرية أو تفهم ضمنيا من خلال الصور.

وبصفة عامة من الخصائص المميزة للأحلام أنها تجمع بين تناقضات كثيرة بحيث أن التسلسل المنطقي أو الزماني قد ينعدم ، ويرجع هذا إلى الرقابة التي تعمل على تشويه الحلم حتى لا يهدد التوازن الداخلي للشخص النائم.

كما أنه من بين الخصائص السيكولوجية المصاحبة للأحلام الحالات الإنفعالية العاطفية كاللذّة والألم ، أو القلق والغضب بأنواعه كالخوف والرعب الذي يصاحب بعض الأحلام الكابوسية.

ونستنتج مما سبق أن الحلم وإن كان يحتوي على انفعالات عاطفية إلا أنه يقوم على حماية النوم لتجنب الاستيقاظ لتلك الأحداث التي تظهر فيه وكأنها معاشا حقيقي يجمع بين البقايا النهارية والمكبوتات اللاشعورية "إن الحلم يشكل جزء من النشاط غير المنقطع للاشعور، وهو سلسلة من الأحداث النفسية الداخلية والتي يصل إلا جزءا منها إلى وعي وشعور النائم"[2].

والحلم باعتباره يعبر عن رغبة، فهو يعد مجالا لتفريغ المكبوتات وبذلك يساهم في إشباع وتحقيق ما لا يمكن تحقيقه في الواقع الموضوعي.

كما أنه يمكن الإشارة إلى أن من خصائص الحلم السيكولوجية ، عدم نفاد قوانين المنطق إلى اللاشعور الذي يمكن أن نسميه بمملكة اللامنطق، فالدوافع ذات الأهداف المتناقضة قد تعيش جنبا إلى جنب في اللاشعور، دون أن تكون هناك حاجة للتوفيق بينهما وقد لا يكون لتجاورهما أي أثر "قد يتضمن عناصر يمتنع اجتماعها معا في وقت واحد،

---

(1) Freud (S) « l'interprétation des rêves», 1967, p 51.

(2) Teillard (A) « ce que disent les, le symbolisme du rêve», paris, stock plus, 1986, p 34.

وكذلك ليس في اللاشعور فصل بين الأضداد بل إنها تتعامل فيه كمترادفات، لذلك فأي عنصر في الحلم الظاهر قد يعني أيضا ضده"[1].

وبصفة عامة إن كل هذه الخصائص السيكولوجية التي ذكرت والمميزة للأحلام حسب رأي جمهور العلماء إنما هي لحراسة النوم والإبقاء عليه متواصلا، لذلك يتم إرضاء كل النشاطات العقلية اللاواعية حتى وإن كانت متناقضة إذ أن بدون هذا الإرضاء يضطرب النوم ويدفع بالفرد إلى الاستيقاظ.

4- منبهات الأحلام ومصادرها:

تأتي الأحلام بصور مختلفة ومتنوعة، ولعل هذا الاختلاف قد يكون راجع إلى تعدد مصادرها في تفاعلها مع ذات الحالم لتساهم في الإخراج النفسي لتكوين الحلم.

فبعض الأحلام لها صلة بأحداث اليوم السابق وانطباعات الأحداث الأخيرة التي يمر بها الفرد أو يحدث بها نفسه في اليقظة، فيراها في نومه، وهذه الأحلام قادرة على أن تختار مادتها ومصادرها من أي فترة من فترات الحياة ما دام ثمة خيط فكري يصل بين خبرة يوم الحلم وبين سابقاتها.

ولكن محدثي المنهج النفسي في تحليلهم للأحلام وعلى رأسهم سيغموند فرويد يجزمون بعد دراستهم لهذه الظاهرة أنه يمكن تمييز عدة منبهات والتي تعد بمثابة مصادر للحلم وهي كما يلي:

* منبهات حسية خارجية أو موضوعية.
* منبهات حسية داخلية أو ذاتية.
* منبهات جسمية باطنية أو عضوية.
* مصادر نفسية خاصة للتنبيه.

أ- المنبهات الحسية الخارجية أو الموضوعية:

---

[1] سيجمون فرويد: معالم التحليل النفسي، ترجمة محمد عثمان نباتي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الطبعة الخامسة، سنة 1986، ص 80.

إن نفس المرء أثناء النوم تبقى على صلة لا تنقطع بالعالم الخارجي ولذلك تكون المنبهات الآتية من الخارج في كثير من الأحيان مصدر للأحلام، وفي هذا الصدد يرى فرويد "التنبيه الحسي الموضوعي يلعب دورا ثانويا في تكوين الحلم. وهناك عوامل أخرى تحدد اختيار الصور التي تستحضرها الذاكرة"[1].

ويقصد بالمنبهات الحسية الخارجية تلك المنبهات التي تأتي من العالم الخارجي المحيط بالفرد ، والتي تعتبر بإثارتها للفرد عاملا مشوشا على الحلم "كإحساسه بالبرد في أجزاء الجسم، ... إحساسات مزعجة ناجمة عن وضعيات الجسم غير المريحة، ضيق التنفس، والإحساس بالمعارضة الناجمة عن ثقل الغطاء. هذه العوامل لا تؤدي إلى الاستيقاظ مباشرة، إنما تفسر من طرف وعي الحلم (la conscience du rêve) وتثير صورا ذات علاقة بها"[2].

فهذه المنبهات الحسية الخارجية يمكن لها التأثير في محتوى الحلم فقد ينفد ضوء ساطع إلى أعيننا أو تبلغ ضوضاء سمعنا، أو رائحة قوية أنفنا أو نتحرك في أثناء النوم حركة غير إرادية فينكشف جزء من جسمنا ويتعرض للبرد، أو نتخذ وضعية ما تكون سببا في إحساسنا بالضغط أو تلسعنا بعوضة ... فتكون هذه العوامل بدرجاتها المتفاوتة مصدرا من مصادر تكوين الحلم.

وقد صادفتنا حالة من هذا النوع أثناء جمعنا لمادة الأحلام و هي حالة ياسين شاب يبلغ من عمره أربعا وعشرين سنة ، كان نائما في الصيف بعباءة خفيفة وفي جيب عباءته ساعة قديمة دائرية الشكل وبها سلسلة طويلة، وبينما هو مستغرق في النوم على ظهره ، تحرك إلى جهة معينة فتحركت الساعة من جيبه وتسللت إلى عنقه، فحلم بثعبان يتسلل من حوله، ثم صعد على صدره فإذا به يلتف حول رقبته، فمد يده بقوة خاطفة وألقى به بشدة في الأرض ونهض قائما وهو يصيح بشدة ثعبان ... ثعبان ... فأتت أمه بسرعة وأخبرها بأنه ألقى بثعبان من فوق عنقه على الأرض ولما فتشت الأم الغرفة وجدت

(1) Freud (S) « l'interprétation des rêves », 1967, p 35.

(2) Bossard (R) « psychologie des rêves», paris, Payot, 1972, p 48.

ساعته مكسرة وبها السلسلة الطويلة التي تسللت من جيب العباءة نحو عنقه. وهنا المنبه الخارجي واضح.

فهذا المنبه الخارجي كان مصدرا للحلم إذ "يشير كل صوت يدرك إدراكا غير مميز، صورا حلمية توافقه، كأن ينقلب الرعد إلى الحلم بالحرب والدق على الباب إلى الحلم باللصوص والغزاة ..." [1].

فالمنبهات الخارجية عندما تظهر في الحلم تظهر بشدة أكثر ولا تظهر بصورتها الحقيقية بل تحل محلها صور أخرى مرتبطة بطريقة معينة ، وتترك انطباع معين يثير صورا على حسب قيمته النفسية ، والذي قد يؤدي إلى الإستيقاظ في حالة ما إذا كان المنبه الخارجي قوي.

ب- المنبهات الحسية الداخلية أو الذاتية:

تعتبر المنبهات الحسية الخارجية من بين مصادر الأحلام في النوم ، إلا أنها ليست الوحيدة التي تنشّط كل الصور الحلمية، وغير كافية لتحليل وتفسير جميع مشاهد الأحلام، فصور الحلم منبعثة كذلك من التنبيه الحسي الداخلي بحيث أن جزءا جوهريا من أوهام الأحلام يرجع إلى الإحساسات البصرية والسمعية التي نألفها في حالة اليقظة "التهيجات الحسية والذاتية من حيث هي مصدر من مصادر الحلم لها خاصية واضحة على المنبهات الموضوعية، إذ إنها لا تتوقف على مجرد الصدف الخارجية، لكنها رغم ذلك تظل صعبة للإثبات عن طريق الملاحظة والتجريب كونها ساهمت في إثارة الحلم، والشاهد الوحيد الذي يؤكد قوة التهيجات الحسية الذاتية على إثارة الحلم يتلخص فيما يعرف باسم هلاوس ما قبل النوم ... التي تظهر في فترة الأخذ في النوم"[2].

إذن الصور الحلمية تنال قسطا معتبرا من الإثارة أو التهيجات الحسية الداخلية، وتظهر كذلك في شكل هلاوس سمعية سواء عن طريق ألفاظ أو أسماء أو أصوات وغيرها

---

(1) Freud (S) « l’interprétation des rêves», 1967, p 30.

(2) Freud (S) « l’interprétation des rêves » 1967, p 37.

على نحو ما تفعل الصور البصرية ثم تتردد هذه الهلاوس فيما بعد في حلم ما، كطنين في الأذن أو صراخ الأطفال أو صوت آلات ...

ولكنها ليست الوحيدة التي تنشّط الحلم وتثيره للظهور وإنما هناك كذلك:

ج- المنبهات الجسمية الباطنية أو العضوية:

كالاضطرابات والأمراض التي تصيب الأعضاء الباطنية فتعمل على إثارة الأحلام، فكثيرا ما تكون حالة التهيج أو المرض مصدرا لحلم ما. "فالنفس تصبح أثناء النوم أعمق وأشمل إحساسا بجسمنا منها في اليقظة، إذ تضطر خلاله إلى استقبال ما لا تحس به أثناء اليقظة من انطباعات تصدر عن أجزاء الجسم أو ما يصيب هذا الأخير من تغيرات تضطر إلى التأثر به"(1).

فالأعضاء المصابة تعطي صبغة مميزة لمحتوى الحلم فإذا اضطرب الهضم مثلا تضمنت الأحلام أفكارا تتعلق بالاستمتاع بالطعام أو الاشمئزاز منه وإذا أصيب الفرد بمرض القلب تتضمن أحلامه مشاهد الموت ومواقف رهيبة وإذا ما أصيب الفرد بمرض الرئتين يحلم صاحبه بالاختناق والزحام والحرارة وهكذا ...

ومن المؤشرات الملموسة لقوة التنبيهات الجسمية العضوية على إثارة الأحلام التهيج الجنسي.

وهذا يعني أن مختلف الإحساسات العامة التي ندركها خلال اليقظة إدراكا مبهما أو في شكل صور غامضة والتي تكون مصدرها أنظمتنا العضوية ، يشتد تأثيرها ليلا وتكون بذلك بعثا قويا لصور الحلم.

د- مصادر نفسية خاصة للتنبيه:

إن منبهات الحلم السابقة الذكر سواء كانت حسية خارجية أو داخلية أو عضوية قد تكون مصدرا لأحلامنا على رأي فرويد الذي قال أنه لو لم ننزعج أثناء النوم لما حلمنا، فالحلم قد يكون استجابة لأي إزعاج ، ومهما ساهمت في إثارة صور الحلم إلا أنه لا يمكن

(1) سيجمون فرويد: الأحلام، في سبيل موسوعة نفسية، ترجمة د. مصطفى غالب، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الخامسة، سنة 1989، ص 34.

أن تنافس المصدر الحقيقي للصور الحلمية المتمثلة في التنبيه النفسي الذي يلعب دورا أساسيا في استحضار الصور المكونة للحلم. فالحلم يستمد مادته من اليقظة سواء تعلقت هذه الأخيرة بالنوم السابق للحلم، أو بالأيام القليلة الماضية أو أبعد من ذلك أي امتدت إلى زمن الطفولة، حيث تسترجع بعض الذكريات والأحداث المنسية والعامل الأساسي لاستحضار هذه الأحداث كلها هي الذاكرة التي تعمل على استدعاء ما انقض وترسخ في اللاوعي ، لتعيده إلى ساحة الوعي في شكل حلم. "المادة المكونة للحلم مصدرها تجاربنا المعاشة، بحيث يعاد بناءها وتذكرها في الحلم، لكن لابد أن لا نعتقد أن العلاقة بين محتوى الحلم وما عشناه يظهر بوضوح، إنما لابد من البحث عنها إذا أردنا فهم الحلم"(1).

إذن الحلم "يعيد إنتاج الأشياء التي شهدت من قبل أو سمعت أو قرئت ونسيت، يعيد الحلم إلى الذاكرة خبرات سابقة"(2).

هذه الخبرات السابقة التي تم استحضارها من الماضي هو ما يسمى بالتداعي، حينئذ ينسج اللاشعور لنا حياة حالمة يعيش المرء فيها غاصا في إحساساته وتصوراته وانفعالاته وآماله المكبوتة التي لم يتمكن من تحقيقها، فتنجم بعد ذلك تلك الإحساسات والتصورات وتتوالد وتظهر منها سلسلة وقائع قد تكون من الغرابة بمكان، إلا أن هذه الرغبات لا تجرؤ على الظهور بمظاهرها الحقيقية في الأحلام أحيانا ، بل تستتر وراء رموز معينة، وهذا هو السبب في أن أكثر الأحلام هي مزيج من الماضي و الحاضر وأحداث وأشخاص متنوعين. وهذه الأحداث بصفة عامة قد تكون مستمدة من وقائع حدثت في ماضي قريب كاليوم السابق أو بقايا نهارية وقد تكون مستمدة من ماضي بعيد إلى زمن الطفولة كما أنه يمكن أن تنبؤنا بأحداث تقع في المستقبل.

فبالنسبة للمصدر النفسي المرتبط بماضي قريب كثيرا ما يعكس اهتمامات وانشغالات اليوم ، بحيث أن اللاشعور في الحلم يثار من قبل محتوى شعوري ذو علاقة بحياة

---

(1) Freud (S) « l'interprétation des rêves», 1967, p 27.

(2) Ford Ham (F) « introduction à la psychologie de Jung », paris, Imago, 5ème Edition, 1979, p 117.

اليقظة "جزء من محتوى الحلم يعيد انطباعا حديثا لليوم السابق"[1]. فما انشغلنا به في يومنا أو تأثرنا به أو لم نحققه في حياة اليقظة نظرا لمقتضيات معينة أو لتعرضنا لرقابة الأنا أو الأنا الأعلى، فإنه أثناء النوم تضعف المقاومة بحيث لا تلغى وإنما تستغل لتدخل حينئذ إلى اللاشعور في ارتباطه ببقايا حياة اليقظة لتظهر في شكل حلم.

أما بالنسبة للمصدر النفسي المرتبط بماضي بعيد فقد نجد أن الذاكرة تعود بنا إلى أحداث مضى عليها زمن بعيد ، بحيث يرتبط برغبات لاشعورية قد تكون مستمدة من زمن الطفولة لكنها كانت مكبوتة في الحياة النفسية للحالم والتي هي بعيدة عن حياته الشعورية، ونظرا لكون متبقيات حياة اليقظة تلقى عونا ودفعا لا شعوريا ، فإنها تنشط لتظهر على مستوى الوعي في شكل حلم مرة أخرى.

"إن الحلم يستحضر أحيانا إلى النفس بقدرة عجيبة على إعادة حوادث من سنواتنا الأولى، بعدت صلتنا بها كل البعد، إن لم يكن عفى عليها النسيان ... والطفولة هي أحد المصادر التي يستمد منها الحلم أغلب عناصره التي لا نتذكرها في حياة اليقظة"[2].

فلِخبرات الطفولة دور في حياتنا الحلمية بحيث إنّه في كثير من الأحيان تتسرب ذكريات الطفولة إلى الحلم ، ونجد أن هذا الأخير يذكرنا بأشياء كففنا عن التفكير فيها من زمن بعيد "الحلم يكون دوما مهيجا من قبل حدث حديث، متعلق إما باليوم نفسه الذي يسبق الحلم، أو الأيام المنفرطة من قبل، لكن لا يمكن أن يثار الحلم إلا بفعل تأثير أحداث مرتبطة بميولات ترجع إلى الطفولة، فالطاقة الضرورية لتكوين الحلم مصدرها حدة التجربة الطفولية، غير أن الحلم لا يمكن أن يظهر إلى الواقع إذا لم يحيي أي حدث جديد الخبرة، الخبرة القديمة"[3].

---

(1) Dreyfus (D) « Freud psychanalyse », paris, P.U.F, 10ème Edition, 1991, p79.

(2) Freud (S) « l’interprétation des rêves», 1967, p 23.

(3) Fromm (E) « le langage oublié », paris, Payot, 2ème Edition, 1989, p 63.

إن الطفولة تعتبر مصدرا هاما لإمدادنا بمادة الحلم إذ إنّ الذكريات البعيدة والإستثمارات الغريزية التي لم تشبع أثناء اليقظة وبقيت مكبوتة تثار برغبات لا شعورية قوية لتنشط وتظهر من جديد إلى الوعي عن طريق الحلم.

وقد يكون المصدر النفسي قوي ويتميز بقوة حدسية عند بعض الأفراد فيؤدي ذلك إلى قدرتهم على الاستنتاج المنطقي لا في حالة الوعي فقط وإنما في حالات النوم كذلك "وهي قدرة تتجلى في أثناء النوم حيث يكون النشاط الداخلي الدماغي قويا في حالة الحلم، وتنشط مع هذا النشاط الذاكرة التي تستعيد الحوادث اليومية بشكل أكثر صفاء لقلة المنبهات الحسية في أثناء النوم، مما يجعل قدرة الدماغ على التحليل المنطقي للحاضر أكثر سهولة ويسهل بالتالي توقع المستقبل"[1].

ويرتبط هذا التفسير مع معطيات ما يسمى بحلم المستقبل، وهو الحلم الذي يعمد إلى محاولة تبين المستقبل من معطيات الحاضر والذي من بين أحد عناصره الأحلام الحدسية.

فبإمكان الأحلام أن تخبرنا عن أمور يمكن أن تحدث في المستقبل نتيجة قوة المصدر النفسي وقوة حدس الفرد، وكثير ما يحدث معنا أن نتعرف على بعض الأماكن والمواقع بمجرد أن نراها لأول مرة حينها ندرك أننا رأيناها في الحلم.

وقد كتب المؤلف "جي دونز" كتابه حول "تجربة مع الزمن" والذي أشار فيه إلى العديد من الأحلام التنبؤية بالمستقبل والتي لها صلة بالحياة النفسية للفرد، كما أن هناك كتاب للعالم النفسي كارل يونغ عن "الذكريات والأحلام" والذي تحدث مطولا فيه عن هذا الموضوع.

وخلاصة القول إنّ المصادر النفسية بصفة عامة هي أساسية في تكوين الحلم، وهذا الأخير قادر على اختيار مادته من أية فترة من فترات الحياة، فهو يصل بين أحداث الإنطباعات ، وبين تلك التي تكون بعيدة عن متناول الذاكرة لانقضاء زمن طويل عليها،

---

[1] أحمد محمد عربي :الأحلام بين الدين وعلم النفس، الدار المصرية اللبنانية للنشر ،بيروت، ،الطبعة الأولى، سنة 1994، ص 136.

وبالتالي يعتبر الحلم أصدق مرآة تعكس أغوار النفس من حيث أنه يمدنا بمادة مستحضرة من الماضي القريب للشخص الحالم، أو من الماضي البعيد له، مترجما لنا بذلك توظيف النائم للواقع الموضوعي بناءً على إستعداداته وإمكانياته الداخلية.

5- أوجه الحلم:

منذ مراحل مبكرة خلت، كان الأمر يبدو وكأنه مسلم به ، بأنه يمكن أن تجلب الأحلام إلى الحالم إشارات أو تحذيرات عن أحداث حدثت فعلا أو على وشك أن تحدث في العالم الخارجي، ولكن مع تقدم النظرة العلمية، فإن هذه الفكرة قد حسمت على أساس أنها لا تعدو كونها أكثر من خرافة بدائية ، وأن الصحف والمجلات وبعض الكتابات ما فتئت تحاول من حين لآخر أن تثير الاهتمام بالأحلام عن طريق رواية قصص عنها فتجعل تلك الأحلام تبدو وكأنها ضرب من ضروب الاستشفاف أو المعرفة المسبقة بأحداث واقعية كائنة تماما خارج الإدراك الشعوري للحالم، لكن الرأي العام العلمي يجنح إلى معاملة مثل هذه القصص جميعا بشيء من الشك.

وعلى مستوى أكثر تواضعا، فإن المختصين في علم النفس قد أقروا بأننا جميعنا نضم ميلا إلى أن نسقط مخاوفنا وآمالنا ورغباتنا على العالم الخارجي، لذلك نشطو في البحث بشأن حقائق موضوعية عن أي حلم وربطها بخبرات واقعية، وهذه الأخيرة قد تنطوي في حد ذاتها على خصائص تذكيرية أو تحذيرية أو رمزية تستدعي ترجمتها ، على أن هذا لا يحول بأية حال من الأحوال أن نستبعد وجه آخر للحلم وهو التبصير أو التنبؤ عن أمر قد يحدث في المستقبل، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول أن الأحلام يمكن أن تظهر على وجه من الأوجه التالية:

أ- الأحلام الواقعية:

ويدخل في هذا النوع كل المشاهد التي تأتينا من المحيط الذي نعيش فيه والأمور الحياتية العامة وكيفية التعامل معها، ويتعلق هذا الصنف من الأحلام بمكونات المحيط الإجتماعي ، من أناس ومشاهد وأحداث وصور سواء من الماضي أو التي تحدث في الحاضر، وسواء كانت خبرات مؤلمة فتظهر في أحلامنا وننظر إليها من زوايا مختلفة وبالتالي

قبولها والتعايش معها أو رفضها وتجاوزها، أو كانت خبرات مفرحة ومثيرة للسعادة أو الضحك وبالتالي وسيلة الإنسان للهروب من الواقع والتوترات والضغوطات التي يعاني منها في حياته.

"تعتبر الأحلام الواقعية بمثابة المنجم الذهبي للكثير من المعلومات والأفكار الأصلية لأنها تتصل بصميم حياتنا اليومية... و يوفّر لنا هذا النوع من الأحلام فرصة إعادة النظر في الكثير من القضايا والأمور الحياتية ومراجعة الكثير من الحسابات"[1].

كما يمكن أن تكون هذه الأحلام الواقعية عبارة عن رغبات وتمنيات والتي نحلم بها في اليقظة ، كالتقائنا بأشخاص نحبهم في حياتنا العادية، والذي ليس بمقدورنا أن نراهم مثلا، فهنا يعتبر هذا النوع من الأحلام كمرآة عاكسة للمشاهد الحقيقية التي نعيشها في حياتنا العامة وفي الحلم تظهر هذه الأحداث بطريقة عقلانية وبعيدة عن العواطف والرغبات.

ب- الأحلام التذكيرية:

تدور هذه الأحلام حول بعض القضايا التي تخص بالاهتمام الذي تستحقه ولذى فإن ظهورها في الحلم هو تأكيد على أهميتها، ويظهر هذا النوع من الأحلام على هذا الوجه لسببين:

"الأول للتذكير بالمشكلات أو الأزمات التي حدثت في الماضي وما ترتب عليها من تأثيرات وانعكاسات على شخصية الإنسان ولم يتم التعامل معها بالشكل المطلوب.

أمّا الثاني فللحاجة الملحة لتغيير بعض الأنماط السلوكية والتصرفات التي نمارسها في حياتنا اليومية لما لها من تأثيرات سلبية"[2].

---

[1] د.سليمان الدليّمي: عالم الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 44.

[2] Julia and Derck parker « the secret world of dreams », Judy piathus, L.T. D, London, 1990, p20.

إذنا هذا النوع من الأحلام قد يشير إلى بعض جوانب الخلل والقصور في حياتنا العامة.

كما قد ينطوي هذا النوع من الأحلام على جانب تنبؤي لإخبار الشخص بأمر ما سوف يقع في المستقبل القريب أو البعيد أو تذكير لأمر قد نسي، فقد حدث معي منذ ليال قلائل مضت، أن رأيت حلما بدا وكأنه كان بمثابة تذكير لي مبسط مباشرة عن شيء كنت قد نسيته. فقد حلمت بأن باب بيتي قد تركته مفتوحا وبدأ يتأرجح بسبب هبوب الريح ليغلق بشدة قوية حتى استيقظت على إثرها.

ولما نهضت ذهبت مباشرة إلى باب البيت فوجدته مغلقا وزيادة على ذلك كان الجو هادئ، إلا أنني لم أجد مفاتيح البيت التي عادة ما أتركها في الجهة الداخلية من الباب، وبعد عملية التفتيش وجدت المفاتيح عالقة بالباب خارج البيت.

فهذا الحلم كان تذكير لي بنسيان مفاتيح البيت عالقة بالباب من الجهة الخارجية وفي نفس الوقت تحذير بما قد يقع لو تركته هناك لمدة أطول، إذن قد تظهر الأحلام على شكل تذكير لأمر نكون قد نسيناه.

ج- **الأحلام الرمزية:**

هذا الوجه الآخر للأحلام هو تعبير عن حالة اللاشعور وكافة الانفعالات والانطباعات والمشاعر الداخلية للإنسان ، والتي لا يمكنه التعبير عنها بالكلمات كما في الخوف والغضب والكره ... وهذه التعبيرات هي مجرد عناوين ظاهرية للمشاعر الداخلية للفرد، فالشعور بالإحباط لذى الطفل على سبيل المثال قد يظهر أثناء النوم على شكل أحلام رعب ولفهم معنى ذلك لابد من دراسة العوامل المحيطة والمتسببة في ذلك "الأحلام الرمزية من أكثر الأحلام شيوعا ويستخدم العقل الباطن الكثير من الرموز والإشعارات الكلامية واللفظية بما يدل على حنكة العقل الباطن وتفننه باستخدام الكثير من الحيل والألاعيب في عالم الأحلام من أجل أن يوصل الرسائل المطلوبة للشخص"[1].

[1] د. سليمان الدليمي: عالم الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 44.

ولفهم معنى هذا النوع من الأحلام لابد لنا من معرفة العوامل الكامنة وراء هذا الحلم ثم بعد ذلك قراءة الرموز المتواجدة به، أو بمعنى آخر العمل على معرفة الرموز الخاصة بالحلم وترجمتها ليتسنى لنا تشخيص العوامل التي كانت وراءه.

د- الأحلام التبصيرية أو التنبؤية:

غالبا ما نتعامل مع هذا الوجه من الأحلام بحذر لما يظهر فيه من أحداث تبدو للوهلة الأولى مخيفة أو غريبة، وكلما استرجعنها ينْتابُنا شعور غريب، وقد تحمل أحلامنا في أحيان كثيرة أمورا تنبؤية وليس بالغريب، ولكن ليست كلها تنطوي على بعد مستقبلي أو تحمل إشارات لما يمكن أن يحدث في المستقبل، فإذا حصل وأن رأيت قبل سفرك حلما يتعلق بتحطيم الطائرة مثلا، فهذا ليس مبررا لإلغاء الرحلة. لأن هذا الحلم يمكن هنا أن يعكس حالة القلق والخوف التي يشعر بها الفرد قبل السفر ، و ربما يعكس حالة الخوف اللاشعورية لهذا الفرد من الطيران ، ولكن حدث وأن رأيت في الحلم أن قائد الطائرة يحمل شعرا أبيض، ضخم الجسم وصفات أخرى معينة يطلب من الركاب النزول لأن الطائرة سوف تتحطم لخلل ما، وحصل أثناء محاولتك الصعود إلى الطائرة وأن رأيت قائد الطائرة نفس الشخص الذي رأيته في الحلم وبنفس الشعر والمواصفات حينها يصبح الحلم مرعبا ويحق للفرد أن يقلق أو أن يفكر مثلا في إلغاء الرحلة.

"إن التنبؤ في الأحلام أمر مشروع لما قد يحدث في المستقبل، وليس بأمر جديد أو أتت به النظريات الجديدة في تفسير الأحلام، وإنما استخدمته جميع الشعوب عبر امتداد تاريخها الطويل ... وحتى الأجداد في الماضي كان من ينوي منهم السفر ورأى في المنام حصانه يتعثر، يلغي رحلته تحسبا لأشياء غير جيدة قد تحصل"[1].

إن بعض الأحلام التنبؤية تستحق التأمل والبحث في إمكانياتها خاصة إذا ما تبين بأن حوادث الحلم تطابقت تماما مع ما حدث في المستقبل والحلم كان كاشفا لها قبل أوانها.

[1] Julia and Derck parker « the secret world of dreams », p 19.

إن هذه التجربة لا يمكن تفسيرها على أساس التجربة السابقة أو على أساس أحداث الوضع القائم أو من الحتمية التي يمكن تفسيرها علميا، ومما يزيد في ضرورة هذا التأمل والبحث هو أنها تستعصي على التفسير بناءا على احتمالات كائنة أو ممكنة.

إن هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر الخارقة كالاستبصار والتنبؤ مازالت من المواضيع المحيرة والتي تثبتها التجربة ويرفضها العقل، ويحاول العلم الحديث استيعابها كجزء من مفاهيمه.

وفي تقديرنا أنه سيظل من الصعب التوصل إلى فهم صحيح ونهائي لمثل هذه الظواهر وتفسيرها.

هـ- الأحلام المشتركة:

كثيرا ما نجد شخصان أو أكثر يشتركان في نفس الحلم بحيث تظهر نفس المشاهد والأحداث والصور، وهذا النوع من الأحلام يحدث بشكل عفوي، ولا دخل للإنسان فيه، إلا أنه يمكن التخطيط له مسبقا من قبل شخصين أو أكثر، ويحصل ذلك عندما يشترك نفس الأشخاص في نفس الموقع ونفس الفترة الزمنية ... مثلما لاحظنا ذلك في المدخل لدى قبائل كورسيكا حيث نجد جميع سكانها في القرى يشاهدون أحلاما مشتركة في نفس الليلة، وكأنهم يخضعون لبنية سيكولوجية جماعية واحدة تقوم بتوحيد أحلامهم.

وهناك نوع ثان من هذه الأحلام حيث يشترك فيها اثنان أو أكثر من دون أن يعرفوا أن هناك من يشاركهم في الحلم، ومن غير تخطيط مسبق، ولكن ما يلتقي أحدهما بالآخر، ويبدأ يسرد تفاصيل حلمه حتى يدرك الثاني أنه شاهد نفس الحلم وظهرت له نفس الصور.

"... إن الفرق بين النوع الأول من الأحلام والنوع الثاني هو أن الأفراد في النوع الأول يشتركون بنفس الحلم ويعرفون بعضهم ...، بينما لا يعرف الأفراد في النوع الثاني أن هناك من يشاركهم في الحلم وفي نفس الوقت ونفس المكان"[1].

---

[1] Julia and Derck parker « the secret world of dreams », p 22.

ويتراوح تحليل هذا النوع من الأحلام بين أولئك الذين يرفضون الأخذ بنتائجها معتبرين إياها خداعا حسيا أو إيحائيا، وبين الذين يفسرونها على أساس التوافق الخارق بين إثارة خارجية وبين محتوى الحلم.

و أولئك الذين يرون فيها مجرد مصادفة في ظروف متوقعة وأخيرا الذين يجدون فيها ظاهرة خارقة من التجربة الإنسانية والتي مازالت تنتظر التفسير.

إن هذا النوع من الأحلام وغيره من الأنواع التي ذكرت وتمثل عادة الأوجه التي تظهر بها أحلامنا بصفة عامة، وتعتبر الأكثر شيوعا عند الإنسان وهي مرتبطة في مجملها بأحداث في الواقع سواء حدثت أو سوف تحدث.

فمثلا عندما يفشل شخص في مشروع ما بعد أن كان تركيزه ولفترة طويلة من الزمن ينصب على إنجاح هذا المشروع، فلا شك أنه سوف يصاب بخيبة أمل كبيرة وتوتر وقلق، وسوف يصاحبه ذلك حتى في النوم. وإذا ما حدث وأن ظهر ذلك في حلمه فسوف يظهر حينها بطرق شتى وفي أنواع مختلفة، فقد تظهر صورة هذا الفشل مباشرة في اليوم التالي، كأن يرى نفسه جالسا لوحده في مكان معزول يعاني من الألم والبرد والجوع مثلا.

فهذا الحلم يمكن أن يكون مطابقا للواقع كما يمكن أن يكون حلما رمزيا وقد يتكرر فيصبح من الأحلام متكررة الحدوث، فالشعور بالوحدة تعبير عن الفشل في المشروع والعزلة تعني حالة المعاناة النفسية بسبب إخفاق هذا الفرد في المشروع الذي كان مرتبطا به كثيرا.

هذا الوجه والصورة التي ظهر عليها هذا الحلم في هذا المثال يعكس الحلم الواقعي، لأنه من محيطه الاجتماعي ويتعلق بخبرة مؤلمة حدثت مع الشخص وتركت آثارا على مستوى شخصيته.

كما قد يكون من الأحلام الرمزية، فالجوع والبرد يستخدمهما العقل الباطن ليوصل الرسالة المطلوبة للشخص، وهي عبارة عن رموز واستعارات تدل على الحالة الانفعالية والشعورية الداخلية للفرد.

ويمكن لهذا الحلم أن يكون متكرر الحدوث عند هذا الشخص نظرا لأهمية المشروع لديه، وما يترتب عليه من تأثيرات على شخصيته خاصة إذا لم يستطع التأقلم مع الوضع الجديد.

وهكذا فإن جميع الأحلام التي نحلم بها يمكن أن تظهر على وجه من الأوجه المذكورة ، والتي يمكن أن نكتسبها من حياتنا اليومية ومعظم التأثيرات التي تحدث لنا ... وبالتالي تسهم هذه الظروف إلى حد كبير في تحديد نوع الحلم، والأكثر من ذلك أن معرفة الأسباب والعوامل الكامنة وراء الأحلام تسهم إلى حد في تخفيض التوترات التي نمر بها والتقليل من المضايقات النفسية التي نشعر بها.

6- علاقة الحلم بحياة اليقظة واللاشعور:

ما يتذكره الواحد من أحلامه قد يبدو في الكثير من الأحيان عجيبا وغريبا ولا يتماثل أو يتشابه مع التجربة الحياتية الواقعية كما يدركها المرء في نفسه، وللحلم أن يأتي في محتواه على غير صورته الطبيعية من حيث الشكل والسياق الزمني والمعنى، وله أن يأتي على صورة غامضة ومبهمة وعشوائية ، وقد يأتي بصورة واضحة وصريحة وكأنه نسخة مطابقة لواقع التجربة الحياتية أثناء اليقظة.

إن هذا الاختلاف في مضمون الحلم إنما مرده إلى تباين مسبباته بين علاقة الحلم بواقع الحياة وبين كونه تعبيرا عن قوى اللاشعور.

فهناك رأي سائد بأن تجارب الأحلام وكما تظهر في محتواها، إنما هي مشتقة من التجارب الحياتية الحقيقية للفرد والتي تجمعت لديه عبر الأدوار المتعاقبة في حياته، فالأحلام عبارة عن تجارب خاصة تعرض بصورة مختلفة ،"إن الحلم يتابع حياة اليقظة، فأحلامنا تتصل دائما بالأفكار التي كانت تشغل الشعور قبيل وقوعها"[1].

وللكثير من الناس تجاربهم الشخصية حول تأثير بعض التجارب التي يتعرضون لها خلال اليوم السابق للحلم، أو قبيل وقوع النوم أو أيام خلت، وهناك من الناس من يهيئ

---

[1] سيغمون فرويد: الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 19.

نفسه ويعدها لاستلام نمط أو موضوع معين من الأحلام، وذلك بتعريض نفسه قبيل النوم إلى التفكير في موضوع معين بكل جوارحه آملا بذلك ظهوره في حلمه.

ومنهم من يحاول ذلك عن طريق التعبد والصلاة والدعاء ... ومما لا شك فيه أن مثل هذه المحاولات قد تكون ناجحة عند بعض الأشخاص ، سواء من حيث التأثير على محتوى أحلامهم أو من حيث الطبيعة الكلية لهذه الأحلام أو من خلال دمج بعض المحتويات والعناصر على أحلامهم...

وبصفة عامة فإن ما يشغل دهن الفرد خلال يقظته له أن ينعكس بصور ما في أحلام الليلة أو الليالي التالية، وقد تأتي هذه الأحلام مشابهة إلى حد بعيد لمشاكل ومشاغل اليوم السابق خصوصا عند الأشخاص الذين يتميزون بحياة داخلية متوترة، حيث يقول في ذلك العالم كارت رايت (cartwright) "إن الشخص كلما كان أكثر صحة، فإنه كلما كان في يقظته أكثر انفتاحا على استجاباته العاطفية، هو بذلك أكثر توافقا بين تجربته أثناء اليقظة وتجربته أثناء الحلم"[1].

ومثل ذلك يقال عن الناس القلقين أثناء يقظتهم والذين يتواصل قلقهم أثناء أحلامهم ، وهذا الواقع يعطي الانطباع بوجود استمرارية بين الواقع والحلم، أو بين اليقظة والحلم، غير أن هذه الاستمرارية قد لا تظهر بصورة مباشرة وقد تظهر على العكس بصورة وكأنها غير مستمرة بحيث أن التجارب التي تكون هامشية أو جانبية أثناء اليقظة هي التي تظهر في الأحلام.

وفي حالات كثيرة قد يحلم الفرد بأشياء تكون قد كبتت أثناء اليقظة أو أبعدت عن وعي صاحبها، وقد كشف "فرويد" عن القرابة القائمة بين مشاهد الأحلام والرغبات اللاشعورية في قوله "الحلم كان رغبة لا شعورية تضافرت مع الدماغ النائم لتعيد من جديد

[1] أحمد أدمي: تفسير الأحلام حسب مناهج علم النفس ومباحث علم الفيزيولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1997، ص163.

صياغة واقع يهفو إليه القلب"[1]. فهو يرى أن المشاعر والأفكار المكبوتة تعود لتعبر عن نفسها خلال النوم وتظهر في شكل أحلام، والقوى التي تحرك حياتنا الحلمية هي رغباتنا اللاشعورية التي نريد لها أن تظهر ونحن مستيقظين، أي التي استبعدناها من حيز الوعي والشعور، كبعض الرغبات الجنسية أو الكره اتجاه شخص معين أو غير ذلك من السلوكات.

"يرى فرويد أننا نحمل جميعا في دواخلنا مثل هذه الرغبات اللاعقلانية (اللاشعورية) التي كبتنها بناء على وطأة المقتضيات المجتمعية، لكننا لا نقوى على التخلص منها تماما، فعندما تخف رقابة الوعي خلال النوم، تدب الحياة في تلك الرغبات وتأخذ بالإفصاح عن نفسها في أحلامنا"[2].

ويذهب "فرويد" إلى أبعد من هذا فيربط بين نظرية الأحلام ووظيفة النوم، إذ يرى أن أصل الحلم قد يكون رغبة من رغبات حالة اليقظة عند الإنسان وتكون متموقعة فيما قبل الشعور، فتلقى دعما أثناء النوم من أحد العناصر اللاشعورية وتظهر في شكل أحلام وبهذا يحافظ الإنسان على حالة النوم.

أما إذا تعرض الإنسان إلى رغبات عنيفة فيستيقظ من حالة النوم وهو ما أشار إليه فرويد من خلال قوله "فما الذي ينبغي لنا أن نقوم به عندئذ لكي نظل نائمين سوى أن نتخيل أن رغبتنا قد لبيت وأشبعت، وهكذا فإننا نتذوق حلاوة الإنشراح والإشباع بدلا من أن نعاني من وطأة الكبت والقمع"[3].

وهكذا يصل فرويد إلى الجزم من خلال هذا التحليل إلى أنّ جوهر الحلم هو تلبية الرغبات اللاشعورية وأن وظيفته هو الحفاظ على النوم، حيث يظهر عندما يهدد النوم بفعل تأثير الغرائز "فحينئذ يهدف إلى تحقيق هلوسي للرغبات التي يسمح الأنا بظهورها بصفة مباشرة فتخضع لتشويهات تستجيب لمتطلبات الأنا الأعلى"[4].

---

[1] موسوعة علم النفس والتربية، تفسير الأحلام، غسل المخ، الجزء السابع، ص 128 (ب ط و س).

[2] إريك فروم :اللغة المنسية، مرجع سبق ذكره، ص 53.

[3] إريك فروم: اللغة المنسية، مرجع سبق ذكره، ص 54.

[4] Jeams net (P), Reynaud (M) « psychologie médicale », paris, Masson, 1er Edition, 1980, p 132.

فالحلم يمدنا بتطلعات اللاشعور، إذ يتيح هذا الأخير للأحلام حرية أكثر في الإعراب عن رغباتنا بعد أن تنخفض الرقابة "فتظهر الأفكار التي تستجيب لمجموعة من المتطلبات والشروط التي يفرضها ويصادق عليها الأنا"[1].

فهدف الحلم هو تحقيق رغبة، إلا أن هذه الأخيرة قد لا تكون جلية وواضحة في الحلم لأول وهلة، بل قد يتعرض إلى تشويهات نتيجة لعمل الحلم وهنا قسّم "فرويد" محتوى الأحلام إلى قسمين:

فما يراه الحالم من صور وأحداث في الحلم ويتذكره بعد الاستيقاظ ويستطيع أن يرويه يعتر المحتوى الظاهري للحلم.

أما المحتوى الباطني فهو مضمون الحلم الكامن في اللاشعور.

"هناك مادة جديدة تقوم من وجهة نظرنا بين محتوى الحلم الظاهر وبين النتائج التي انتهى إليها بحثنا: تلك هي محتوى الحلم الكامل أو أفكار الحلم التي بلغناها بمنهجنا"[2].

ويتأثر محتوى الحلم بصفة عامة بنوعية ثقافة الفرد وتكوينه وبيئته وعمره وجنسه، وهذه العوامل تؤثر وتساهم في إحراج الحلم من محتواه الباطني إلى محتواه الظاهري في شكل تعابير رمزية.

وفي أحيان كثيرة لا يمكننا فهم معنى الحلم إلاّ بالعودة إلى مفهومه الكامن "إننا نصادف ألغازا لا سبيل إلى حلها إلا إذا جرى استبدال المضمون الظاهر بالمضمون الكامن"[3].

وهكذا نجد أن الطريقة التي اتبعها فرويد في تفسيره للأحلام تكمن في اللاّشعور، إذ إنّه لا ينظر إلى المحتوى الظاهري للحلم إلا من حيث كونه معبرا عن المحتوى الباطني الذي هو أصل الرغبات والأفكار المكبوتة.

---

[1] Garma (A) « la psychanalyse des rêves », paris, P.U.F, 1964, p 139.

[2] سيغمون فرويد: تفسير الأحلام، ترجمة مصطفى صفوان، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية للترجمة العربية، سنة 1969، ص 261.

[3] سيغمون فرويد: الحلم وتأويله ،ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الخامسة، سنة 1993، ص 18.

إن الحلم بصفة عامة هو تجربة شخصية ديناميكية يبدو كالمجهر، عن طريقه ندرك أسرار النفس ، ويعد صراعا بين الميولات التي تنتج لنا طريقا معبدا يوصلنا إلى اللاّشعور وبين العالم الخارجي الذي يعرفنا على الوعي الإنساني في مختلف الامتدادات التي تقتضيها متطلبات حياته ، وفي كل ذلك يعد مظهرا من مظاهر الحياة النفسية.

7- **لماذا ننسى أحلامنا:**

لماذا يستيقظ بعض الناس وفي أذهانهم حلم ما؟، في حين يدعي آخرون أنهم لا يحلمون أو لم يستطيعوا تذكر حلمهم؟

إننا ندرك أن الناس لا يختلفون من حيث عدد فترات النوم التي يمرون بها كل ليلة، وقد أدركنا أيضا أن الواحد منا في كل مرة ينام فيها يتكرر حلمه بمعدل أربع مرات في كل ليلة، ولا نستطيع التذكر من أحلامنا إلاّ محتويات الحلم السابق للاستيقاظ فقط، أما الأحلام السابقة للحلم الأخير فتظل منسية ولا يمكن استعادة محتواها، وما يتذكره الحالم من محتويات الأحلام السابقة للحلم الأخير قد يكون غير مطابق لما عرض في الحلم أو قد يتذكر جزءًا بسيطًا منه فقط.

إنّ ظاهرة تذكر الأحلام ونسيانها مسألة معقدة، ويصعب تفسيرها لأننا قلنا أننا نتذكر المشهد الأخير من الحلم في الفترة الحالمة السابقة مباشرة للاستيقاظ، بينما المشاهد الأخرى تذهب في طي النسيان ، وإذا ما مثلناها بالنسبة المأوية فإننا نتذكر عشرة من المئة بينما التسعون من المئة المتبقي ينس، بمعنى أن عملية النسيان موجودة حتى عند الأشخاص الذين يدعون أنهم يحلمون، ولكن هذه العملية (أي النسيان) في هذه الحالة هي جزئية أي نتذكر المشهد الأخير من الحلم فقط أو نتذكر بعض الأحداث من الحلم دون أخرى، وقد نظيف أو نُزَوِر بعض محتويات الحلم بدون علم بهدف إتمام المشهد، وعلى العموم حتى إذا ما تذكرنا هذا الحلم فإن هذه العملية لا تدوم طويلا فسرعان ما يتلاشى محتوى الحلم مع مرور الزمن بحيث لا يبقى من الأحلام إلا ما يترك انطباعا خاصا لدى الحالم نفسه (كالأحلام التنبؤية مثلا).

ولكن بعض الناس يستيقظون ولا يوجد في أذهانهم أي حلم أو لا يستطيعون تذكر حتى جزء بسيط من الحلم الأخير، ومن العلماء الذين درسوا هذه الظاهرة (ظاهرة نسيان الأحلام) العالم "ستروميل" والذي ردّ ظاهرة النسيان لفعل عدة عوامل ومن أهمها:

1- العوامل التي تحدث النسيان للتجارب والحوادث أثناء اليقظة نفسها تحدث نسيان الأحلام عند الاستيقاظ من النوم، إما بصورة كاملة أو جزئية، ومن هذه العوامل المهيأة للنسيان في نظره: أن تكون صور ووقائع الحلم طفيفة وسطحية أو تكون خالية من المشاعر التي تثير العاطفة حيث أنها لا تترك إنطباعا في الذاكرة.

2- سهولة نسيان تجارب الحلم الذي حدث مرة واحدة بينما يتذكر الفرد الأحلام التي تكررت أكثر من مرة، وهي تصب تقريبا في نفس مصب الفكرة أو الحلم السابق، بحيث أن الحلم عندما يتكرر مرات عديدة فإنه يترك انطباعا عند شخصية الفرد مما يلزمه تذكره بينما عدم تكراره يستلزم نسيانه.

3- إن الأحلام التي تحتوي على صور وأفكار غير مرتبطة وغير مفهومة تبقى بدون معنى وبالتالي يسهل نسيانها.

4- وجود أحلام متناقضة من حيث المحتويات يسهم في نسيانها بحيث أن التناقض في الأحداث ، وعدم التسلسل يؤدي إلى نسيانها بنفس طريقة نسيان الأشياء الغير مرتبة والمشوشة والمتناقضة أثناء اليقظة [1].

وفي نفس الإتجاه ذهب فرويد بحيث ربط ظاهرة نسيان الأحلام بنفس العوامل التي تؤدي إلى نسيان الأحداث في حالة اليقظة حيث يقول في ذلك "إن الحلم ... ينهض من تربة حياتنا النفسية، ويطفو في الفضاء النفسي كغيمة في السماء، والتي سرعان ما تتبدد من أول نفس في حياة اليقظة ... — ويضيف – إذ الأمر يصبح أكثر وضوحا بسبب توارد وتزاحم عالم الأحاسيس على انتباهنا وبصورة لا يستطيع عندها إلاّ القليل جدا من صور الأحلام من الصمود أمامها، وهي بذلك تغيب بعيدا أمام واقع اليوم الجديد كما تغيب

---

[1] د. علي كمال : باب الأحلام ، مرجع سبق ذكره، ص 169-170 بالتصرف.

النجوم أمام الشمس"[1]. فقد ذهب فرويد في نفس الاتجاه في تفسيره لظاهرة نسيان الأحلام معتمدا في ذلك على أننا بدون وعي أو قصد منا نملأ ونظيف بعض الأجزاء إلى أحلامنا ، حتى تظهر كأنها متكاملة ومترابطة فالعقل الإنساني يميل إلى تبيان كل شيء بصورة مترابطة ، ونفس الأمر في الأحلام بحيث أننا نميل إلى ملأ الفجوات والحلقات المفقودة من الحلم بهدف إظهاره في صورة مفهومة ومترابطة ، يقول فرويد: "إن وعي اليقظة، وبصورة غير إرادية، فإنه يتلاعب ويدرس أشياء عديدة لم تكن جزءا من المحتوى الحقيقي للحلم ..." [2].

إن فرويد اعترف بأنه من الصعوبة تفسير ظاهرة نسيان الأحلام بطرق موضوعية بحيث اعتمد في ذلك على أنّ امتحان ذاكرتنا في حالة اليقظة هو أمر ممكن بوسائل موضوعية ، وهذا الامتحان هو مستحيلا في حالة الأحلام وهو ما يشكل صعوبة لديه في مهمته أثناء عملية الكشف عن الحياة النفسية للفرد بحيث أن عملية التحليل والعلاج النفسي عند هذه الفئة هي أصعب من الحالات الأخرى التي تظهر أحلامها ذلك أنّ اختفاء بعض الأحلام أو كلها يقابله كذلك اختفاء بعض الأحداث أو أجزاء منه في حياة اليقظة عند الفرد.

وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أنّ الاختلاف الموجود في القدرة على استرجاع الأحلام وتذكرها من عدمه، إنما هو اختلاف يكمن في الخصائص النفسية لشخصية الفرد أكثر مما هو اختلاف في عمق النوم أو طريقة الإيقاظ من النوم.

ودليلهم في ذلك أنهم منذ سنوات مضت أقام مجموعة من العلماء تجربة على فئتين من الأشخاص، فئة تسترجع أحلامها بعد الاستيقاظ وفئة لا تسترجع أحداث أحلامها نهائيا بعد الاستيقاظ، فلاحظوا باندهاش بالغ ما كان يظهر على عيون الأشخاص الذين لا يسترجعون أحلامهم (اللاّ استرجاعيون) خلال نومهم من حركات سريعة سجلتها آلات التسجيل بحيث كانت أسرع مما تم تسجيله عن حركات عيون الاسترجاعيين، وهذا إن دلّ

---

[1] نفس المرجع، ص 170.

[2] نفس المرجع، ص 170.

على شيء إنما يدل على أنّ الفئة الأولى أي ألاّ استرجاعيين كانت تمر بهم أحلام أكثر وأنشط من المسترجعين لأحلامهم[1].

فلمادا إذن يذكر الغير مسترجعون أنهم لم يحلموا أو لم يستطيعوا تذكر محتوى الحلم؟

هذا التناقض تمت الإجابة عليه عندما استبان الباحثون نتيجة للبحث العلمي أنه في الحياة الواعية أو حالة اليقظة تكون حركة العين مشتتة وممددة عندما لا يكون التركيز على أمر معين فيتحرك النظر كثيرا وفي اتجاهات مختلفة بينما تكون حركة العين السريعة عند الأشخاص الاسترجاعيين لأحلامهم بطيئة وغير مشتتة وممددة.

فقد عرضت مجموعة من الصور تحتوي على مشاهد مختلفة على كلتا الحالتين في اليقظة وقد لوحظ أنّ الفئة الأولى كانت حركات نظراتهم سريعة وزائغة خاصة عندما تنطوي الصور على مشاهد مخيفة وغير سارة للنظر ، بينما كانت حركات المجموعة الثانية عادية ومركزة في كل الحالات.

وقد علل الباحثون ذلك بقولهم : "إنّ اللاّ استرجاعيين يمكن أن يسلكوا في أحلامهم بنفس طريقة تنقل العين هذه، فهم يرون أحلامهم، ولا سيما غير السارة بنفس الأسلوب، وبالتصميم يحجمون عن تذكر أحلامهم ويترددون في تذكرها، تماما مثلما هم يتفادون أو ينكرون الخبرات غير السارة وضروب القلق الكابسة الضارة التي يمرون بها في حياتهم اليومية"[2].

وكأن هذه الفئة وبعبارة أخرى (أي اللاّ استرجاعيون) تكبت أحلامها وتمنعها من الظهور عن طريق الذاكرة في مجال الوعي الشعوري.

ولو أجرينا مجموعة من الاختبارات النفسية على هذه الفئة من أجل الكشف عن شخصيتهم لوجدناها تتسم بالقوة وعدم الإفصاح عن ما يجري في داخلها وعدم الإعراب عن الانفعالات والاضطرابات التي تصاحب القلق إزاء مشكلات الحياة التي يمر بها أي فرد منا.

---

[1] أخذ بالتلخيص من موسوعة علم النفس والتربية، تفسير الأحلام ،غسل المخ، الجزء السابع.

[2] المصدر السابق، ص 118.

وفي نظرنا إن عملية نسيان الأحلام تتناسب عكسيا مع مدة الزمن بعد انتهاء الحلم أي أننا كلنا نحلم، لكن كلما كانت الاستفاقة طويلة بعد انتهاء زمن الحلم ،كلما قلت إمكانية تذكره و كلما كانت الاستفاقة من النوم آنية وسريعة ، كلما كانت إمكانية تذكره أكبر، فالتجربة التي ذكرت سابقا أفادت أنّ الأشخاص اللا استرجاعيين عندما أُفيقوا أثناء حركات العين السريعة استطاعوا تذكر بعض المشاهد بينما عندما تركوا حتى استفاقوا لوحدهم لم يذكروا شيئًا.

8- أحلام الأطفال:

إنّ أحلام الطفولة سواء تلك التي تظهر في النوم أم التي تحدث في اليقظة هي البدايات الأولى والخطوات الأساسية في عمليات النمو العقلي للطفل. وقد لوحظ على الأطفال الحديثي الولادة تعابير للوجه تدل على السرور، الخوف أو البكاء أثناء النوم وضهور حركات العين السريعة ، ولكن هل هذه المشاعر والعلامات هي لبنات البناء المكونة للأحلام أو بطريقة أخرى هل حقا يحلم الأطفال؟

إن الإجابة على هذا السؤال تكون إما بنعم أو لا، ولكن ميلنا الشخصي في الإجابة هو لم لا!!

فقد تأيّد حدوث الأحلام عند الأطفال مثلما هو عند الكبار في مختلف الأعمار خاصة أثناء فترات النوم الحالم، لكنْ الأشخاص البالغون الذين يتم إيقاظهم خلال فترات النوم الحالم يفيدون بأنهم كانوا يحلمون، أما عند الأطفال فإن الحصول على مثل هذه البينة هو أمر صعب، بل يتعذر كليا في الطفولة المبكرة، وكل ما يمكن التيقن منه هو أن الطفل خصوصا حديث الولادة يمر بأدوار مماثلة من حيث الظواهر البيولوجية التي يمر بها الكبار خلال مرور الأحلام، إلا أن الطفل لا يملك المقدرة الكافية للتعبير عن تجربة حلمه وهذا ما يُصعب مهمة تحديد المرحلة الزمنية من عمر الطفل التي يبدأ فيها الحلم "... يتطور لدى الطفل وعي شعوري، وله إدراك بدائي، ومشاعر وذاكرة، ولكن لا يملك بعد مادة اللغة،

والتفكير الخبري أو الرمزي يحتاج إلى اللغة، فإذا كان الأطفال يحلمون فخبرتهم الشخصية لا يمكن أن تكون من نفس النوع الذي يكون لدى البالغين"[1].

ولأن الأحلام تأخذ معانيها من البيئة المحيطة بالإنسان، فإن اللغة هي الوسيلة التي تجعل الطفل يفهم بيئته وهذا يعني أن الأطفال الحديثي الولادة لا يحلمون بنفس الطريقة التي يحلم بها الكبار، فالطفل الصغير ربما يحلم بالجوع أو العطش أو البرد أو الحر ... ولكنه لا يمكنه أن يحلم بأنه يسمع تحذير أمه له بأن لا يصرخ أو يبكي، لأنه لا يفهم اللغة التي تخاطبه بها أمه.

وتبدأ اللغة تظهر أثرها على الأحلام عند الثالثة أو الرابعة من العمر ولقد وجد علماء النفس وعلى رأسهم العالم النفسي التربوي "بياجيه" الذين درسوا تطور الأحلام عند الأطفال، أنّ المرحلة التي يمكن أن يخبر بها الطفل عن أحلامه والمشابهة لقصص الكبار، تبدأ في الظهور من عمر ثلاث سنوات وحتى إلى 4 سنوات، أي حينما يبدأ الطفل في اكتساب القدرة على اكتساب اللغة والتفكير الخبري، وعند السابعة من العمر تتطور الأحلام أكثر وتظهر معظم مواصفات الأحلام عند الكبار.

وقد قام البروفيسور دفيد فولكز (David Foulkes) من جامعة إيموري بالولايات المتحدة الأمريكية بإقامة تجربة على الأطفال في هذا الصدد حيث "أحضر أطفال يبلغون من 3 إلى 4 سنوات إلى معمله ... ولمدة تسع ليال كان يوقظهم من نومهم العميق ليسألهم عما يتذكرونه ... ولقد قام الأطفال بسرد كامل أحلامهم... وعند بلوغ الأطفال الخامسة والسادسة من أعمارهم كانت أحلامهم أكثر عمقا... وفي سن السابعة والثامنة وخاصة ممن يتمتعون بذكاء ومهارة عالية فإنهم يحلمون كما يحلم البالغون"[2].

والأحلام عند الأطفال عموما تتسم بأنها أحلام متماسكة ومترابطة وواضحة وهي قابلة للفهم، تماما مثلما هي عند الكبار، والطفل يحلم لينفس عن نفسه ما يعانيه ويصب

---

[1] د. سيد الحديدي: باختصار عن الأحلام، دار شعاع للنشر والعلوم حلب، سوريا الطبعة الأولى، سنة 2009، ص 99.

[2] د. عبد الحكيم العفيفي: الأحلام والكوابيس، تفسير علمي وديني ، الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 1993، ص 46-45.

في أحلامه آماله ومخاوفه، كما قد يعكس الحلم احباطات الطفل وفشله وعداوته، وغالبا ما تتأثر الأحلام عند الأطفال بظروف معيشتهم وأمورهم العائلية والاجتماعية والصحية وخبراتهم اليومية.

إن معظم الأحلام التي جمعناها من فئة الأطفال وبالتنسيق مع أوليائهم كانت ترصد حوادث اليوم السابق، والرغبات التي يحرمون منها أو يتعذر تحقيقها، كما أنّ الأطفال الذين تعرضوا إلى عقاب أو إحباط في ذلك اليوم أو الذي سبقه يأتي الحلم لتعويضهم وإشفاء غليلهم لذلك الأمر. فإذا كان قد أهين فهو يرد الإهانة، وإذا كان قد حرم من القيام بأمر ما فهو يشبع رغباته في الحلم.

ولقد لاحظنا أن أحلام الأطفال، حين جمعنا لمادة الأحلام عند هذه الفئة أنها تضمنت مجموعة من الحيوانات مثل الأرانب والأسد والطيور والأغنام ... وذلك لتأثر هذه الفئة بالقصص التي تروى لهم قبل النوم من طرف أوليائهم وكذا لمشاهداتهم لبعض الأفلام قبل النوم فترى الطفل في حلمه يتقمص شخصية بطل القصة أو من يعتبره هو بطل.

ومن الملاحظات الظاهرة على محتوى الأحلام أن الطفل الصحيح البنية يحلم أقل من الطفل المريض، والصحة والمرض يؤثران على الشخص سواء في اليقظة أو النوم، وإذا ما ارتفعت درجة حرارة الأطفال كثرت أحلامه في اليقظة أو النوم، وإذا ما ارتفعت درجة حرارة الأطفال كثرت أحلامه وإذا ما شفي الطفل من مرضه وقلت درجة حرارته قلت أحلامه وكثيرا ما تكون أحلام الطفل عند المرض عبارة عن كوابيس.

"ويرتبط الذكاء بكثرة الأحلام وكلما زاد ذكاء الطفل كثرت أحلامه، ... والأطفال الجانحون أكثر أحلاما من الأطفال الأسوياء، وكذلك الأطفال الذين تطلق أمهاتهم أو ينفصل أحد أبويهم أو ... تكثر أحلامهم ... وتتغير طبيعة الأحلام عند الأطفال مع تغير الأعمار، وتنضج أحلام الطفل مع نضوجه العاطفي... كما أن أحلامهم حسب

شخصياتهم، فالطفل العدواني أحلامه عدوانية والطفل القلق أحلامه يتخللها القلق ..." [1].

وبصفة عامة إنّ لطموحات الأطفال ورغباتهم وآمالهم ومخاوفهم وفشلهم وعداوتهم دورا في توجيه أحلامهم وكل ما لا يتحقق في اليوم يعكس في الأحلام وبالتالي تعتبر أحلام الأطفال متنفسا ، من خلاله يتم تحقيق كل الرغبات والأماني أو تعتبر بمثابة نشاط نفسي يهدف إلى تحقيق الرغبات وهذا التحقيق في حد ذاته يساهم في تخفيف القلق والإجهاد النفسي ، خاصة إذا ما عرفنا أن الأطفال يحلمون بكثرة وبشكل أغزر إذا ما كانوا قلقين ومرهقين نفسيا في النهار السابق للحلم. وعلى هذا فإن الأحلام تعتبر مهمة خاصة لعالم الأطفال الذين يجدون متنفسا من خلالها.

---

[1] حنان خوري : الأحلام ولغة الحلم، دار الحداثة للطباعة والنشر لبنان، لطبعة الأولى، سنة 1989، ص 98.



الفصل الثاني:

الكوابيس أو الأحلام المزعجة

الفصل الثاني: الكوابيس أو الأحلام المزعجة

تمهيد:

1 – كيفية حدوث الكابوس

2 – تكرار الكابوس

3 – أسباب حدوث الكوابيس

4- الكابوس في حياة البالغين

5- الكابوس في حياة الأطفال

6- الكابوس والاضطرابات النفسية والاجتماعية

7- علاج الأحلام الكابوسية (كيف نقضي على الكابوس)

تمهيد:

في هذا الفصل سوف نحاول أن نتكلم عن نوع خاص من الأحلام ، وهي الكوابيس، وهذا النوع من الأحلام يفزع الإنسان ولا يستطيع منه الفرار أثناء نومه إلا بالاستيقاظ الذي يصاحبه دوما الخوف والرعب والفزع وأحيانا كثيرة البكاء، ويلي هذا الاستيقاظ مباشرة تذكر الحلم بالتفصيل والذي يتضمن عادة تعرض الحالم نفسه أو من تربطه به محبة إلى خطر وشيك يهدده ، أو قد يظهر لنا مواقف مخيفة لم نعهدها تحدث في واقع الحياة ، مثل أن نرى بعض معارفنا يتحولون إلى مجرمين أو يعتدون علينا أو كأننا بين وحوش مفترسة ...

وقد يتكرر هذا الحلم الكابوسي على نفس الصورة التي جاء عليها في البداية، كما قد يختلف ويتنوع أحيانا أخرى، وعادة ما تحدث هذه الكوابيس على إثر تعرض الفرد لتجربة أو صدمة مؤدية كما يمكن أن يكون إثر تعرض الفرد إلى مرض وإرهاق يحتمل الخطر أو حالة نفسية مشبعة بالقلق والانفعالات.

ولأن هذا النوع من الأحلام يشعر الفرد بانفعالات سلبية شديدة واختناق قد لا يستطيع فيه الحالم التخلص أو الفرار منه فإنه ثمة أسئلة تصاحبنا لمعرفة حقيقة الكوابيس وهي:

ما هي الأسباب المؤدية للكوابيس ولماذا تتكرر؟

وما هو دور المنبهات الخارجية والاضطرابات النفسية والاجتماعية على ظهورها؟

وهل يمكن أن نقضي عليها؟

هذه الأسئلة تجعلنا نلقي نظرة على الطريقة التي يمكن لأجهزة الدماغ المنتجة للأحلام عندما تصبح مبالغة في أحداثها أو مشوهة وما ينتج عن ذلك من تبعات غير مرحب بها، وهو موضوع ذو أهمية كبيرة في علم الأحلام وعلم النوم الحديث لما له من أثار نفسية على صاحبه.

1- كيفية حدوث الكابوس

إنّ الحديث عن الكوابيس هو حديث عن نوع خاص من الأحلام بحيث نجدها عبارة عن أحلام مزعجة تحدث أثناء النوم، وتتميز بحركات عين سريعة ويصاحبها شعور قوي بالخوف لا يمكن الفرار منه.

وقد يصل إلى القلق الشديد الذي ينتهي عادة بصراخ أو استيقاظ صاحبه من النوم، وقد نجدها باسم الأحلام المزعجة أو أحلام الرعب وفي الاصطلاح النفسي هي: "حلم مزعج يكون في مرحلة النوم العميق وينتهي بيقظة تامة ووعي كامل... والأسباب المقلقة خلال النهار هي نفسها التي تؤدي إلى هذه الأحلام المزعجة أو إلى الكوابيس خلال مرحلة النوم"[1].

أما عند "فرويد" فالكوابيس في الحقيقة تشكل لديه مشكلة من حيث أنه كان يرى في الحلم أنه تحقيقا للرغبة أي بمعنى مصدر لذة وليس ألم ، وبما أن الكوابيس تغلب فيها أحاسيس مزعجة وترافقها مشاعر القلق التي قد تنتهي باستيقاظ صاحبها، فكيف يمكن الحديث عن الحلم المرعب أو الكابوس الذي هو مصدر ألم، خاصة وأن "فرويد" هو صاحب المقولة المشهورة بأن "الحلم هو حارس النوم".

الواقع أن فرويد قدم تفسيرا لهذه المشكلة بالنسبة إليه ووضح ثلاثة أسباب لحلها مشيرا إلى كيفية حدوث الكابوس. "أولها أن تحقيق الرغبة المكبوتة لا يكون كاملا أبدا ... وقد يؤدي ذلك إلى شيء من الانزعاج وشيء من القلق.

والثاني، هي أن الرغبة المكبوتة هي بالضبط رغبة لا يريد الشعور الاعتراف بها، لذا فإنّ تحقيقها يمكن أن يرفق بالمشاعر المؤدية، وهذا هو السبب الأكثر أهمية في الضيق الناشئ عن الكوابيس.

[1] فاديا أحمد عباس، مشاكل النوم عند الأطفال، دار الفكر العربي للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1998، ص 149.

والثالث هو أنّ بعض الرغبات المكبوتة قد تشمل على نتائج مؤلمة بالنسبة لمن يغديها ... وأعطت صبغة شاقة مزعجة بل مؤلمة وهذه الصبغة هي التي نلقاها في الكابوس"[1].

إنّ هذه الطريقة التي بين من خلالها "فرويد" كيفية حدوث الكابوس توضح لنا التناقضات القائمة في الحياة النفسية من خلال ظاهرة الأحلام، فالكابوس بالنسبة إليه هو أشد صلة بالحياة وهو تعبير عن التناقضات الموجودة في الشخصية والصراعات المكبوتة قد تظهر في الأحلام على شكل كوابيس في محتوى مؤدي ، ولكن تحقيقا لرغبة معينة تشتمل على رموز جنسية "وكثيرا ما يكون الكابوس تحقيقا غير متنكر للرغبة، ولكن لا رغبة نؤهل بها ونسهل، بل رغبة مكبوتة مدافعة، والقلق الذي يرافق هذا التحقيق يحل محلّ الرقابة"[2].

وغالبا ما تعكس الكوابيس أحاسيس الإنسان ومشاعره، وتفكيره المنغرس في اللاوعي وعقله الباطن ونشاطه أثناء اليقظة. جاء ذلك خلال اجتماع حضره أكثر من مائتي (200) باحث من جميع أنحاء العالم في جامعة "تافتس" الأمريكية، لمناقشة إحدى الاكتشافات في عالم الأحلام وتأثير توترات الحياة اليومية على طريقة نوم الشخص والأحلام التي تراوده فيها والكوابيس.

حيث يرى العلماء أنه "رغم كون الأحلام المزعجة أو الكوابيس تسبب الضيق إلاّ أنّ لها وظائف مفيدة للإنسان من ناحية تذكيره بالأشياء التي تحتاج إلى تفكيره وانتباهه وتتطلب تركيزه وفطنته"[3].

و وجد الباحثون في إحدى الدراسات التي أجريت على أربعمائة و خمسين (450) طالب أن "الأشخاص الذين يعانون من مستويات توتر عالية في الحياة اليومية يواجهون قدرا أكبر من الأحلام السلبية"[1].

---

[1] فاديا أحمد عباس: مشاكل النوم عند الأطفال، المرجع السابق ص 149.

[2] بير فوجيرولا: الثورة الفرويدية، ترجمة حافظ الجمالي، منشورات وزارة الثقافة و الارشاد القومي ، دمشق ، الطبعة الاولى ،سنة 1972 ، ص 90-91.

[3] رولان دالبيز: طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية، ترجمة حافظ الجمالي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1983، ص 67-68.

ويرى البحث الذي نشرته مجلة "علم النوم والأحلام" أنّ تقليل التوتر في أوقات اليقظة يقلل بدوره التوتر الذي يصيب الإنسان أثناء الحلم خاصة بالنسبة للكوابيس التي تأتي بعد أحداث نفسية مؤثرة.

وتحدث الأحلام الكابوسية أكثر ما تحدث لفئتين من الناس بصرف النظر عن أعمالهم، فالفئة الأولى هم الذين تعرضوا إلى خدمة معينة قوية أشعرت الفرد بالخوف والقلق الشديد على حياته من خطر يهددها ، كمخاطر الحريق أو فيضان أو حادث سيارة مروع أو مشاهدة جريمة أو موقف عنيف كخبر موت أحد أفراد العائلة أو الأقارب أو حتى بعد مشاهدة فلم مرعب ... وغير ذلك من التجارب التي تكون لها صلة وفعل الإسناد والإعداد لحلم كابوسي، وليس من الضروري أن يتخذ نفس الشكل أو المحتوى فقد يأتي بصورة جزئية، كما يمكن أن يأتي على صورة رمزية تحتاج إلى التفسير.

أما الفئة الثانية فهي الفئة التي تعرضت إلى مسببات مرضية من شأنها التأثير على الدماغ بصورة أو أخرى. ومن هذه المسببات نذكر مثلا تناول بعض الأدوية أو التوقف المفاجئ عن استعمالها كالمركبات المضادة للكآبة، وبعض المستحضرات التي تسبب الإدمان والمواد المنشطة.

وسواء كان الحلم الكابوسي إثر صدمة قوية تعرض لها الفرد ، أو إثر مسببات مرضية فإنّه يتميز بمجموعة من الخصائص والعلامات من شأنها الظهور على الفرد كلما تكرر الكابوس وهي:

"* الخوف الشديد والذي يصل إلى حد الهلع والفزع في اللحظة السابقة لإستيقاظ الفرد من كابوسه.

* الشعور بالضيق والثقل الجاثم على الصدر، وهذا يؤدي إلى ضيق التنفس والشعور بالاختناق.

[1] الكوابيس و الأحلام المزعجة، صحيفة الشعب اليومية بتاريخ 24-06-2009، ص 1. Arabic-peopele.com

* شعور الحالم بأنه مشلول الإرادة وبأنه عاجز عن زحزحة الثقل على صدره، إضافة إلى عجزه عن الصراخ والاستغاثة.

* أعراض فسيولوجية تدل على زيادة في فعالية الجهاز العصبي الذاتي كسرعة النبض والخفقان والتعرق"[1].

إن جميع هذه الأعراض قد تكون مجتمعة في الشخص الذي يستيقظ من حلم كابوسي ، ولكن سرعان ما تختفي وتزول حدتها بمجرد إدراك الفرد بأنه كان في حلم وليس حقيقة، لذلك قد يعود هذا الشخص إلى نومه مباشرة بعد الاستيقاظ ، ولكن في حالات كثيرة خاصة عندما يتكرر الكابوس لمرات عديدة يحاول الفرد تجنب العودة إلى النوم تفاديا لمعاناة جديدة.

2- تكرار الكابوس:

إنّ الكابوس الذي يتكرر بنفس المضمون والصور والأحداث هو كابوس يخفي إما صدمة شديدة تعرض لها الإنسان، أو عجز الإنسان إزاء صراع نفسي شديد أو مشكلة خطيرة أحاطت بحياته في وقت من الأوقات. "الكابوس محدد بمواقف عصيبة من الحياة ترجع إلى زمن بعيد، ولا تلعب أي دور في الوعي ... والشعور بالقلق محدد من قبل موقف حديث العهد يحول إلى حدث معاش سابقا قد يرجع إلى الطفولة"[2].

فإذا افترضنا مثلا أن شخص ما يشاهد كابوسا متكررا يأتيه كل مرة على شكل أنه تُرك في المقبرة وحده، وأن خطرا يهدده داخل ساحة المقبرة وفجأة يشاهد عظاما وجثثا ميتة داخل القبور، يهرب فيستيقظ.

لتفسير ذلك يجب علينا أن نستعلم من صاحب الحلم الظروف التي تجعله في حياة اليقظة يتذكر المقابر... ونأخذ فكرة منه عن الموت وما الذي يمكن أن يحدث له وهو في مكان واسع ولوحده ...

---

[1] د. علي كمال: باب الأحلام، سلسلة أبواب العقل الموصدة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الثالثة، سنة 1994، ص 345.

[2] نادية شرادي: الحلم تجربة نفسية خاصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، سنة 2008، ص 54.

إن الكابوس يتصف عادة بالوضوح، وذلك الوضوح يعكس بدون شك خبرة حياتية مؤلمة واقعية ، حدثت للشخص الحالم ومع ذلك فإنه علينا أن لا نكتفي بتحليل الخبرة الواقعة وعلاقتها بالكابوس فحسب بل نوضح أنّ تمّتَ تفسيرا غير صحيح اتجاه هذه الواقعة من طرف الحالم، ففكرة الموت ووجوده بالمقبرة لوحده هي فكرة خاطئة ذلك أن الموت هي نهاية كل واحد منا، وليس هو فقط، وكلنا ندفن في المقابر. كذلك يجب أن نربط فكرة الحالم (يترك لوحده بالمقبرة وخطر ما يهدده) بماضيه، فهو يشعر بالوحدة والخوف والقلق لخبرة شعورية مر بها منذ الطفولة، كأن حدث معه مثلا أن تركته أمه مرات عديدة بالبيت لوحده وغلقت الأبواب عليه، لتعود بعد فترة زمنية معينة، أو كان ينام في غرفة لوحده، يستيقظ، فإذا به يسمع رياحًا قويةً أو ... هذه الحالات مثلا أشعرته في زمن الطفولة بخوف شديد وقلق ومصير مجهول لم يستطع الخروج منه بمفرده، ولما كانت أحداث الطفولة تنسى وتبقى آثارها في خبرات اللاشعور، فإنّ ثلث الخبرات تتحد مع خبرات الحياة المستقبلية المماثلة لها لتظهر في شكل أحلام كابوسيه. إذن بهذه الأحداث مجتمعة يحدث الكابوس المتكرر.

"استعداد مسبق + ظروف حياتية واقعية تتفق مع طبيعة ذلك الاستعداد + فشل الفرد في إخراج مخاوفه لحيز الشعور والمنطق والتفكير العلمي السليم"[1].

وطالما بقيت واستمرت هذه المعادلة الثلاثية يصبح الفرد عرضة من وقت لآخر لأن يرى الكابوس المتكرر. "ما هو إلاّ رغبة قديمة غير محققة ومنذ مدة طويلة مكبوتة"[2].

ولكن إذا ما تغير عنصر من هذه العناصر الثلاثة في هذه المعادلة من شأنه التأثير على الحلم الكابوسي ، أي كلما أدخلنا أفكار مغايرة ومنطقية في أذهاننا كلما قلّت العناصر المضيفة في الأحلام الكابوسية وبالتالي يمكننا أن ننتهي من هذه الأحلام المزعجة عن طريق أفكار جديدة مغايرة. إذا بقولنا هذا نجزم على أن الحلم الكابوسي قد يتكرر بنفس الصورة وأنه إذا ما أدركنا أسبابه يمكننا أن نقضي عليه ، وسوف نشير إلى هذا في

(1) عبد الحكيم العفيفي: الأحلام والكوابيس، الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 1993، ص 83.

(2) Freud.(S) « le rêve et son interprétation », paris, Gallimard, 1969, p 93.

عنصر لاحق ولكن ما يهمنا من هذا هو أنّ تمت فرقا إذا بين الحلم الكابوسي والحلم العادي وبين الحلم الكابوسي والدعر الليلي أو ما يصطلح عليه برعب الليل.

إذ إنّ الفرق بين الحلم الكابوسي والحلم العادي هو فرق من حيث الدرجة وليس النوع فالكابوس ترتفع فيه شدة الأحاسيس والعلامات التي سبق ذكرها إلى درجة الاستيقاظ ، بينما في الأحلام العادية تتصف الانفعالات في عموميتها بالمتوسط أو لنقل بموضوعية على حسب الموقف.

كما أنّه عادة ما تكون الأحلام العادية عبارة عن حل أو إرضاء لمشكلة قائمة والتي على إثر حل هذا المشكل والصراع أو إرضاء شعور ما فإنّ حالة النوم تتواصل، بينما في الكابوس فالصراع شديد والخوف مستمر والمشكلة واضحة ومع ذلك ليس هناك حلّ لها أو الحالم لا يستطيع أن يتغلب على المشكل مما يزيده معاناة ويؤدي عادة في الأخير إلى الاستيقاظ ، والفرد في حالة قلقة ومتوترة ومدركا لكل المشاهد والصور التي مرت عليه.

ومن جهة أخرى الحلم العادي يتغير بتغير مراحل العمر والمواقف والظروف فأحلام الطفولة تتطور وتتغير في المراهقة وتتخذ مجرا آخرا في سنّ الكهولة، أما الأحلام الكابوسية تتكرر عادة وبدون تغير وفي بعض الحالات حتى مع طول السنين ، فكثيرا ما نجد حلم كابوسي صاحب الفرد منذ مرحلة الطفولة بنفس المشاهد ونفس الخيالات والصور التي كانت تنتهي به إلى الاستفاقة من حلمه.

وعموما فإنّ معظم الأحلام الكابوسية المتكرّرة لمدة زمنية طويلة تدور حول المشاكل الطفولية الغير محلولة.

"قد يكون سبب الكوابيس في الأحلام الخوف من تجربة سابقة تعرض لها الفرد، فالطفل الذي تلقى عقابا بالضرب يخشى تكرار العقاب فيأتي حلمه مزعجا"[1].

[1] Bossard.R « phychologie du rêve », paris, payot, 1972, p 167.

فالعقل كما يبدو لا يستطيع ترك مثل هذه التجارب بدون حل، بل لابد من ظهورها في الأحلام ، وكلما كانت الأحداث قاسية ومؤثرة كلما كان الكابوس مخيف ومروع.

أما إذا تحدثنا عن الرعب الليلي فهو لا يختلف كثيرا عن الكوابيس من حيث الشدة الانفعالية والتوتر والصراع ولكن يتصف صاحبه بأنّه لا يتذكر عن هذه التجربة أي شيء "تتصف حالة الرعب الليلي بصرخة مفاجئة تصدر عن النائم، ثم يجلس أو ينهض على إثرها وهو في حالة تنم عن فزع شديد، فعيونه مفتوحة، وجسمه متخشب، ويبدو في حالة ارتباك مع فيض في نشاط الجهاز العصبي العاطفي، وتستمر الحالة بضع دقائق يعود بعدها لمتابعة نومه، وفي الصباح لا يتذكر شيئا عن تجربته مما يدل على أنه لم يستفق فعلا من نومه أثناء النوبة التي مرّ بها"[1].

فكلتا الحالتين تحدثان أثناء النوم ولكن الشخص الذي يعاني من أحلام كابوسية ينهض وهو يعي محتوى حلمه المرعب على خلاف رعب الليل الذي ينتهي كذلك بقلق ورعب ، ولكن دون أن يتذكر صاحبه شيئا مما حدث له أثناء النوم. وكثيرا ما تقود صاحبها إلى المشي والتنقل ليلا خصوصا عند الأطفال، كما يلاحظ عليهم (أي الأطفال الذين يعانون من رعب الليل) اضطراب في الحركات أثناء النوم.

3 – أسباب حدوث الكوابيس:

يمكن أن تكون هناك عدة أسباب تقف وراء حدوث الكوابيس بما في ذلك الأسباب الجسمية، والمخدرات والأدوية والمرض وبعض المنبهات الخارجية التي قد يكون لها أثر على ظهور الكابوس.

فقد قيل أن من أسباب الكابوس الجسمية "الاضطرابات المعدية وعسر الهضم وقيل أن من أسبابه الجسمية أيضا إعاقة الدورة الدموية بسبب الوضع غير الملائم الذي يكون عليه النائم ... كذلك لوحظ أن الأحلام المزعجة والكوابيس تكثر عند الإصابة بمرض

[1] الدكتور علي كمال: باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 354.

القلب أو الرئتين، ويرى الكثيرون أن الأعضاء المريضة تطبع خواصها على مكونات الحلم وأن مرضى القلب تقع لهم أحلام قصيرة مزعجة تنتهي بالدعر الذي تعقبه اليقظة"[1].

وفي كثير من الأحيان "يؤدي تناول وجبات دسمة من الطعام وفي أوقات متأخرة من الليل أو قبل النوم مباشرة إلى رفع مستوى العمليات الحيوية الكيميائية بجسم الإنسان وخاصة في الدماغ مما يرفع من احتمال المعاناة من الكوابيس الليلية"[2].

لكن قد تحدث الكوابيس بدون هذه الأسباب، وهذه العوامل قد لا تكفي وحدها لتفسير أعراض الكابوس، فلم يثبت اتفاق هذه الأسباب لحدوث الكابوس فعلا ومثال ذلك هو أنه قد يصاب الإنسان بسوء هضم واضطراب المعدة دون أن يتعرض للكابوس مرة واحدة، وقد يكون معافى سليم الجسم وينتابه حلم كابوسي.

إنّ ما هو ملاحظ أن غالبية الأحلام المزعجة والكوابيس مرتبطة بفترات التوتر في الحياة اليومية وبالتغيّرات الرئيسية التي تحصل للفرد في حياته، ويعتبر القلق والتعرض للضغوطات النفسية والاجتماعية والسياسية من أكثر الأسباب شيوعا للحلم بالكابوس.

فهناك الكثير من النظريات التي تعتبر الحلم الكابوسي تعبيرا عن القلق "إنّ شدة الحلم هي التي تتغلب على شخصية الحالم، وتسبب له فيض الانفعالات الفيزيولوجية كضيق التنفس والخفقان والتعرق والشعور بالاختناق وهي الأحاسيس التي تصاحب شعور الخوف والقلق بصورة اعتيادية"[3].

ويعتقد الباحثون أن الأفراد من ذوي الشخصيات الضعيفة الحساسة أو الهشة هم أكثر قابلية لحدوث الكوابيس مقارنة مع الشخصيات القوية هذا وقد أجرينا مقابلات مع مجموعة من الأطباء المختصين في كل من الطب العصبي والطب العقلي والطب النفسي "بالمستشفى الجامعي الدكتور دمرجي تلمسان عن أسباب حدوث الكوابيس وتوصلنا إلى مجموعة من النقاط الهامة والتي يمكن الإشارة إليها في:

(1) نجيب يوسف بدوي: الكابوس، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1989، ص 84.

(2) علي أحمد عبد المنعم: الكوابيس، منتديات الإبداع العلمي بتاريخ 4 مارس 2009، ص 1 (ebdaa.youf.com).

(3) د .علي كمال: باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 350.

* نشاط مراكز الانفعالات في المخ والتي بواسطتها تحدث الانفعالات السلبية وتسبب كوابيس مزعجة.

* وجود مرض معين مثل تعرض الفرد إلى حمى حيث تتسبب له في ظهور بعض الهلاوس والأحلام الكابوسية، كما أن الإجهاد العصبي والإجهاد الجسمي يؤديان إلى ذلك.

* الآثار الجانبية لأحد العقاقير أو التوقف الحديث عن تناول بعض العقاقير مثل الأدوية المهدئة وأقراص النوم ومن أبرز هذه العقاقير: مركب (دوردية) والذي يستعمل كمنوم ومركبات (الباربتيوريت) والتي تستعمل في التسكين وفي مداواة الأرق والصراع ومركب (سيربسيل) والذي يستعمل في علاج ضغط الدم ومركبات الأمفينامين وهي مواد منشطة والمركبات المضادة للكآبة، وبعض المركبات الدوائية المعقلة والمستعملة في علاج الاضطرابات العقلية، وخاصة دواء الموديكية، ومعظم المستحضرات والعقاقير التي تسبب الإدمان أو التعود على الاستعمال سواء خلال فترة تناول هذه المركبات أو عند التوقف عن استعمالها لسبب أو آخر.

* اضطرابات التنفس أثناء النوم واضطرابات النوم.

* الحالة التي يكون عليها الشخص النائم والتي قد تساعد في حدوث الكوابيس كنومه على ظهره أو النوم في أوقات غير منظمة أو الحرمان من النوم.

* الأسباب النفسية مثل: الاضطراب الانفعالي والتوتر وعدم الاستقرار، الشعور بالضغط الزائد.

* مشاكل الحياة والمحاولة للهروب إلى النوم.

* كثرة الصدمات وعدم الشعور بالأمن، والخوف الشديد (كما في حالات الخوف من الظلام) والكآبة.

* انشغال الوالدين عن الأطفال نهارا أكثر من اللازم كما في حالات المرأة العاملة.

* اتجاهات الوالدين الخاطئة عن النوم ومدته ومتطلباته تجاه أبنائهم كإجبار الطفل لينام في وقت محدد حسب ظروف الوالدين (سواء النوم مدة أقل أو أكثر من اللازم أو استعمال التهديد والعقاب في النوم).

هذه النقاط التي توصلنا إليها عن أسباب حدوث الكوابيس حسب مجموعة من الأطباء المختصين، وفي الحقيقة يصعب التعرف على الدوافع الكامنة وراء هذا النوع من الأحلام خصوصا عند الحالات التي لا تعاني من أي اضطراب سبق ذكره، لأن ظهور هذا النوع من الأحلام يختلف عن بقية الأحلام الأخرى من حيث تكرارها ونوعية مسبباتها، ونظرا لأن هذا النوع من الأحلام يسبب قلق واضطراب لدى الشخص خاصة إذا ما تكررت لديه نفس الكوابيس ، فإنه ينبغي على الشخص ذاته أن يتفحص نشاطاته التي يمارسها ومختلف التغيرات التي تحصل على جوانب شخصيته وعلاقاته الاجتماعية حتى يتسنى له ضبط نوعية سلوكاته والتحكم في شخصيته ونوعية العلاقات المحيطة به ووضع حد لتكرار مثل هذه الأحلام.

كما أن هذا النوع من الأحلام يوفر نفس الفرصة التي توفرها الأحلام لبحث الرموز والأفعال الرمزية لتعزيز الحياة اليومية.

4- الكابوس في حياة البالغين:

لقد أقيمت تجربة على عينة من الطلبة عددها 10000 طالب وطالبة من طرف العالم Denies ومساعده Kathryn Belicky عام 1988 وذلك بجمع عدد الكوابيس التي مرت على هؤلاء الطلبة طيلة سنة، حيث صرحوا بأنهم يمرون ما بين كابوس إلى ثلاثة كوابيس خلال السنة ، إلا أن هذه الدراسة وغيرها من الدراسات انتقدت بسبب أنها دراسات غير رسمية وتعطينا صورة عامة عن مدى تكرار حدوث الكابوس ولكنها لا تعطينا معلومات محددة عن طبيعته وأسبابه و...

وفي سنة 1990 أجريت دراسات على الأسوياء في مخابر أبحاث النوم من طرف العالمين النفسيين مارين فلدمان Marrin Feldman ومايكل هرسن Michael hersent بالولايات المتحدة الأمريكية حيث أفادت هذه الدراسة "أنّ من بين أربع آلاف حلم لكل شخص خلال سنة يتذكرون على الأقل حدوث كابوس مرة واحدة كل عام أو مرتين، كما

أوضحت أن نسبة حدوث الكابوس تتناقص بمرور السن وأنّ كبار السن الذين سبق لهم التعرض للكابوس قد يستمرون في رؤية الكوابيس إذا ما عانو من توتر أو صدمة"[1].

كما توضح دراسة هارتمان أن "نسبة حدوث الكابوس تتناقص بمرور السنّ وخاصة في الأفراد الذين يتمتعون بصحة وعافية ... بينما تزداد هذه النسبة بالنسبة للكبار وكلما تعرضوا إلى أمراض تتطلب علاج مطوّل ... أو إذا أصيبوا بالاكتئاب"[2].

إنّ هذه التجارب وغيرها قامت بدراسة الكابوس في حياة البالغين من حيث مدى تكراره خلال السنة أو في العمر كله ولكن هذا النوع من الأحلام يتطلب نوع من الدراسة والاهتمام أكثر بمعرفة أسبابه وظروف حدوثه خاصة عندما يتكرر.

فقد تكون هذه الأحلام عند البالغين نتيجة لحاجات الشخص التي لا يمكنه التعبير عنها في حياته اليومية ، فتظهر وتترجم على شكل انفعالات وحالات غضب نتيجة لقمعها في الحالة الأولى أو قد تكون نتيجة لصدمة معينة أشعرت الفرد بخوف شديد وقلق من احتمال الخطر على حياته ومثل هذا قد يحدث كما سبقنا وأن ذكرنا للجندي المحارب كما يحدث للمدني إذا ما تعرض إلى تجربة مماثلة في خطورتها وليس بمحتواها بالضرورة ومثل ذلك كالتعرض للزلازل أو الفيضانات أو الحريق أو إثر حالة موت مروّعة لحادث سيارة أو موت قريب دو صلة متينة بالفرد ... والأمثلة على ذلك كثيرة لأن تكون تجربة كافية لحلم كابوسي وسببا كافيا لتكراره.

وأثناء جمعنا لمادة الأحلام قمنا بتخصيص جزء منها للكوابيس وانتقينا هذا الحلم الكابوسي، لتماشيه مع هذا العنصر، وقبل أن نقوم بدراسة تحليلية لهذا الحلم نوضح الخطوات التي اتبعناها في ذلك.

* تعريف الحالة.
* ذكر الكابوس كما ورد عند صاحبه.

---

[1] Fornest Hartmann « the psychology and biology of terrifying Dreams », Basic Books u.s.a, 1990 , p 183.

[2] Yi. Butuan « l’inconscient et la psychanalyse », paris, P.U.F, 1er Ed, 1980, p 126.

* ذكر رأي الحالة في هذا الكابوس.

* استخراج الرموز المتواجدة فيه.

* تفسير الحالة للكابوس.

* ذكر التفسير العلمي لهذا الكابوس (التحليل النفسي).

* تحليل التفسيرين.

1- تقديم الحالة:

هي عبارة عن شابة تبلغ من العمر 26 سنة توأم مع أختها التي توفت منذ سنتين إثر تعرضها لمرض خبيث، لقيت مصرعها على إثره.

هذه الشابة هي أكبر إخوتها الأربع أنهت دراستها الجامعية وهي الآن تشتغل مهنة التدريس بإحدى المدارس الابتدائية ، الحالة غير متزوجة ولا تعاني من أي مرض عضوي أو اضطرابات واضحة وهي مقيمة ببلدية منصورة من ولاية تلمسان في ظروف سكنية ومعيشة جيّدة، أبوها يشتغل منصب المحاماة أمّا أمها فهي معلّمة.

2- ذكر الكابوس كما ورد من طرف صاحبه:

"شُفت نفسي في المنام، خارجا من دارنا في الليل، وكانت الظلمة بزاف (كثيرا) وقعدت(وبقيت) نمشي وحدي حتى لقيت نفسي نمشي على الماء، وذاك الما بدا (وذلك الماء بدأ) يطلع في جسمي وبديت نغرق ونحس روحي نختنق، ومنين شعرت بالاختناق بديت نعيط ونقول راني نغرق غادي نموت، راني نغرق غادي نموت، حتى فقت من المنام ولقيت روحي حقا أشعر بالاختناق".

3- ذكر رأي الحالة في الكابوس:

"هَذا المَنَامْ يْقَلَقْني كْثِيْر وَمْنِينْ نَتْفَكْرَه نْحَسْ بْلَحْمي يَتْنَمَل (أحس بجسمي يقشعر) خاصة مْنِينْ حَسيتْ رُوحِي نَخْتْنَقْ ونموت ، إحساس ما نَقْدَرْشْ نَوَصْفَه، كُونْت وَحْدِي نَتْخَبَّطْ ونْصَارَع الموت وخَايْفَة، في ذلك اللحظة حَسِّيتْ قَدَّاشْ الإنسان ضعيف".

4- استخراج الرموز المتواجدة في هذا الكابوس:

إن أهم الرموز التي ظهرت في هذا الحلم الكابوسي هي: البيت، الليل، الظلام، الماء، الغرق، الاختناق، الموت.

5- **تفسير الحالة للكابوس:**

شفت روحي نغرق ونموت ربما أنا ثاني غاديا نموت ونلحق أختي الله يرحمها اللي ماتت. خاصة وأننا توأم وكنت نقاوم في المنام الموت، وفي الحقيقة أنا ما نخافش من الموت ولكن نخاف نتعذب كيما تعذبت أختي باش عاد نموت".

ثم توقفت قليلا وبعدها أضافت:

"طبعا الموت هي نهاية كل واحد منا ومكتوبة على كل واحد ولكن طريقة الموت هي ألي صعيبة".

6- **ذكر التفسير العلمي لهذا الكابوس (التحليل النفسي):**

تجدر بنا الإشارة قبل الشروع في تحليل هذا الحلم ومدلولاته وفق المنظور العلمي(التحليل النفسي) ، أن نذكر الظروف النفسية والأسرية المحيطة بالحالة والتي تساعدنا على فهم الكابوس.

فهي كما سبق الذكر توأم أختها المتوفاة إثر مرض خبيث وهو سرطان الحنجرة، الحالة جدّ مرتبطة بأختها خاصة وأنّ التوأم يشدّهما ارتباط نفسي وتعلق شديد ببعضهما، كما أنّها كانت جد متأثرة بمرض أختها وعانت طيلة فترة مرضها من القلق والحزن من فقدانها، كما يمكننا الإشارة إلى أن الحالة لم تكمل دراستها الجامعية خلال السنة التي توفت فيها أختها.

كل هذه الظروف أثرت على شخصية الحالة ونفسيتها، وجعلت أغلب الموضوعات التي تدور فيها أحلامها يغلب عليها مشهد الموت أو الصراع ... أمّا إذا حاولنا تحليل هذا الحلم وفق التفسير العلمي فلابد لنا من تفكيك رموزه وقراءتها (*):

(*) تفكيك رموز هذا الحلم مأخوذ من كتاب ،تفسير الرموز والإشارات، للدكتور سليمان الدليمي، مرجع سبق ذكره.

* فالبيت: هو رمز معقد في الحلم ويرمز إلى الأسرة أو المنزل الذي يقيم فيه الشخص، والبحث عن أشياء جديدة في الحياة.

* الليل: يرمز إلى حالة الكآبة والحزن الشديد والشعور بالضياع.

* أما الظلام: فيرمز إلى عدم القدرة على تمييز الأشياء مما يدفع بالشخص إلى القلق والخوف من الوقوع في أمر ما.

* الماء: وهو أحد أكثر الرموز أهمية، تناولته جميع الثقافات والحضارات دون استثناء والماء مصدر الحياة، وظهوره في الحلم يشير إلى الحياة نفسها. والدخول في الماء أو الغوص فيه يشير إلى البحث عن معنى جديد في الحياة. وقد يعني الغوص في أعماق اللاشعور (المكبوتات).

* ويعني رمز الغرق بصفة عامة: ردود فعل عاطفية عن أمور وقضايا متعلقة بالشخص، وقد يشير إلى حالة الشخص الداخلية وما تنطوي عليه من انفعالات وتوترات.

* أما الاختناق فهو إشارة تحذيرية من مشكلة صحية.

* وظهور الموت في الحلم هو من بين الرموز الشائعة في الأحلام، وإن كان ظهوره مقلق ويبعث الخوف، إلا أنّ معناه علميا على عكس حقيقته فهو يعني محاولة الفرد الاستعداد للتغيير والدخول في مرحلة حياتية جديدة أو في صدد تغيير بعض المواقف والاتجاهات والتخلص من بعض الأمور غير المرغوب فيها.

هذا بالنسبة إلى تفكيك رموز هذا الكابوس علميا، وإذا حاولنا ربط هذا التفسير ومعانيه بالظروف المحيطة بالحالة الداخلية والخارجية، فإنه يتجه نحو ما تعانيه هذه الشابة من مشكلات نفسية بعد وفاة أختها وكل ما ظهر في هذا الكابوس من رموز كالغرق والظلام أو الليل يشير إلى حالة الكآبة والضياع والشعور بالحزن الشديد عن فقدان أختها وفي نفس الوقت الصراع الذي مازالت لم تتخلص منه.

ومن جهة أخرى يشير ظهور بعض الرموز كالبيت والماء إلى استعداد الحالة للتغيير والبحث عن مستقبل ومعنى جديد للحياة وطلب الإعانة من الأسرة والمحيط على هذا التغيير والدخول في مرحلة جديدة نحو غد أفضل.

7- تحليل التفسيرين:

إنّ ما نلاحظه على التفسير الأوّل للحلم ، وهو تفسير صاحب الحلم نفسه أنّ الحالة لم تدرك أبعاد الرموز واكتفت بالمضمون الحقيقي للحلم. وهو الغرق والموت وأكثر من ذلك اكتفت بتحليل حادث الموت فقط. دون محاولة شرح بقية عناصر الحلم الكثيرة. ويعود ذلك في نظرنا إلى الارتباط بأختها والمعاناة التي عانتها قبل وفاتها وإلى القلق والخوف من الموت، والتفكير الدائم فيها خصوصا حينما قالت "طبعا الموت هي نهاية كل واحد منا، ومكتوبة على كل واحد ولكن طريقة الموت هي اللي صعيبة".

أما التحليل العلمي فكان يتجه نحو المكبوتات اللاشعورية والصراع الذي يعيشه الأنا في محاولة التوفيق بين واقع الحياة وصدمة الموت وهو يشير إلى اتساع الفراغ العاطفي الناتج عن الحادثة ، ومن جهة أخرى يشير التحليل النفسي عن طريق التفسير بالتضاد أو العكس للحقيقة إلى حاجة الحالة للتطلع نحو مستقبل أفضل وهذا لن يكون إلا بالتخلص من مشاعر الكآبة والتعود على الحياة كما هي بإيجابياتها وسلبياتها وبمعنى أدق موت الحياة السابقة وبداية الحياة الجديدة.

5- الكابوس في حياة الأطفال:

إنّ أحلام الأطفال بصفة عامة هي أحلام متماسكة ومترابطة وواضحة قابلة للفهم لا يكتنفها أي التباس ... ولكن الكوابيس تظهر كذلك عند الأطفال وحتى في زمن مبكر.

فعندما يصل الأطفال إلى سن الثالثة أو الرابعة من عمرهم فإنهم يمرون بخبرة الاستيقاظ من النوم مدعورين، شاعرين بأنّ شيئا مرعبا قد حدث أو يحدث لهم، وعادة ما يقوم الوالدين في بث الطمأنينة في نفوس أطفالهم، فيخبرونهم بأنّ ما حدث كان مجرد حلم مخيف ويضيئون الأنوار ليثبتوا لهم أنهم في غرفهم المألوفة، وأحيانا ما يشعر الطفل عند ذلك الوقت بحاجة إلى أن يترك له المصباح منير أثناء الليل أو أن يظل باب غرفته مفتوحا. وهنا يجب على الوالدين العمل على راحة الطفل، وإذا ما حدث للطفل كابوس فإنّ من الحكمة ألا نشجعه على النوم في غرفة والديه، بل تبقى معه في غرفته حتى يهدأ مرة أخرى ويكون مستعدا للعودة إلى النوم.

إنّ العالم الخارجي يبدوا للطفل وكأنه خليط من الحقيقة والخيال "قبل أن يصل الطفل إلى عامه السابع أو الثامن فإنه يفشل في التفريق ما بين الأحلام وبين الأحداث الخارجية، وبالنسبة له فإنّ" الكابوس ممكن أن يحدث في عقله وممكن أن يحدث في غرفة نومه"[1].

فقد عبر طفل صغير يبلغ من العمر الثامنة عن هذا الازدواج في التقييم بواسطة الرسم الذي قدمه إلى العالم النفسي جان بياجيه jean piaget: "قال الطفل أنه حلم أن الشيطان أراد أن يسلقه في الماء المغلى ، أما في الرسم فقد أوضح الطفل أنه كان في سريره في الناحية اليسرى من اللوحة ورسم في الوسط الشيطان وعلى اليمين قام برسم نفسه مرة أخرى وهو يرتدي قميصه أمام الشيطان الذي كان على وشك أن يسلقه في الماء المغلى"[2].

---

[1] Doubleday-S « the New encyclopedia of child care & guidance », copyright 1968, basic books, u.s.a, p 88.

[2] jean piaget « ce qui disent les rêves, le symbolisme du rêve », paris, stock plus, 1986, p221.

إنّ الأطفال ينظرون إلى الأحلام المزعجة أو الكوابيس على أنها أحداث حقيقية في الحياة لذلك فهي من مظاهر الخوف لديهم والتي تحتاج إلى الاهتمام والرعاية، ومحتوى هذه الكوابيس يتغير بتطور مراحل النمو عند الأطفال ومرتبط بتميز النشاط النفسي لديهم، فكل مرحلة تتسم بجمع قدر كبير من المعلومات الخارجية التي تساهم في تكوين وتوضيح بعض الصور المبهمة عند الأطفال والتي قد يكون بعضها من نسج الخيال أو عن طريق الحكايات. "فالأطفال في الثانية من عمرهم يصفون ما يخيفهم في الأحلام بأنه أصوات مخيفة أو حيوانات أو آلات. أما الأطفال الدين تتراوح أعمارهم من 3 إلى 5 سنوات فإن الحيوانات المفترسة والوحوش هي أهم ما يظهر في كوابيسهم ... ومنها العقارب والثعابين والأشخاص كبيري السن المشوهو الوجوه. أما الأطفال الأكبر فإن صور الكابوس ترتبط ارتباطا وثيقا بثقافة البالغين الشعبية ومعتقداتهم التي تحتوي تهديد الصغار بالوحوش حتى يرتعدوا ويتم السيطرة عليهم"[1].

وبصفة عامة يمكن القول أن كوابيس الأطفال تظهر تنوعا كبيرا في التفاصيل وعادة ما يظهر محتوى الكابوس خبرة مؤلمة في نفس يوم حدوث الكابوس أو في اليوم الذي يأتي بعده لذلك يقول فرويد أن "المادة التي تكوّن الحلم مستمدة من الخبرة أي أن الحلم يستحضرها ويتذكرها"[2]. بعد أن تعرض لهذه الخبرة المؤلمة في النهار أي منبعها التجارب المعاشة خلال حياة اليقظة.

ومن أمثلة هذه الكوابيس التي يتعرض لها الطفل، كابوس الاختناق وكابوس المطاردة أو كأن يكون لوحده في غابة أو مكان واسع ومخيف ، أو لوحده في البيت أو الغرفة فإذا بحيوان ما أو شخص مخيف يريد الدخول ... وغيرها من الأمثلة التي تحتوي على صور مرعبة للأطفال. فكابوس الاختناق مثلا كثير الارتباط بالأطفال وقد يكون السبب المباشر هو أن الغطاء كان قد ألقي فوق وجه الطفل لدرجة أنّ أنفه وفمه لم يستطيعا التنفس بدرجة كافية، كما أنّه من بين أكثر كوابيس الأطفال شيوعا؛ أن يحلم الطفل بأنه عاجز عن

(1) نجيب يوسف بدوي : الكابوس، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1989، ص 84.

(2) نادية شرادي: الحلم تجربة نفسية خاصة، مرجع سبق ذكره، ص 50.

الحركة أو الجري والهروب في مكان مخيف أو أنّه يجري بسرعة وهو متعب وهو ما زال في مكانه وشخص ما يكاد اللحاق به ... هذه بعض الأحلام التي عادة ما تظهر عند الأطفال وقد تتكرر وربما يرجع ذلك إلى ذكريات الطفولة المبكرة حينما كان الطفل عاجزا عن الحركة أو لا يستطيع المشي بمفرده.

إنّ الأطفال يشعرون بالاطمئنان في حضور الوالدين ويشعرون بالخطر بمفردهم فالعالم من حولهم يبدوا خطيرا ومملوء بالأحداث والتطورات التي يعجزون عن السيطرة عليها أو فهمها. ومع ذلك فإنّ الأحداث التي تقع أمام الطفل في حالات اليقظة لا تشكل بمفردها الكابوس. فالأحلام المزعجة لها مصادر متشابكة والمثير الخارجي يحتاج إلى أن يكون مصاحبا لفكرة معنوية لكي يحدث الكابوس "فهو يراجع كل ما سجله الشخص شعوريا أو لا شعوريا ويعبر عن نفسه بفضل مواد مستعارة من الحياة البيوغرافية للحالم"[1].

فالطفل لا يأتيه الكابوس لمجرد إحساسه بأنّ جسمه في حالة خطر، ولكنه إذا ما حدث له خطر أو تهديد معنوي فإنّ الكابوس يحدث، فقد يرى الطفل حيوانا مفترسا ثائرا في الغابة في شريط تلفزيوني كالأسد مثلا ولكنه لا يشعر أثناء ذلك بخطر يهدده، ولكن إذا ما هددته مثلا المربية قائلة له بأنّه أصبح شقيا وسوف تترك الأسد يأكله لأنه يأكل الأطفال الأشقياء ، فهنا يُدعم المثير الخارجي الذي هو الأسد الثائر بمثير معنوي الذي هو التهديد اللفظي من طرف المربية، وعندئذ يحدث الكابوس بصورة مركبة، فالطفل يشعر بالتهديد على شقاوته وهو في نفس الوقت يشعر بالخوف والضعف الجسماني أمام هذا الحيوان الكبير والمفترس.

"ويجب التشديد على القول أن ذات الطفل يجب أن تنمى إلى حد معقول قبل أن يظهر القلق في حياته، فالطفل يجب أن يكون لديه منطق عقلي لكي يفهم الأشياء المجهولة حوله قبل أن تصبح هذه الأشياء مصدرا للرعب والخوف"[2].

---

[1] Teillard (A) « ce qui disent les rêves, le symbolisme du rêve », paris, stock plus, 1986, p 38.

[2] Fornest Hartmann « the psychology and Biology of terrifying dreams », pantheon Books, new york, copyright, 1989, p 90.

وهذا قد يحدث للأطفال في مرحلة بداية التحدث والكلام وفهم لغة المحيطين به خاصة الوالدين لذلك ينصح بعدم استعمال التهديد كوسيلة لدعم الطفل أو التخويف كعقاب له.

وقد يستمر حدوث الكابوس وتكراره عند الطفل لفترات طويلة لدرجة أن هذا الطفل يصبح غير راغب في الذهاب إلى النوم، وفي هذه الحالة من المهم معرفة السبب وراء ذلك وتداركه. حتى لا يستمر في المراحل الأخرى أو يكبت لاشعوريا ليظهر في مرحلة لاحقة.

وسوف نتناول مثال على ذلك في دراستنا لهذه الحالة بالاعتماد على نفس الخطوات المتبعة سابقا.

تقديم الحالة: هو عبارة عن مراهق يبلغ من العمر 16 سنة ،أول إخوته الثلاث يدرس السنة الثالثة متوسط، والده عامل بمصنع أما أمه ربة بيت، الحالة لا تعاني من أي مرض عضوي أو اضطرابات واضحة، وهو مقيم في منطقة أوجليدة بتلمسان في وضعية سكنية متوسطة ومستوى معيشي لا بأس به.

ذكر الكابوس كما رواه صاحبه:

"وَحْد الَمَرّة نْمْتْ مَهْبُول يَجْرِي وْرَايَا (ورائي) بِخَدْمِي كْبِيرَة (سكين)، وْمَّا كَانْ حَتىَ حَدْ في الطريق، وعْيِيتْ ما نْزَّقِي (أصرخ) وحتى واحد مَا سْمَعْني، حتى عْيِيتْ (تَعِبْت) وَلْحَقْنِي ذَاك الْمَهبُول وَمْنِين جَا يَضْرَبْني بَلْخُدْمِي بَعْدْ ما شَّدْني بَدِّيتْ نْزَقي، نزقي حتى لْقِيت رُوحِي مْجَمَّع، وْمَامَا حْدَايَّا (بجنبي) تْقُولِي بَسْم الله على ولدي هذا غِيرْ مْنَام" ثم أضاف وقال هذا المنام شُفْتَه شْحَالْ من مَرَّة".

ذكر رأي الحالة في الكابوس:

"... هذا المنام يخوفني سِرْتوُ (خاصة) منين نكون وحدي في الصراع وما نلقاش حد يساعدني ولا يسمعني، ونحس بالبرد والخوف. خاصة وأن هذا الحلم يتكرر عندي، ولكن منين نلقى روحي في منام برك نحمد الله ونقرى أية الكرسي كثيرا ونعود للنوم".

إستخراج الرموز المتواجدة في الكابوس:

إن أهم الرموز التي ظهرت في هذا الكابوس هي:

رجل مجنون، سكين، الصراخ، والصراع.

تفسير الحالة للكابوس:

ربما هذا المنام يعني أن شيء ما غادي يسرالي (سوف يحدث لي) وأنا رايح للمدرسة. مثلا يجري ورايا (ورائي) كلب أو مهبول ولا تضربني لوطو (سيارة) سيرتو (خاصة) صراتلي مرة جراو مورايا كلاب، وما لقيتش حد يسلكني وكنت وحدي".

ذكر التفسير العلمي لهذا الكابوس (التحليل النفسي):

قبل ذكر التفسير العلمي لهذا الكابوس، فلابد لنا من الإشارة إلى الظروف المحيطة بالحالة والتي كثيرا ما تساعدنا في فهم الحلم بصفة عامة، فالحالة عانت مسبقا حادث وقع معها في الصباح الباكر وهي متجهة إلى المدرسة (للإشارة الحالة تقطن بعيدا عن المدرسة) بحيث هاجمتها مجموعة من الكلاب، وعاشت صراعا مريرا لوحدها، إلى أن مرت سيارة بقربه، وقدم له صاحبها العون وأعاده إلى البيت نتيجة الحالة التي آل إليها.

ومن تم أصبحت الحالة تراودها المخاوف والشكوك خاصة من طرف الكلاب ولاسيما وهي متجهة إلى المدرسة كل يوم في نفس التوقيت.

هذه الحادثة حصلت معه منذ أن كان في عمره إحدى عشر سنة.

وإذا أردنا تقديم رأي التحليل النفسي لهذا الكابوس من خلال تفكيك رموزه وقراءتها فلابد لنا من معرفة معنى كل رمز وعلاقته بالظروف الشخصية لهذه الحالة (*)

* فرمز الرجل المجنون: يعني في التحليل النفسي التعبير عن حالة الفرد الراهنة بسبب ما يعانيه من ضغوطات وتوترات لها علاقة بظروفه النفسية وأحواله الشخصية.

(*) تفكيك رموز هذا الحلم مأخوذ من كتاب ،تفسير الرموز والإشارات، للدكتور سليمان الدليمي، مرجع سبق ذكره.

* أما رمز السكين: فظهوره يعتبر من الرموز المخيفة في الحلم، وتنطوي دلالته على أشياء غير سارة والخوف من الموت، كما يشير ظهوره إلى محاولة الفرد التحرر من القيود التي تواجهه، والخوف من ما سوف يحصل مستقبلا.

* الصراخ في الحلم يعني المعاناة وطلب النجدة.

* أما الصراع: هو رمز خفي في الحلم، فإذا كان من جنسين مختلفين أي بين حيوان وإنسان فهو يعني أن المصارع (الشخص) هو على أحسن الأحوال وفي نهاية الأمر يستدرك أموره.

أما إذا كان بين نفس الجنسين أي بين شخصين بغض النظر عن صفتهما وهو ما ورد في هذا الكابوس، فمعناه أن المصارع مغلوب على أمره ويحتاج إلى المساعدة.

إذن وبعد تفكيكنا رموز هذا الكابوس على طريقة التحليل النفسي وبالنظر إلى ظروف الحالة السابقة الذكر، فإننا نلاحظ:

أنّ هذا الكابوس هو كثير الظهور عند هذا المراهق، الأمر الذي جعل حدّة التوتر عالية والمخاوف متزايدة، والتطلع إلى المستقبل هو في حدّ ذاته أمر يثير بعض المخاوف، لاسيما وأننا قلنا سابقا أن الأحلام بصفة عامة والكوابيس بصفة خاصة تكتسب موضوعاتها من واقع الحياة اليومية والخبرات الحياتية.

وظهور هذا الكابوس وتكراره متعلق بحادثة وقعت معه منذ زمن الطفولة، والحالة إلى حدّ اللحظة مازالت تعاني من الخوف المكبوت والتوتر وبعض القلق أحيانا خاصة عندما تكون متجهة إلى المدرسة باكرا.

إن شخصية هذه الحالة هي شخصية ضعيفة وحساسة كما أنها هشة تجعلها أكثر قابلية للضغوطات الخارجية التي تنعكس على الحالة الداخلية للفرد ، ومحاولة تخفيض التوتر النفسي والقلق والخوف في أوقات اليقظة يقلل بدوره حدوث هذا الكابوس أثناء النوم.

7- تحليل التفسيرين:

إن ما يمكن الحديث عنه من خلال التفسير الأول أي تفسير صاحب الحلم لحلمه هو أنّ تفكيره كان متجها نحو التوقع لما قد يحدث له مستقبلا، والتنبؤ من خلال حلمه هذا إلى حادثة قد تحدث معه انطلاقا من حادثة وقعت معه سابقا، ومن هنا إشارة من

طرف هذا المراهق إلى علاقة الكوابيس والأحلام بصفة عامة بالمشكلات النفسية التي يعيشها الفرد من جهة وبالأحداث المستمدة من واقع الحياة اليومية من جهة أخرى.

وكأننا نجده يردد القول المشهور لفرويد "إننا نحلم لأن اللاشعور يريد أن يخبرنا بشيء ما"، كما أن صاحب الحلم اكتفى بتفسير المضمون العام للحلم، والجو المحيط به دون الإشارة إلى التفاصيل الدقيقة والرموز الأخرى ومع ذلك نجد تقارب بين التحليلين وهو أن التفسيرين مرتبطان بالحالة النفسية التي يعيشها الفرد نفسه بالرغم من أن صاحب الحلم ليس له دراية برأي التحليل النفسي في ذلك. ولكن أي شخص من خلال دراسته لأحلامه يمكنه أن يتعلم الكثير من الأشياء عن نفسه ورغباته وتصرفاته، وأي رمز يظهر في الحلم لا يمكن تفسيره بمعزل عن شخصيته نفسها، وهنا نجد أنفسنا متجهين نحو رأي "يونغ" من خلال قوله :

" إن الإنسان حتى وإن لم تكن لديه معرفة متخصصة في التحليل النفسي بمقدوره أن يتعامل مع أحلامه والقدرة على تفسيرها ".

6- الكابوس والاضطرابات النفسية والاجتماعية:

الإنسان بصفة عامة يخفي في داخله الكثير من الرغبات والأفكار والأشياء التي ستتراءى في عالم الأحلام، والأحلام في هذه الحالة حتى وإن كانت كوابيس تؤدي وظيفة غاية في الأهمية، وهي السماح لمثل هذه الرغبات بالخروج والتعبير عن نفسها أثناء النوم نتيجة الأزمات النفسية والضغوطات الاجتماعية والتراكمات الثقافية التي تتضخم عبر الأيام والأحداث.

والكابوس معروف لدى كل إنسان وهو يأتي "للبالغين بنسبة تتراوح ما بين 50% إلى 60% وأحيانا أكثر من ذلك لدى الأطفال..." [1]. وعلى ذلك فإن ما من أحد منا لم يعش تجربة مؤلمة مع كابوس في فترة ما من حياته، وإذا كانت هذه النسب المختلفة لحدوث الكابوس تقع للأسوياء من الناس، فإن العلم الحديث قد أوضح أنّ هناك علاقة بين ظهور

[1] عبد الحكيم عفيفي: الأحلام والكوابيس، مرجع سبق ذكره، ص 91.

الكابوس المتكرر والتوتر النفسي والعصاب والدهان، بالإضافة إلى بعض المشاكل الاجتماعية الناتجة عن صدمات مثل الطلاق أو الإفلاس أو فقد شخص عزيز فجأة.

فقد وجد في دراسة أمريكية: "أنّ المصابين بالشيزوفرينيا أو الفصام schizo phrenia يكثر بينهم حدوث الكابوس، وبالرغم من أنّ الأفراد الذين ينتابهم الكابوس المزمن يشتغلون وظائف جيدة وخاصة الوظائف ذات الصفة الفنية ، فإن بعض صفات الفصام تظهر بينهم"[1].

كما أن البروفيسور إرنست هارتمان Ermest Hartmann قد أشار في كتابه إلى مجموعة من الاضطرابات النفسية والاجتماعية التي تساعد على ظهور الكابوس أو تعتبر إحدى عوامل ظهوره: إن التوتر بكافة صوره يقف وراء ظهور الكابوس، بالرغم من أنّ الأشخاص الذين يحدث لهم الكابوس بصفة نادرة لا يمكنهم في الواقع إرجاع الكابوس إلى نوع المشكلة التي أحدثت لهم التوتر أو حتى وقت حدوثها، ومع ذلك فإنه يصرح بأنّ المرضى الذين باشر علاجهم النفسي أو أجرى معهم التحليل النفسي أوضحوا له ازدياد الكوابيس في نومهم مع ظهور الأحداث الجالبة للتوتر ...

ومن ضمن الأحداث الجالبة للتوتر أوقات الامتحانات، أو تغيير الوظيفة أو الأوقات التي تعقب فقد أحد الأشخاص المهمين في حياة أولئك المرضى... ويؤكد هارتمان على أنه يرى أن الكوابيس تظهر بصفة خاصة في الأوقات التي يشعر فيها الإنسان بالعجز، والتي تذكره بعجزه أثناء طفولته ... كما يقول ... أنّ الصدمات التي تعتبر نوعا شديدا من التوتر يمكن أن تسبب كوابيس لعدة أيّام أو أسابيع بعد وقوع الصدمة ... وأحيانا لفترات أطول من ذلك ... وتأخذ هذه الصدمة أشكالا عدة مثل رؤية حادث مروع أو معايشة هجوم مسلح أو التعرض للاغتصاب أو السرقة تحت تهديد السلاح أو التعرض لجرح شديد أو الوقوع ضحية لصدمات الحرب النفسية...[2].

---

[1] Fornest Hartmann « the psychology and Biology of terrifying Dreams », p 81 مرجع سبق ذكره

[2] Fornest Hartmann « the psychology and Biology of terrifying Dreams », p 81مرجع سبق ذكره

ملاحظة: هذه النقاط الواردة في هذه الفقرة قد تم استخلاصها من مجمل عنصرين من كتاب البروفيسور هارتمان ولم تأت مرتبة بصورتها الحالية.

إذن الكابوس بصفة عامة يظهر عند كل الناس بدرجات متفاوتة ولكن يكثر في حالة الإصابة بالاضطرابات النفسية وحيثما تكون المخاوف كبيرة من أمر ما والقلق المصاحب لها، كما يظهر عند الفصامين بكثرة والشخصيات التي تعاني من الاكتئاب أو اضطرابات في الشخصية بسبب تسلط بعض الأفكار على صاحبها. ولن نغوص أكثر في هذا المجال لأننا سوف نعالجه في الفصل اللاحق، وإنما نريد التأكيد على أنّ الكابوس كحلم يتكرر مع الحالم سواء رأى نفسه في مأزق شديد أو يختنق ولا يستطيع التنفس أو يسقط من مكان مرتفع أو يهاجمه لص أو مجنون ولا يستطيع الهروب وغيرها من الكوابيس التي تحتوي على مشاهد لا تفارق صاحبها وتتكرر بنفس الطريقة أو بطريقة مشابهة فإن صاحبها لابد له من التعرف على الدوافع الخفية والرغبات الدفينة في أعماقه التي تسيطر على أفكاره واتجاهاتها في أثناء النوم لأن الكشف عن الجوانب الخفية من شخصيتنا يتيح لنا فرصة معرفة دواتنا بكل ما تنطوي عليه من عناصر إيجابية وسلبية.

فالطفولة مثلا على وجه التحديد معرضة لحالات قلق متعددة غالبا ما تكون مرتبطة بالمحيط الأسري أو الخارجي للطفل كالأسرة أو المدرسة أو الشارع والحالة التي درسناها في العنصر السابق كمثال على ذلك.

فهذا الطفل الذي صار الآن مراهق إذا ما استيقظ مذعورا أثناء النوم من جراء ذلك الكابوس الذي عادة ما كان يتكرر لديه منذ الطفولة أو بالتحديد منذ الحادثة، أصبح في هذه الحالة مشكلة. وللحد من ظهور هذا الكابوس، لابد من معرفة الأسباب التي تقف وراءه، فالخوف والقلق وعدم الشعور بالأمان أثناء الاتجاه إلى المدرسة باكرا... هي إحدى الأسباب التي يجب تداركها وعلاجها. ومن المهم في هذا الإطار التأكيد على أهمية العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة وإعادة النظر في أسباب سلوكات أبنائهم وردود أفعالهم خاصة وأنّ هناك من الأبناء من ليس له القدرة على التعبير عن رغباته وأحاسيسه.

ونفس الأمر بالنسبة للكوابيس عند البالغين، فهي كذلك تتطلب نوع من الدراسة والاهتمام بمعرفة أسبابها خاصة عندما تتكرر. فالمثال الذي حللناه في عنصر الكوابيس عند البالغين ومن خلال مقابلتنا مع الحالة وجدنا أنّ مثل مشهد الموت كثيرا ما يتكرر معها

وذلك في نظرنا لارتباطها بشقيقتها والخوف من الموت. وإن كانت أحلام الموت بصفة عامة تصبو إلى حاجة الفرد للتغيير ودفع الشخص لإجراء بعض التغييرات في سلوكه وتعديلها أو قبول أفكار جديدة تنعكس إيجابا على حياة الفرد وعلى علاقاته بالآخرين.

وهذا ما أكد عليه العالم النفسي أدلر في اعتباره للأحلام في أنّها ذات طابع شخصي واجتماعي وثقافي بما في ذلك الكوابيس التي تتشكل من محيط الفرد وبيئته الاجتماعية والثقافية والمستمدة من علاقات الفرد اليومية.

لكن وبالرغم من أن الاستقرار العقلي والنجاح في الحياة كفيلان بمنع حدوث الكابوس إلا أنّ لكل منا نقطة ضعف تحت تأثير صعوبات وأزمات الحياة، وبالتالي ما من أحد منا معفى من ظهور الكابوس طوال فترات حياته. لذلك يمكن للفرد الذي يظهر معه الكابوس وخصوصا الذي يتكرر معه أن يتغلب عليه بإتباع مجموعة من الطرق والتي أهمها:

"* أن يقوم الإنسان بكتابة التفاصيل التي يمكن أن يتذكرها عن الكابوس الذي حدث معه.

* ربط قصة الكابوس بالأحداث المباشرة.

* البحث عن الأسباب والربط بين الكابوس وبين السبب المباشر لحدوثه.

* وعلى الذي يشاهد الكابوس المتكرر بعد قيامه بالربط بين شكل وصور وأحداث الكابوس وبين الأسباب المباشرة التي دعت إليه. مع تحليل المتشابهات في كل من منهما.

* كما أنّه من المؤكد علميا أنّ الإنسان لا يخاف في وسط الجماعة مثلما يخاف بمفرده، لذلك على الشخص الذي يحلم بذلك في كابوس أن يحقن عقله في اليقظة بأنه في إيطار جماعة ولن يكون وحده وأنّه قوي برفقتهم وهذا سوف يجعل الكابوس ينتهي بدون خوف أو ألم لأننا إذا ما شعرنا عقليا أننّا لسنا بمفردنا وأنّنا أقوياء فالكابوس سوف ينتهي"[1].

7- علاج الأحلام الكابوسية(كيف نقضي على الكابوس) :

[1] نفس المرجع السابق، ص 100.

لما كان الكابوس يسبب ألما للإنسان الذي يمر به سواء أكان طفلا أم يافعا أم كهلا، فإنّ هذا الألم يتضاعف بلا شك عندما يعجز الإنسان عن أن يفهم معنى الكابوس الذي حدث له ... فالإنسان قد يشعر بأنّه لا حيلة له من أن يمنع هذا الكابوس من التكرار، وإذا كان هذا حال الكبار فما بالنا بأحوال الأطفال الذين ربما لا يستطيعوا حتى أن يفصحوا عما شاهدوه في هذا الكابوس المؤلم بالنسبة إليهم.

فهناك عدة اتجاهات في موضوع علاج الأحلام الكابوسية ومن هذه الاتجاهات علاجها على أساس تحليلي.

"فالاتجاه التحليلي يقوم على أساس الافتراض بأنّ استعادة الحالم للتجربة الأصلية التي كبتت في ذاكرته قد يكون كافيا لشفائه من حالته، كما قد تشفيه هذه الاستعارة من الأعراض المرضية التي قد يعانيها"[1].

فهذه الطريقة قد تكون نافعة في حالات معينة كمرور الفرد مثلا بتجربة قاسية ... ولكن قد يحدث الكابوس نتيجة الضغوطات النفسية والاجتماعية وبالتالي هذه الطريقة قد لا تجدي نفعا ، ويصبح الأجدر للإنسان من عدم حدوث هذا الكابوس وتكراره هو الاستقرار العقلي والاجتماعي، فالإنسان المشتت العقل الكثير المشاكل، الذي تلاحقه المشاكل من كل جهة هو عرضة بدون شك لمشاهدة الكابوس عند النوم ، والإنسان الذي يفشل في إحراز النجاح في الحياة والذي تتدهور قواه سريعا أمام التحدي هو عرضة كذلك لمشاهدة الكابوس.

"إنّ الاستقرار العقلي والنجاح في الحياة كفيلان بمنع حدوث الكابوس وذلك لأنّهما يقويان من ذات الإنسان، وإذا قويت ذات الإنسان بات راضيا عن نفسه وسعيدا"[2].

ومع ذلك ولأن لكل واحد منا نقطة ضعف تحت تأثير صعوبات وأزمات الحياة فإنه ما من أحد منا محصن من ظهور الكابوس طوال سنوات عمره، ولذلك فإن الطريقة التي سوف يأتي ذكرها يمكن أن تساعد في القضاء على الكابوس وخصوصا المتكرر منه، وهذه

---

(1) د. علي كمال: باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 353 ، 354 .

(2) عبد الحكيم العفيفي: الأحلام والكوابيس، تفسير ديني وعلمي، مرجع سبق ذكره، ص 99.

النقاط هي مستخلصة من كتاب الدكتور عبد الحكيم العفيفي في طريقة علاجه للكوابيس(*):

* أن يقوم الإنسان بكتابة التفاصيل التي يمكن أن يتذكرها عن الكابوس الذي يحدث له، والذي يتكرر بصفة دورية أو متقطعة.

* ربط قمة الكابوس بالأحداث المباشرة والبحث عن الأسباب.

* على الذي يشاهد كوابيس متكررة أن يقوم بالربط بين شكل وصور وأحداث الكابوس وبين الأسباب المباشرة التي دعت إليه، والقيام بتحليل المتشابهات في كل منهما.

* حقن عقل الشخص الذي يحلم بالكوابيس بمجموعة من المقولات التي تجعل الكابوس ينتهي بدون خوف أو ألم أو فزع، وهي بمثابة تدعيم نفسي.

* وأكبر تدعيم نفسي للشخص هو الإيمان بالله عز وجل وبالرسول الكريم والامتثال لأوامره.

إن هذه النقاط الخمس التي تم ذكرها للتغلب على الأحلام المزعجة هي نقاط جدّ مهمّة للشخص في مثل هذه الحالات، ذلك أنه باستطاعة الفرد لوحده أن يقوم بها دون عون من الآخر خاصة وأنه أدرى بظروفه النفسية والاجتماعية المحيطة به.

فإذا ما قام الفرد بكتابة كلا التفاصيل التي يتذكرها عن الكابوس فإن ذلك يساعده بلا شك في البحث عن الأسباب التي أدت إلى حدوث ذلك الكابوس. فمن مثلا يرى أنه يسير في المقابر بمفرده عليه أن يتذكر أهم خبرة له بالمقابر ومتى أصبحت مخيفة له؟ ولماذا؟ ومن يرى أنه يغرق فلابد له أن يتذكر علاقته الواقعية مع البحر أو السباحة أو الأنهار أو ما إذا كان قد غرق أحد معارفه أو أقاربه وهكذا...

وبعد القيام بالربط بين شكل وصور وأحداث الكابوس والأسباب المباشرة التي دعت إليه وتحليل كل منهما يجب على الفرد هنا أن يتأكد من ما شاهده في الكابوس كان قد شاهده في الواقع، ففي هذا التحليل سيجد الشخص أن ما رآه في الكابوس له علاقة

(*) النقاط الخمس التي تم ذكرها في علاج الكوابيس هي مستخلصة من عدة صفحات من كتاب الدكتور عبد الحكيم العفيفي ،الأحلام والكوابيس، المرجع السابق.

بالواقع ، فمثلا نبقى في نفس المثال بالنسبة للشخص الذي يرى المقابر ويخاف منها لربما تذكره بموت شخص عزيز عليه أو أنها توحي له بالأشباح أو ربما كان قد شاهد عملية دفن وأثرت فيه واحتفظ بالصورة ولربما كان قد ذهب لوحده هناك فأشعره الموقف بالوحدة والخوف.

ونحن نعلم أن الفرد لا يخاف في بعض المواقف وهو في وسط الجماعة مثلما يخاف منها وهو بمفرده. وإذن قبل الذهاب للنوم وبالنسبة للشخص الذي يعاني من الكوابيس المتكررة فإن حقن العقل بأفكار قوية وشجاعة لابد أنّها تقلل من حدة الكابوس وتغير من نهايته ، كأن يقول الفرد أنه ليس بمفرده وأنه مع العائلة أو محاط بمن يحبونه . إنّ ذلك يشكل مصدر عون كبير للفرد معنويا بحيث يدعمه وتعطيه قوة تضاف لقوته حينما يشعر في الكابوس أنه بلا حول ولا قوة. وإذا ما شعر العقل بذلك واقتنع ، فلابد أن منحنى الكابوس يتغير خصوصا إذا ما تدعم بقوة الإيمان بالله عز وجل والتي تعطيه السكينة والأمان، وامتثل لأوامره ولسيرة نبيه.

ففي سيرة النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة يعلمنا فيها كيف نتقي من شرّ الكوابيس أو كما يسميها (عليه الصلاة والسلام) الرؤيا السيّئة. وقد كان إذا أوى إلى فراشه للنوم يقول: "باسمك اللهم أحيا وأموت وكان يجمع كفيه ثم ينفث فيهما، وكان يقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ بربّ الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، ثم يقول اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، وكان يقول كذلك إذا أوى إلى فراشه اللهم ربّ السموات السبع وما أظلت، وربّ الأرضين وما أقلت، وربّ الشياطين وكما أضللن، كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط علي أحد منهم، أو أن يطغى علي، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك، ولا إله إلاّ أنت"(1).

---

(1) د. محمد بكر إسماعيل: تفسير الأحلام في ضوء الإسلام، دار المنار للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 2002، ص 14-15.

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: "حدث خالد بن الوليد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهاويل يراها بالليل حالت بينه وبين صلاة الليل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا خالد بن الوليد ألا أعلمك كلمات تقولهن، ولا تقولهن ثلاث مرات حتى يذهب الله عنك ذلك؟ قال: بلى يا رسول الله بأبي أنت وأمي فإنما شكوت هذا إليك رجاء هذا منك، قال: قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون، قالت عائشة رضي الله عنها: فلم ألبث إلا ليالي حتى جاء خالد بن الوليد فقال: يا رسول الله بأبي وأمي أنت، والذي بعثك بالحق ما أتممت الكلمات التي علمتني ثلاث مرات حتى أذهب الله عني ما كنت أجد ما أبا لي لو دخلت على أسد في خيمته"[1]. رواه الطبراني.

وعموما إذا كان الإنسان يعاني من ظهور هذه الكوابيس المفزعة عليه قبل أن يتجه إلى النوم أن يفرغ ذهنه من شواغل الدنيا وهمومها وأن لا يسمح لهواجس النفس ووساوس الشيطان أن تسيطر عليه بل يجب أن يخلص نفسه من كل عمل يجب فعله، فإنّ تأخيره يدفع الفرد بالتفكير فيه والشعور بثقله.

وقد لا يستطيع أن يتخلص الفرد من همومه وشواغل الحياة في بادئ الأمر، ولكن لو تدرب الفرد على ذلك سهل عليه الأمر وتعود عليه .

[1] الإمام المندري: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، الجزء الثاني مكتبة ومطبعة باب الحلبي، القاهرة، سنة 1992، ص 22.



الفصل الثالث:

الأحلام والاضطرابات النفسية والعقلية

الفصل الثالث: الأحلام و الاضطرابات النفسية و العقلية

تمهيد

1 – نظريات وأراء قديمة حول الأحلام والأمراض .

2 – العلاقة بين الأحلام و الأمراض الجسمية.

3- العلاقة بين الأحلام والأمراض النفسية.

4- علاقة الأحلام بالأمراض العقلية.

5- الوظيفة العلاجية للأحلام.

6- استعمال الأحلام كتقنية علاجية نفسية.

7- استعمال الأحلام كواسطة للبحث عن القوى الخارقة.

تمهيد:

إن الإجتهادات التأريخية بشأن موضوع الأحلام تفيد بأن الإنسان ومنذ القدم قد تأمل الرابطة بين الأحلام والأمراض ومن منظورات متعددة ، وقد أفادت بعض الدراسات الأنثروبولوجية على المجتمعات البدائية والمعاصرة أن الإنسان ربط ومن القدم بين حالة المرض وحالة الحلم ، وردّ الحالتين إلى فعل القوى الخارقة، وقد ظهرت عدة محاولات لتغير ذلك، كما سوف نتطرق إليها في هذا الفصل لكن محاولات العالم النفسي فرويد كانت أول من جلب الانتباه إلى العلاقة بين الأحلام والأمراض خاصة النفسية منها، ومما لا شك فيه أن فرويد كان أول المساهمين في إرساء معالم هذه العلاقة في العصر الحديث، حيث وضع الأحلام وتفسيرها كحجر الزاوية في نظرياته التحليلية النفسية تشخيصا وأسلوبا وعلاجا وله الفضل الأكبر في توجيه الانتباه إلى هذا المجال المهمل في حياة الإنسان المعاصر والذي دأب، وهو في غمرة واقعية وعلمانية هذا العصر، إلى النظر إلى الأحلام بأنها شيء منفصل تماما عن التفكير أثناء اليقظة، وبأنها خيال يقتضي نفيه عن الحياة الواقعية، لاسيما في مسألة الوظيفة العلاجية التي يمكن أن تؤديها الأحلام في الكثير من الأمراض وهو ما سوف نتطرق إليه في هذا الفصل.

1 – نظريات وأراء قديمة حول الأحلام والأمراض:

لقد أقدمت حضارات عدة على الربط بين الأحلام وما قد تندر به من أمراض ومصائب وعلى تفحص ما تحتويه هذه الأحلام من رموز وما قد تنبؤ إليه بمصير المرض أو طريقة علاجه، وقد أقيمت على إثر ذلك هياكل لتفسير الأحلام ومارس الكهنة هذه الوظيفة، حتى أنهم أقاموا مجموعة من المراسيم والطقوس على المصابين، ولعل من أبرز الأمثلة على استعمال الحلم كتنبيه يندر بمرض أو علة هو ما تناقلته الروايات عن "حلم الملك "نبوخدنصر" والذي فسر في حينه بأنه يندر بإصابته بعلة عقلية"[1].

وفي مصر القديمة فقد كانت هناك عدة أماكن مخصصة لتفسير الأحلام ولقد سميت بمعابد "السيرابيم" نسبة لإلاه الأحلام 'سيرا بيوس'، ولعلهم الأوائل الذين استعملوا أسلوب الترقيد كتوطئة للحلم: "ويقتضي الأسلوب أن يبيت الساعي للرؤيا في الهياكل، وأن يقوم بمراسيم وطقوس خاصة بما في ذلك الصوم والصلاة والتضحية وتقديم العطايا، وإذا حدثت للساعي رؤياه وهو في هذه الحضرة، قام أحد الكهنة المختصين بتفسير حلمه وفك رموزه، والتي لها أن تنبئ بسبب مرضه وأسلوب علاجه ومصير حالته"[2].

أما في الحضارة الإغريقية فقد كان هناك عدة مرافق لتفسير الأحلام والتي كان يقصدها المرضى عامة ، حيث كانت هذه الأماكن بمنزلة المعابد المخصصة لآلهة الطب، وكان الاعتقاد سائد حينها بأن إله الطب يزور الشخص المريض ويلمس جزء من جسمه وبذلك يشفيه، ثم يختفي في أثناء اليقظة، وكانت تقام لذلك طقوس خاصة كتهيئة المريض عند دخوله هذه المعابد عبر أروقة خاصة ودهاليز تزيد من توقعاته ليترك بعدها وحده في المعبد لينام وليأتيه الحلم، وفي الصباح تستعمل نفس الطريقة التي كانت تستعمل عند المصريين القدامى.

ثم تطورت هذه الأفكار حول الرابط بين الأحلام والأمراض وصدرت عن الفلاسفة والأطباء عدة أراء حول هذه الظاهرة ومنها ما أورده "أبقراط" أبو الطب، عن أهمية

---

[1] د.علي كمال: باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 549.

[2] نفس المرجع، ص 549.

التشخيص للأمراض من خلال الأحلام "فهو من ناحية قد ربط بين مواقع الكواكب كما قد تظهر في الحلم، وبين مواقع العلل في جسم المريض الحالم، ومن ناحية أخرى ربط بين محتوى الأحلام الرمزي وبين طبيعة العلة الجسمية"[1].

أما الفيلسوف أرسطو طاليس فقد رأى بأن الأحلام يمكن أن تكون واسطة إندار مبكر لوجود علة مرضية لم يتحسس بها الفرد بعد في يقظته. وتفسيره في ذلك أن "الأحاسيس الصادرة من داخل الجسم بما في ذلك العضو المريض منه قد لا تلاحظ في الفرد أثناء ساعات اليقظة بسبب توارد سيل من الأحاسيس الخارجية عليه، أما في أثناء النوم، فإن هذه الأحاسيس الخارجية تتوقف أو تقل وإلى الدرجة التي تمكن الأحاسيس الصادرة من أعضاء الجسم الداخلية من الإعلان عن وجودها.

وهذا يسهل الإحساس بالأعراض المرضية والتي أغفلت أثناء اليقظة وذلك أثناء الحلم"[2].

وهذا يعني أنه عندما تقل وتنخفض الأحاسيس الخارجية والمثيرات التابعة لها ترتفع الإحساسات الداخلية الصادرة من الجزء المريض من جسم الحالم لتصل إلى الدماغ أثناء النوم لتظهر في محتوى أحلامه ، وبذلك تكون مؤشرا لعلة أغفل الانتباه إليها في حالة الوعي واليقظة. وكان الطبيب الروماني "جالينوس" أول من أدخل المفاهيم الطبية في الأحلام بصورة مباشرة مدركا أهميتها في علاج الأمراض، أما الطبيب العربي "ابن سينا" فقد اعتمد على طريقة العلاج بالتأكيد على الطفل الذي يتبول ليلا، بأنه إذا ما أحس في نومه بذلك فإنه عليه أن يتصور في دهنه بأنه يفعل ذلك في أماكن محرمة أو لا يصح فعل ذلك فيها كالمساجد أو الأماكن العامة ... وغاية ابن سينا في ذلك هو "إقامة موانع ناهية في الدهن ترتبط شرطيا بعملية التبول، فإذا ما قامت الحاجة أثناء الليل تصور الحدث في حلمه بأنه في مكان لا يجوز التبول فيه"[3].

---

(1) نفس المرجع، ص 550.

(2) نفس المرجع، ص 551.

(3) نفس المرجع، ص 552.

وهذه التقنية ليست فقط دلالة على استعمال الحلم كواسطة للتغلب على هذا المشكل، وإنما تعتبر أيضا بما أنها استعملت الأسلوب الشرطي الطبيعي في العلاج تعتبر أسلوب علاجي سلوكي وبذلك يمكن القول بأن ابن سينا سبق غيره في المدرسة السلوكية بتقنياتها.

أما العصر الحديث فقد شهد إحياءً كبيرًا لمثل هذا التأمل حيث ذهب بعض الباحثين في الربط بين الأحلام وعلاقتها ببعض الأمراض. خاصة بظهور مدرسة التحليل النفسي ومؤسسيها إذ ذهب كل من فرويد و يانغ في دراستهما للأحلام إلى إبراز الدور الذي تلعب هذه الأخيرة في علاج الكثير من الأمراض التي كان يعاني منها المرضى أنذاك.

ومهنة "فرويد" كطبيب للأمراض العصبية مكننة من ملاحظة حالات مرضية لكثير من الأشخاص، يعتقد من خلالها أن الأحلام عبارة عن انعكاسات للخبرات والتجارب اليومية، وأنه يمكن التعرف من خلال الأحلام على الكثير من أعراض الهيستيريا والسلوك غير السوي وبقية الأعراض النفسية التي تعبر عن نفسها رمزيا والتي غالبا ما تظهر كنتاج لسبب آخر يكمن وراءها، وقد كان فرويد يشجع مرضاه دائما للتعبير عن أحلامهم عن طريق طريقة التداعي الحر للأفكار، وقد لاحظ فرويد من خلال العمل مع مرضاه أن الحقائق التي كان يبحث عنها عند تفسير الأحلام هي دائما غائبة ولا يريد المرضى أن يصرحوا بها، ومن هنا جاءت نظريته المعروفة بالكبت الجنسي وتحقيق الرغبة"[1].

وبهذا اكتشف فرويد القرابة القائمة بين التداعيات الحرة وبين مشاهد الأحلام وهو ما كان يدفع مرضاه إلى الإسرار له بأحلامهم وتساؤلهم عن معانيها خلال العلاج، وهو ما جعل فرويد يبحث عن تلك الرموز في مسار طرقه العلاجية. وهو ما سوف نحاول ان نعالجه في العناصر اللاحقة.

2 – العلاقة بين الأحلام والأمراض الجسمية:

[1] د.سليمان الدليّمي: عالم الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 39.

ربما لم يكن الفيلسوف الإغريقي أرسطو طاليس هو أول من تأمل الرابط بين الأمراض الجسمية وبين الأحلام، غير أن ما وصلنا من كتابات حول هذا الموضوع تُقِّر بأنه أول من دوَّن في هذا الأمر، من خلال نظريته التي أرجع فيها الأحاسيس الصادرة من داخل الجسم بما في ذلك العضو المريض، تعلن عن وجودها أثناء الحلم[*].

ومن أراء أرسطو التي تعتبر متممة لهذه النظرة هو رأيه بأن الأحلام ناجمة عن بقايا انطباعات حسية حدثت أثناء اليقظة، سواءا أُستقيت هذه الأحاسيس من أشياء خارجية أو مصادر داخلية حيث يقول: "حتى بعد أن تختفي الأشياء الخارجية المحسوسة، فإن الانطباعات منها يمكن أن تبقى وأن تظهر نفسها أثناء النوم بصورة أشد، ذلك أن فعل الفكر والعضو الحسي لا ينفيها"[1]. وهذا يعني أن الانطباعات الحسية المتبقية من ساعات اليقظة تحدث اضطرابا شديدا داخليا حتى أثناء النوم.

وهذه الملاحظة تصح لوصف ما يحصل في كثير من الأحيان أثناء النوم. ومثل ذلك أن الشخص الحالم يتخيل أنه يتعرض لوقع البرق أو الرعد في حين أنه في الواقع يسمع ظنينا في أدنيه، أو أنه يتذوق طعم عسل أو مأكولات شهية في حين أن المسألة لا تتعدى سقوط نقطة من البلعم في بلعومه، أو أنه يسير أمام النار أو لمست النار أحد أعضائه وهو يشعر بحرارة شديدة في حن أن بعض أجزاء جسده تعرضت للسخونة أو ارتفعت درجة حرارته الداخلية، وعندما يستيقظ هذا الحالم تتخذ انطباعات النوم هذه طابعها الحقيقي عنده. وهذا المثال ينطبق على كل أنواع الضيق أو التوعك الأخرى التي تنتاب الجسد وهذا ما يقودنا إلى القول أن الإحساس الأول الذي يتولد عن الظاهرة ينبغي أن لا يقل وضوحه أثناء النوم عما هو عليه أثناء اليقظة.

وقد شهد العصر الحديث إحياء لمثل هذا التأمل من قبل بعض الباحثين ومن بعض هؤلاء نذكر العالم النفسي يونغ والذي رأى في الأحلام رأْيا يماثل رأي أرسطو "أن

(*) أنظر العنصر السابق، نظرية أرسطو.

(1) د. علي كمال: باب الأحلام، ص 552.

الإحساسات من جزء أو عضو مريض في الجسم يمكن ملاحظتها عن طريق ما "تحت الوعي" أثناء الحلم"[1].

ومن الأمثلة التي أعطاها على ذلك مثال الرجل الذي رأى تكرارا بأنه مصاب بداء السرطان في لسانه ، حيث أن هذا الحلم جعله يخاف بشدة من السرطان وبعد مدة طويلة أصيب هذا الشخص بمرض السرطان في لسانه. وقد تأمل يونغ هذه الحادثة، أهي مصادفة أم الحلم الذي رآه والخوف من مرض السرطان كان تنبيها لظهوره فعلا، وقد خلص يانع في الأخير إلى أن هذا الرجل شعر بالمرض فعلا في ما تحت الشعور أو كما يسميه هو (ما تحت الوعي) أثناء الحلم قبل لأن يشعر به في اليقظة وبالتالي هذا الحلم كان بمثابة إندار مبكر لوجود علة مرضية لم يتحسس بها الفرد بعد في يقظته.

وفي هذا المجال قام مجموعة من الباحثين الأمريكيين بتجربة على مجموعة من الأشخاص يحاولون من خلالها دراسة أثر الأحلام ومضمونها في اكتشاف بعض المخاطر الصحية، حيث قام الدكتور روبيرت سميت Robert C.Smith وهو أستاذ بجامعة ميتشغان الأمريكية بتقديم تقرير عن هذه التجربة مفادها أن هناك احتمالا ممكنا بين محتوى الحلم وبين الصحة، فقد وجدوا أن بعض الأحلام التي تظهر نهاية علاقة شخصية أو تفككها للحالم يمكن أن تفصح عن قرب حدوث أمراض جسيمة خطيرة للإنسان، ففي هذه التجربة أو الدراسة قام العالم سميت "بفحص أحلام 148 رجلا وامرأة تقدموا للمستشفى لفحص علامات اضطرابات القلب، وبعض مظاهر ألم الصدر، ولما طلب من كل مفحوص أن يتذكر حلما حدث له أو (لها) فيما قبل الفحص وجد "سميت" أن محتوى هذه الأحلام تدور حول موت شخص عزيز أو الاختناق أو حالات الانفصال الأسري وتفكك العلاقات. وقد توصل هذا العالم إلى حقيقة، أن مرض القلب وضيق التنفس يظهر أثرهما بصورة مختلفة في أحلام كل من الرجال والنساء، ويعود هذا الاختلاف إلى الدور الاجتماعي وثقافة كل من الرجل والمرأة... فالرجال الذين يعانون من هبوط الدقات على

[1] المرجع السابق، ص 553.

مستوى القلب يحلمون بأحلام فيها موت الأقارب والمعارف، فيما يحلمن النساء بتحطيم العلاقات الزوجية أو تفككها، وأما الذين يحلمون بالاختناق رجالا كانوا أم نساء فقد أسفرت نتائج فحوصاتهم على أنهم يعانون من ضيق في التنفس ... وقد أوضح "سميت" أن 5% من الأشخاص الذين يحلمون بموت الأقارب أو الانفصال أو الاختناق لديهم أمراض خطيرة" [1].

إن هذه التجربة التي أقيمت على هؤلاء الأشخاص والتي كانت معظم أحلامهم حول الموت أو الانفصال أو الاختناق لم يكونوا أثناء الحلم أو بعده يدركون شيئا عن حالتهم الصحية، وأحلامهم لم تكن نتيجة عن قلق ما، والذي يبدوا لنا هنا هو أن الحلم هنا أحدث لنا نوعا من التحذير المسبق أو أنه كجهاز إندار مبكر لوقوع الإنسان مريضا في المستقبل.

"الإنسان قد يحلم أحيانا بمرض أو موت يقعان عليه. ومرد ذلك إلى إحساسه باضطرابات عضوية دقيقة أثناء النوم، وهذا الإحساس يدل على وجود مرض خفي لا يشعر به الإنسان أثناء يقظنه لإنشغاله بأمور الحياة"[2].

كما كشفت الملاحظات الواردة في هذا الشأن عن تجربة علمية اختبارية على مجموعة من الأفراد الدين تم تحليل دمهم خلال فترات معينة أثناء الحلم والذين تم إيقاظهم من أحلامهم وتسجيل أحداث أحلامهم وقد عرضت هذه التسجيلات على هيئة من الخبراء لتصنيفها تبعا إلى ما إذا كانت أحلاما قلقة أم غير قلقة قبل معرفتهم بنتائج تحليل الدم.

وقد تبين من مقارنة النتائج بين الحلم وبين نتائج فحص الدم بأن: "الأحلام الأكثر قلقا ترتبط بارتفاع ملحوظ في معدل الحوامض الدهنية الحرة كما أن هناك ملاحظات عيادية عديدة تلتقي مع نتائج هذه التجربة، إذ كثيرا ما لوحظ بأن نوبات الذبحة الصدرية

[1] July August « psychology Today » American psychological Association, printed in the U.S.A, April 1989, p 19-20.

[2] william Elkoholy « Sense and monsense in psychology », First Edition, Dar Al maareb, 1976, p 53.

تحدث أثناء فترات الحلم، وتفسر هذه الظاهرة بأن فترة الأحلام بما في ذلك الأحلام القلقة، تؤدي إلى زيادة في مقادير الأدرنالين في الدم، وهذا يؤدي إلى حدوث تقلصات أشد في عضلات القلب مع زيادة في سرعة النبض وارتفاع في مستوى ضغط الدم، وإذا ما اقترن ذلك بتصلب أو ضيق في شرايين القلب، فإن له أن يحدث نوبة في القلب أثناء الحلم، وما يحدث من نوبات لمرض القلب والتي قد تكون أول إشارة لوجود مرض في القلب فإن الأمر مماثلا يحدث لأحلام بعض المصابين بقرحة معدية، ذلك أن إفرازات المعدة بالحوامض تزداد أثناء فترات النوم الحالم، وخاصة إذا كان الحلم مقلقا وهذه الزيادة تهيج القرحة المعدية، وقد يكون هذا التهيج أول دلالة على وجود القرحة المعدية"[1].

وبطبيعة الحال إذا عانى أحدنا من آلام معدية أو أفرط في تناول الطعام والشراب فإن الاضطرابات الكيميائية الناجمة عن ذلك من المحتمل أن تسبب أحلاما مزعجة، وليس مستبعدا أن يكون المحتوى الفكري لهذا الشخص على علاقة بسوء استعمال الطعام، فإذا اضطرب الهضم تضمنت الأحلام أفكارا تتعلق بالاستمتاع بالطعام أو الاشمئزاز منه، وإذا اضطرب التنفس تضمنت الأحلام أفكارا تتعلق بالاختناق وعدم القدرة على التنفس، وإذا ضعفت دقات القلب أو زادت تضمنت الأحلام صراعات شخصية وفكرة الموت، وهكذا الأمر بالنسبة لبقية المنبهات الداخلية وما ينتج عنها من اضطراب من شأنه أن يؤثر على محتوى الأحلام.

وفي هذا الصدد يقول فرويد "البحث عن المصادر الداخلية للحلم يؤدي بنا إلى فحص كافة الكائن العضوي، إذ أن أعضاءنا يمكن في حالة التهيج أو المرض أن تكون مصدرا للأحلام"[2].

---

[1] Birx hauser Boston « encyclopedia of Neuroxience », Brinted in the U.S.A Volume 1 , copyright, 1987, p 40.

[2] Freud(S) « l'interprétation du rêve », p 39.

إن نفس المرء تصبح أثناء النوم أعمق وأشمل إحساسا بجسمه منها في اليقظة، وفي النوم تستقبل إحساسات وانطباعات تصدر عن أعضاء الجسم وما يحدث لهذا الأخير من تغيرات من شأنه أن يؤثر على محتوى الأحلام.

ومن المؤشرات الملموسة لقوة التنبيهات الجسمية العضوية على إثارة الأحلام التهيج الجنسي "أكثر دليل على تأثير المنبهات الجسمية الداخلية على محتوى الحلم هو التهيج الجنسي"[1].

فالإحساسات العامة التي يدركها المرء خلال اليقظة للجسم إدراك مبهم لمزاجنا والتي تشترك في تشكيلها كل أنظمتنا العضوية ، يشتد تأثيرها ليلا وتكون بذلك أقوى باعث لصور الحلم.

وخلاصة القول إن الحالات التهيجية الباطنية لأعضاء الحواس والمنبهات الجسمانية المنبعثة من باطن الجسم تعتبران كتنبيه عصبي وجسمي لصور الحلم، بحيث تختلف هذه الأخيرة (أي صور الحلم) بحسب التنبيه والأثر الذي يتركه العضو.

3- **العلاقة بين الأحلام والأمراض النفسية:**

تضم الأحلام من وجهة النظر النفسية: **أحلام النوم** وهي المشاهد والمواقف التي نراها ونعيشها أثناء النوم، كما تضم **أحلام الحياة** التي تعبر عن تطلعاتنا وأمنياتنا التي نسعى إلى تحقيقها في المستقبل، وتعتبر الأحلام من الظواهر الصحية الهامة لاحتفاظ عقلنا بلياقته أثناء النوم حتى لا يضعف حين يعود إلى اليقظة.

ونحن في ممارستنا للطب النفسي نلاحظ أهمية الأحلام من خلال ارتباطها بالحياة النفسية للمرضى والأصحاء على حد سواء، ومن خلال ما تعنيه بالنسبة للصحة النفسية حتى لو كانت مجرد أحلام غامضة.

وبالنسبة للطب النفسي فإن الحلم سواء كان من أحلام النوم أو من أحلام اليقظة فإنه يمثل الباب الملكي لقراءة وفهم الكثير مما يدور في العقل الباطني للإنسان.

---

[1] نفس المرجع، ص 40.

وقد تطرقنا في الفصول السابقة لدراسة الأحلام ومحلها من الحياة النفسية للإنسان لنخُص الآن الدراسة عن العلاقة الموجودة بين الأحلام وبعض الأمراض النفسية، ولا بأس أن نذكّر أن العالم سيغمون فرويد قد توجه إلى موضوع الأحلام بصورة جديدة نحاول البحث فيها كما تناول العلم والعلماء البحث في مسائل علمية، حيث اعتبر أول من وجد الرابطة بين أحلام المرضى المصابين بأمراض نفسية وبين حياتهم النفسية، وقد اعتمد على الأحلام لاستقصاء محتويات النفس ومكوناتها من خلال استعمالها كأسلوب علاجي تحليلي بحيث أخذ عن غيره في هذا المجال وأضاف إلى دراسة الصبغة العلمية.

وقد لجأ فرويد في بداية ممارساته إلى عملية التحليل النفسي كوسيلة لاستقصاء التجارب والذكريات المنسية في حياة مرضاه، كما اعتمد على طريقة التنويم المغناطيسي والإيحاء لإحياء التجارب المنسية، واعتمد على أسلوب التداعي الحر أثناء الوعي الطبيعي للمريض، هذه الطرق جعلت فرويد يلاحظ "أثناء إصغائه إلى مرضاه وهم يتابعون مسيرة وتنقل أفكارهم أثناء عملية التداعي الحر، بأنهم كثيرا ما يتجهون إلى الإفضاء بمحتوى بعض أحلامهم وبصورة تلقائية، وبأنهم أثناء هذا الإفضاء يظهرون انفعالا عاطفيا، وبأن ذلك يؤدي بهم إلى حالة من الراحة والانفراج"[1].

وقد ظل فرويد يعتقد أن كل حلم يعتبر تعبيرا من رغبة مكبوتة والتي قد تعود في أصولها إلى مرحلة الطفولة، أو تعتبر ذو طابع جنسي حيث كبتت في مرحلة الطفولة بسبب المحاذير والنواهي، وعلى هذا الأساس الذي اعتمده في تكوين الأحلام اعتبر فرويد أن هذه الطريقة تعتبر لبنة الحياة النفسية وديناميتها في حالة الصحة والمرض، فهو يقول أن "الصراعات والقوى النفسية الكامنة في اللاوعي هي التي تكون العناصر الأساسية والجدور العميقة للاضطرابات النفسية، ووجد في الأحلام الطريق لاستقصاء هذه المحتويات في اللا وعي، والتي تكمن فيها جدور هذه الاضطرابات"[2].

---

[1] علي كمال، باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 555-556.

[2] نفس المرجع، ص 555-556.

بهذه الطريقة اعتبر فرويد الأحلام طريقا معبدا إلى اللاشعور وبواسطتها يكشف عن التجارب الماضية وبالتالي يمكنه عبرها تشخيص الحالات المرضية، وقد اعتمد في ذلك على إعادة صياغة المحتوى الظاهر للحلم ورده إلى أصوله في المحتوى الكامن، حيث يعتبر هذا الأخير هو أساس الحلم وسببه "الذكرى التي تبقى لنا من الحلم تسمى المحتوى الظاهري، وعن طريق التحليل نكشف وراء هذا المحتوى الظاهري عن الأفكار الأولية التي تعرضت لعمل الحلم، والذي يطلق عليها الأفكار الكامنة للحلم ... فالمحتوى الظاهري والأفكار الكامنة للحلم يبدوان لنا كتصويرين مختلفين لنفس المحتوى، كلغتين متباينتين معبرتين عن نفس الفكرة"[1].

فإذا كان المحتوى الظاهر للحلم هو ما يبقى عالقا بذاكرتنا بعد الاستيقاظ من النوم فإن المحتوى الكامن "ذو علاقة مباشرة باللاشعور ،لذلك نجد فيه التجارب، الخبرات والهوامات الطفلية، أي الماضي البعيد"[2].

وقد قام فرويد بالمقارنة بين الأحلام والأعراض المرضية حيث أن الحالتين في نظره تعبران عن رغبة مكبوتة في اللاوعي والتي هي في صراع دائم للتعبير عن وجودها والظهور، أين تظهر إما عن طريق صور وخيالات الأحلام أو على صورة أعراض مرضية، وفي كلتا الحالتين فإن الرغبات المكبوتة في اللاوعي هي التي تزود القوة الحافزة والتي تمكن الأحلام أو الأعراض المرضية من الظهور والشبه بينهما هو أن "الأحلام كالأعراض المرضية تمثلان تعبيرا مستترا ومتغيرا للمحتوى الكامن في اللاوعي، وكل واحد منهما يعبر عن ذلك بطريقته الخاصة"[3]. وهذا التشابه الذي استنتجه فرويد كان عن طريق تحليله لحالات من الهستيريا والتي من خلالها توصل إلى الخصائص المميزة لعملية الحلم والعملية النفسية التي تحدث في الأعراض المرضية النفسية هي نفسها، ما جعله يطلب من مرضاه (المصابين بمرض الهستيريا) بمتابعة عملية الترابط والتداعي للصور والأفكار التي عرضت في أحلامهم.

---

[1] Margaret (J) et all « Abrégé de psychologie pathologique », paris, Masson, 2ème Edition, 1974, p 81.

[2] Garma (A) « le rêve traumatisme et hallucination », paris, P.U.F, 2er Ed, 1981, p 314.

[3] علي كمال :باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 557.

هذه الطريقة التي أتى بها العالم فرويد وغيره ممن سبقوه مهدت للعديد من الدراسات اللاحقة والتجارب العلمية في معرفة الرابط بين الحلم والأمراض النفسية، فقد قامت العالمة النفسانية "جايل دلاني" Gayle Delany من مدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية بتجربة عن الأشخاص المصابين بالقلق ومحتوى أحلامهم بحيث خلصت إلى أن "القلق يظهر في الأحلام في صور رمزية جاءت من اللا شعور ... والرموز تلك هي لغة بصرية نراها في الأحلام... فالأحلام تشبه الشعر، يمكنك فهمه إذا عرفت الكناية والاستعارة في اللغة..." [1].

ومثال على ذلك الحلم التالي الذي يعبر عن القلق حيث تقول صاحبه الحلم: (لقد كان الوقت ليلا مظلما، وشعرت أن رجلا يهددني بسكين من الخلف، وعندما استدرت لمواجهته سقط بعض الضوء عليه واختفى وترك إناء ممتلئ بسائل، فاقتربت لتدوق هذا السائل فإذا به مشروب خمري).

وقبل أن تفسر العالمة النفسية جايل دلاني هذا الحلم الذي أقلق مريضتها وأخافها طلبت منها أن تفسر لها ما يتبادر في ذهنها عن معاني السكين والخمر وما إذا كان هناك موقف يشابه الموقف الذي رأته في الحلم بينما كان قد وقع في اليقظة ... وبعد استرسال وتحليل المعاني من طرف المختصة النفسية ، توصلت إلى أن مريضتها كانت خائفة من الحلم لاعتقادها أن كل الرجال يتحولون إلى سكارى مدمنين على الخمور وبإمكانهم أن يقوموا بأي شيء ... حتى الضرب بالسكين مثل أبوها.

وبهذه الطريقة استطاعت العالمة النفسانية اختصار الطريق في معالجة مريضتها من خلال الحلم بحيث أن القلق والاضطراب الذي كانت تعاني منه ولم تستطيع أن تفيدها عن أسبابه في حالة اليقظة، استطاعت عن طريق تحليل حلمها معرفة مصدره. [*]

وهذا يعني أنه كلما عانت الشخصية من القلق والاضطراب ظهر ذلك حتى في الأحلام، بل أحلام هذه الفئات تعبر عن الاضطراب الذي تعاني منه: ولها القدرة على أن

---

[1] July August « psychology today », p 50.

[*] ينظر المرجع السابق، ص 51 (باختصار).

تخبرنا ما بدواتنا، وهناك أنواع من الأحلام يجب ألا ننظر إليها فقط على أساس أنها انعكاس لحالة المريض النفسية، بل على أنها محاولات لحل الصراعات.

وفي دراسة أخرى قامت بها عالمة النفس (روزا ليند كارترايت Rosqlind cartwight) وهي أستاذة في علم النفس بالولايات م.أ على أحلام المطلقين من النساء والرجال والذين يعانون من الاكتئاب، قامت بدراسة أحلام 150 رجل وامرأة ممن طلقوا حديثا حيث وجدت أن المطلقين المصابين بالاكتئاب أظهروا نفس علامات اضطرابات النوم التي توجد في مرض الاكتئاب، ولاحظت "أن مراحل حركة العين السريعة ظهرت مبكرا من موعدها الطبيعي، كما أنها استمرت فترة طويلة (من 20 إلى 30 دقيقة)، ومحتوى أحلامهم كان مختلف تماما عن أحلام المتزوجين السعداء أو المطلقين الذين يعانوا من الاكتئاب"[1].

وتعلق على ذلك العالمة النفسية بأن هناك أحلاما صحية وأحلاما غير صحية ... فالأحلام الصحية تساعدنا على حل مشاكلنا وعلى التخطيط السليم لمستقبلنا أما الأحلام غير الصحية فهي التي تجعلنا مرتبطين بالماضي ومآسيه.

وعلاج الأشخاص المصابين بالاكتئاب يمكن أن يكون عبر الأحلام كذلك، لأن هؤلاء الأشخاص لديهم نظرة سلبية وتشاؤمية للحياة وإذا استطعنا أن ندخل أفكار إيجابية في عقولهم ينعكس ذلك كذلك على محتوى أحلامهم. وبالتالي نساهم في الشفاء من مرض الاكتئاب.

وفي نفس الاتجاه يذهب العالم (ريفرز) حيث يقول "إن العقدة الحديثة يكون لها أكبر الأثر في تكوين الحلم، وأنها تسبب مرضا نفسيا قد يصطبغ بلون ما سبقه أو يلونه ... فإذا لم تكن المشكلة الحديثة قد بلغت حد العقدة وإنما لها علاقة بالعقدة القديمة فحسب، فهي أيضا تحفز على بناء الحلم وتكون مادته"[2].

---

[1] عبد الحكيم العفيفي، الأحلام والكوابيس، تفسير علمي وديني، مرجع سبق ذكره، ص 49.

[2] عبد المنعم الزيادي ومختار حمزة، الأحلام: مفتاح الشخصية، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1998، ص 53.

فهو يرى أن العقل البشري يطوي الزمن أثناء النوم، مبتدئا من الحاضر ومنتهيا إلى الماضي، ولكن العقل لا يبدي من مشكلات الحاضر إلا أهمها بالنسبة للحالم، أو إذا كان لها ارتباط بمشكلة أو عقدة قديمة، ومن تم فإذا أردنا تفسيرا شاملا للحلم، وجب علينا أن نهتم بالمشكلات الحديثة على اعتبارها رموز وإشارات تشير إلى مشكلات قديمة كما يقول فرويد، وإنما يجب أن نلم بالمشكلات الحديثة أيضا ونعرف مدى تأثر الحالم بها، ومدى ارتباطها بالمشكلات القديمة العهد.

وهو في ذلك يقول "إن ميل فرويد إلى اتخاذ أحداث الطفولة وحدها أساسا عاما، وإهماله العقد الحديثة التكوين يعد نقطة ضعف في نظريته المرض النفسي والأحلام على السواء، فقد أثبتت التجارب أن لبعض العقد الحديثة التكوين أثرا في بناء الحلم والمرض النفسي أكثر مما كان يظن"[1].

فنظرية هذا العالم في الأحلام تقوم أو تتخذ صفة رجعية أي أن العقل يعمل في أثناء الحلم ابتداءا من المشكلات والحوادث والعقد القريبة تم يمضي إلى المشكلات والعقد القديمة، ونحن نلاحظ أن كلا الرأيين (فرويد، ريفزر) يصبان في نفس المصب وهو أن وظيفة الأحلام هي حل العقد والمشكلات التي عجزنا عن حلها في أثناء اليقظة أكانت قديمة أم حديثة العهد.

أما العالم شتيكل فقد كان له الفضل الأكبر في تقديم نوع الرموز التي تظهر في الأحلام والتي تدل على المرض النفسي والجسد في صورة أشخاص والذي أسماه: « personification of parapathy »، وهو يشير إلى خمسة أنواع من الرموز التي تدل على المرض النفسي من خلال تحليله للعديد من الحالات ومحتويات أحلامهم وهي:

"1- مصادر السلطات: الملك، الوزراء، رجال الدين، الأب...الخ.

2- الأقارب: الأخ، الأخت، العم، العمة ...الخ.

3- المتصلون بالعائلة من بعيد: كالخدم، والأصدقاء، والأعداء...

(1) نفس المرجع، ص 54.

4- الوحوش الكاسرة والشياطين، والمجرمون والشحاذون.

5- الأشياء المقفلة أو المقيدة: كالقفص، الغرفة، البيت الضيق، الجبل السميك، السلسلة ...الخ" [1].

وهذه الرموز استقاها من مرضاه المصابين بالعصاب النفسي حيث أن أحلامهم تحتوي على إحدى هذه الرموز التي ذكرها، وأما بقية الأمراض النفسية الأخرى فتميزها رموز معينة، حيث أن كل مجموعة من الرموز تشير إلى نوع معين من الأمراض النفسية، وظهور الرمز في الحلم هو كعرض لتشخيص نوع المرض النفسي.

"فالخجل له رموزه المعينة، والضعف الجنسي، أو البرود الجنسي له رموزه واللعثمة تدل عليها رموز خاصة ... وغيرها من أعراض الأمراض النفسية فمن الرموز التي ترمز للعثمة:

1- أن يقطع المرء شوطا بعيدا في الاتجاه الخاطئ.

2- الانزلاق على جدار أملس.

3- الخوف من الوحوش الكاسرة أو السيارات المسرعة.

4- الخوف من المجانين والمخمورين والثورات وغيرها من الظروف التي يوضع فيها عامل ضبط النفس في الميزان.

5- الإنذار بالحريق.

6- الخوف من رؤيا اللصوص أو الصراخ وطلب النجدة.

7- انهزام البوليس أمام اللصوص، أو الانهزام في المباريات والمصارعات.

8- احتباس الأنفاس.

9- الإنحصار في مكان ضيق ...الخ" [2].

---

(1) نفس المرجع، ص 60.

(2) نفس المرجع، ص 61.

و هكذا الأمر بالنسبة لجميع الأمراض النفسية حيث كل رمز معين في الأحلام يدل على عرض معين من الأمراض النفسية. و معرفة هذا الأخير عبر الأحلام يساعد في التشخيص وبالتالي يسهل عملية العلاج بالنسبة للمختصين والمحللين النفسانيين.

و من الأمثلة على ذلك الحلم التالي لفتاة تبلغ من العمر 19 سنة حيث تقول أنها حلمت أنها تسير رفقة شاب وهو صديق لها، وبينما هي تتحدث معه في مواضيع مختلفة مرا على مجموعة من الفتيات، فانفجرن ضحكا عليها... وفجأة تظلمت الدنيا في وجهها ولما رفعت رأسها لاحظت أن سكان المنطقة ينظرون إليها من وراء ستائر حمراء بالنوافذ، فتركت صديقها وذهبت تجري) فواضع أن الحالة — ن– والتي أجرينا مقابلة معها تعاني من الخجل. فالخجل له ما يرمز إليه في الحلم وذلك كرؤية اللون الأحمر أو الوقوع في موقف مخجل والخوف من النور الساطع ...

فهذه الحالة في بداية حلمها كانت هادئة وعادية ولا تشكو من أي اضطراب ولكن انفجار الفتيات ضحكا عليها، عكر مزاجها، واحمرت وخطر لها أنها أتت شيئا مخجلا، وهو رفقتها للفتى ثم إن هذا التصرف أدى بها إلى الخجل أكثر خاصة عندما بدأ السكان ينظرون إليها من وراء ستائر النوافذ والملفت للنظر أن حتى هذه الستائر لونها أحمر أي أن هؤلاء الناس كذلك خجلون مما فعلته حتى اسودّت الدنيا في عينها ، وهربت تاركة صديقها لوحده، وذلك من خلال قولها فتظلمت الدنيا في عيني ... وذهبت أجري تاركة صديقي لوحده.

وهذا إذا ما دل إنما يدل من الناحية النفسية على أن الحالة تعاني من الخجل الزائد بحيث أن جميع علاقاتها مع الآخرين يحكم عليها بالفشل بسبب اضطرابها، وفي هذا المجال يقول العالم (ملدر براندت): "إن الأحلام تسمح لنا بأن نطل على أعماق وخبايا وجودنا. وهو الوجود المغلق علينا في معظمه أثناء اليقظة، وه تعطينا بصيرة قيمة عن أنفسنا، وتكشف عن ميولنا نصف الخفية ..." [1].

[1] علي كمال: باب الأحلام، ص 570.

كما يقول رالف والدو "...إن الحلم يصبح رؤيا، وهو يجرد الذات (الأنا) من أغطيتها المصطنعة، ويظهرها في عريها الأصلي ... إنه يخرج من الأعماق المظلمة لحياتنا، ويظهر لنا جانبا من أنفسنا يصلنا بعالم الإحساس"[1].

فلا غرابة في أن بعض الرموز الموجودة في الأحلام تدل على بعض أعراض الأمراض النفسية أو كلفة تعبيرية عن محتويات اللا وعي، وهنا نفند طريقة فرويد الذي وجد في لغة الأحلام وسيلة صالحة للكشف عن الأسباب الكامنة للمرض وفي استعمالها كأسلوب في علاج الأمراض النفسية.

4- علاقة الأحلام بالأمراض العقلية:

الصلة بين الحلم والجنون ترقى إلى أزمنة بعيدة، ولا شك أن الأطباء والباحثين إلى جانب أنهم بحثوا في نفسية الحلم ومصادره، وجّهوا اهتمامهم كذلك إلى صلته بالمرض العقلي أو مرضية الحلم.

فقد كتب أفلاطون قائلا: "في كل منّا، حتى الدين يبدون منتظمين تماما، نوع من الرغبة الرهيبة، الهمجية، التي لا ناموس لها، وتكشف مداها الأحلام"[2]. وقال "كانت": "المجنون هو حالم يقظ"[3].

أما شوبنهاور فقال: "الحلم جنون قصير، والجنون حلم طويل"[4]، والحلم لا يحمي الأدميين من الجنون، لأن بإمكان حرمان المرء من أحلامه من دون أن يستحيل مجنونا.

وقد ثبت علميا صلة الأحلام بالأمراض العقلية، فقد أعلن "كراوس" أن: "الجنون حلم يحلمه المرء وهو مستيقظ الحواس[5].

---

[1] نفس المرجع، ص 570.

[2] جورج كرم: النور وتفسير الأحلام على أسس سيكولوجية سليمة، ترجمة مفيد أبو مراد، دار الرائد اللبناني، الطبعة الأولى (ب. س)، ص347.

[3] نفس المرجع، ص 347.

[4] نفس المرجع، ص 347.

[5] سيغمون فرويد: تفسير الأحلام، ترجمة مصطفى زيور ومصطفى صفوان، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة 2004، ص 121.

أما العالم "قونت" فيقول: "والحقيقة هي أننا أنفسنا قد نمر في أحلامنا بما يكاد يعادل جميع المظاهر التي نصادفها في مستشفيات المجانين"[(1)].

لقد أجريت أبحاث عديدة في السنوات الأخيرة حول موضوع العلاقة بين الأحلام والأمراض العقلية بأنواعها، ومبعث الاهتمام في هذه العلاقة هو ما لوحظ من تشابه بين محتوى الأحلام العادية وبين طبيعة ومحتوى الحياة العقلية لبعض المرضى المصابين ببعض الأمراض العقلية كمرض الشيزوفرينيا ومرض الكآبة والتخلف العقلي والصرع إضافة إلى المصابين بالأمراض العقلية العضوية والمدمنين على الكحول.

ويقوم التشابه على أساس أن الحياة العقلية لبعض الأمراض العقلية هي حياة غير واقعية، حيث يصعب فهمها أو المشاركة فيها، مما يعطي الانطباع بأن هؤلاء المرضى يعيشون تجربة حالمة، أو أقرب ما تكون للحلم، ففي مرض الشيزوفرينيا وجد الباحثون شبها كبيرا بين ما يعرض في الأحلام عند الأشخاص العادين وبين الأدوار المرضية والأعراض التي تظهر عند هؤلاء المرضى: "فغرابة طرق المريض في التفكير، وغرابة المحتوى وتسارع التغير الفكري، وبدون رابطة ظاهرية واللاواقعية ... ووفرة مظاهر التجريد والرمزية ... كل هذه تحمل شبها عظيما بأحلام الشخص الطبيعي أثناء النوم... والحالات المرضية الشيزوفرينية"[(2)].

كما أن هناك حالة من مرض الشيزوفرينيا في العيادة الإكلينيكية تسمى بالشيزوفرينيا الحالمة، وهي حالة حادة من هذا المرض العقلي والتي يبدو فيها المريض حسب ملاحظتنا الشخصية لهذه الحالة وكأنه يعيش حلما مطولا، فهو يظهر في حالة ارتباك، وهو غير مدرك لحس الزمان والمكان ويعاني من هلاوس سريعة التغير ويفقد الإحساس في بعض الحالات ويتشوه حدود العالم الخارجي لديه وهو ما نلاحظه كذلك في بعض الأحيان في أحلامنا الغير معقولة بحيث قد يحدث نفس الشيء عند الشخص الحالم موقف من هذه المواقف المرضية.

---

(1) سيغمون فرويد: نفس المرجع، ص 121.

(2) علي كمال: باب الأحلام، ص 559.

أما أحلام هؤلاء المرضى في فترات نومهم فقد لا نستطيع التعرف على محتواها بسبب أن هؤلاء المرضى إما لا يستطيعون التفريق بين محتوى الحلم وبين الواقع وبالتالي لا يستطيع إعطاء بنية صحيحة عن أحلامه، وإما بسبب درجة حدة المرض وتطوره، إضافة إلى أن إفصاح المريض عن محتوى أحلامه يرتبط ويتقيد بمقدرته على التعبير، وهي مقدرة تخضع بالضرورة لحالة المريض العقلية.

أمّا الأشخاص المصابين بالكآبة العقلية أو المرضى المزاجيين فقد تمكنا من ملاحظة مجموعة من العلامات الظاهرة على هؤلاء المرضى وكان ذلك بالمستشفى الجامعي "مصطفى دمرجي تلمسان" بمصلحة الأمراض العقلية و النفسية ، حيث و من خلال مقابلة أجريناها مع دكتور مختص في الأمراض العقلية و آخر في الأمراض النفسية واللذان ساعدانا في إنتقاء بعض الحالات ، ميّزنا مجموعة من الملاحظات يمكن الإشارة إليها فيما يلي :

* إن محتوى الحلم الظاهري يحتوي على القليل من عناصر الكآبة بينما المحتوى الكامن يحتوي على الكثير من هذه العناصر.

* محتوى أحلام الكئيب تدور حول أفراد العائلة والأسرة والمجتمع القريب من الفرد مقارنة بمحتوى أحلام بعض الأمراض الأخرى.

* كما أن أحلام الكئيب أقل عنفا، وأكثر احتواءا لتجارب الفشل والمصائب وأفكار تتعلق بالموت، والنجاة، كما أن المصاب بمرض الكآبة العقلية يعاني من عدة إستفاقات أثناء نومه.

إن هذه الخصائص التي تميز أحلام الكئيب وغيرها تساعد الأطباء في التمييز بين مرض الكآبة وبعض الأمراض العقلية الأخرى. كما يعتمدون الأطباء في بعض الأحيان على محتوى بعض الأحلام في معرفة مدى استجابة المريض الكئيب للعلاج، ذلك أن تحسن حالة المريض تقترن عادة بنقص في المحتوى العدواني لأحلامه.

5- الوظيفة العلاجية للأحلام:

لعبت الأحلام دورا رئيسيا في تطور التحليل النفسي، ولكن في السنوات الأخيرة كان هناك اهتمام متجدد باستخدام الأحلام في سياقات أخرى، وخصوصا في استخدام محتوى الحلم الظاهر في بحوث الشخصية والذي يتضمن أشخاص غير مرضى في مجتمعنا.

إنه يمكن اعتبار الأحلام كإسقاط للشخصية وانعكاس للثقافة، كما يمكن استخدامها لفهم أفضل التفاعلات بين الثقافة والشخصية، وذلك من خلال التنفيس عن المشاعر المكبوتة التي يتم سردها عبر الأحلام والتي تفيدنا في تحديد الشخصية، وهي شبيهة في ذلك بصمام الأمان حيث أنها تعطي للرغبات المكبوتة فرصة التحقق ولو بصورة جزئية في ظل آمان النوم، وبذلك تمنع هذه الرغبات من أن تتجمع وتظهر توتر شديدا في شخصية الإنسان أثناء اليقظة والذي من شأنه أن يؤثر على سلوك الفرد في ظل ثقافة معينة.

إن التجارب والأحداث التي يمر بها الفرد ولاسيما التي تترك آثارا حية في الشعور كالتي يكون مصدرها القلق والخوف الغير المتحكم فيه، وأثر الصدمات غير المنسية والرغبات التي لن تتحقق إطلاقا، والمشاكل والصراعات التي يمر بها الفرد بصفته جزءا من المجتمع يؤثر ويتأثر بما يدور حوله، كل هذه التجارب والأحداث يعالجها الحلم بطريقة خاصة ويخفف بها عن النفس، يقول في ذلك الباحث بوركينج (Purkinge) "... إن النوم يخفي ويخفف الجروح التي يعيشها الفرد في النهار"[1].

إن هذه الأحداث سواء كانت قديمة أو حديثة يقوم الحلم بإعادة إنتاجها وبنائها عن طريق التفريغ الهلوسي حتى لا تبقى لها آثار وتتفاعل في الشعور وهنا تكمن وظيفة الحلم العلاجية بحيث يحافظ الحلم على التوازن النفسي ويجنب الشخصية من صراعات قد تؤدي في نهاية المطاف إلى اضطرابات نفسية، ويؤكد ذلك العالم رالوا، روميرو وآخرون: "أن الحلم ضمان للتوازن النفسي، وهو يحتل الصدارة في الحياة النفسية، ويلعب دورا أساسيا في

[1] Freud(S) : l'interprétation des rêves, 1967, p 79.

الحفاظ على العلاقات مع الواقع الخارجي عن طريق استنزاف الهجوم المزعج للمتبقيات النهارية"[1].

إذن يلعب هنا الحلم دورا هاما عند الفرد بحيث يساهم في تخليص الشخصية من الصدمات المؤلمة والصراعات عن طريق التفريغ وترميم وإصلاح كل ما هو مضطرب داخليا وخارجيا، كما يساهم في التخفيف من العدوانية المتولدة عن الأحداث التي ذكرناها وبالتالي يمكننا اعتباره كعلاج ذاتي فرديا لكل شخص يتمتع بهذه الظاهرة على أن الشخص الذي يحرم من الحلم "يصاب بالحصر، عدم التناسق الحركي، واضطرابات الذاكرة، واضطراب في المفهوم الزمني"[2].

وهو ما جعل الحلم ضرورة لازمة للنفس البشرية للحفاظ على توازنها بواسطة التنفيس عن الضغوطات الداخلية التي تتسبب في أزمات خارجية، وسوف نتطرق في العنصرين اللاحقين من هذا الفصل بنوع من التفصيل إلى هذا الدور الذي تتميز به الأحلام والذي يساعد بعض المختصين النفسيين في استعماله كأدات علاج فعالة في الكشف عن بعض الاضطرابات النفسية، كما استعمله بعض رجال الدين (المتصوفة) كواسطة للبحث عن القوى الخارقة.

6- إستعمال الأحلام كتقنية علاجية نفسية:

يعد تفسير الأحلام واحدا من القواعد الأساسية في المعالجة النفسية فقد قام بها فرويد، و أدلر، ويونغ، وكل الدين أخدوا باتجاههم، وغيرهم من المتأثرين بإنجازات مدرسة التحليل النفسي.

ويجتمع هؤلاء عند القول بأن فهم الحلم يعني الوصول إلى جزء مهم من محتويات اللا شعور عند الفرد المضطرب نفسيا، مما يكون العامل والمحرك في اضطرابه، سواء كانت

[1] Rallo Romero, (J), (M.T) « les rêves comme unité et continuité de la vie psychique », in rev. Française de psychanalyse, 1974, p 877.

[2] نفس المرجع، ص 876.

هذه المحتويات رغبات أو دوافع مكبوتة أم كانت مركبات متصلة بمشاعر الإثم، أو بخبرة مؤلمة حدثت قديما أيام الطفولة ، أو في إحدى مراحل نموه السابقة.

"إن من الإجراءات العلاجية للكشف عن المشاعر أو الصراعات تفسير الأحلام، وقد أشير قديما إلى الأحلام بأنها الطريق الملكي إلى اللا شعور لأنها تتضمن تجسيدا وتجسيما لرغباته المكبوتة، وتمثل صراعاته الداخلية وتعبر عن ذلك إما بطريقة مباشرة أو بطريقة رمزية ... وهذا المنهج قائم على أساس أن للحلم محتويين:

1- المحتوى الظاهري: وهو عبارة عن سرد الحلم وأحداثه كما ظهر للحالم.

2- المحتوى الخفي: وهو عبارة عن المعنى الرمزي للمحتوى الظاهر...، حيث يمكن تطبيق فكرة المحتوى الظاهر والخفي على التداعي الظاهر للمريض، وعن طريقه يمكن معرفة المعنى الرمزي الخفي" (1).

إن قوة الحلم مألوفة بطبيعة الحال لدى كل مختص محترف في العلاج النفسي، وكل ما ظهر في العقود الماضية بدون استثناء أو ما يقرب من ذلك ساعد على بعث حياة جديدة في أجواء العيادات النفسية، بحيث أن الكثير من الحالات النفسية المرضية تستدعي العلاج عن طريق الأحلام، خاصة بالنسبة للأشخاص الدين يواجهون صعوبة في البوح بالأسرار والتعبير عن ما يلج في أغوار نفوسهم.

وهنا يتحول الحلم عند المحلل النفسي إلى تقنية ذات قيمة كبرى بحيث تضع المريض أمام أحاسيسه وجها لوجه، وبصورة مباشرة بحيث تترك الفرصة للمريض بسرد أحلامه لاسيما المهمة بالنسبة إليه، وهنا تتاح للمحلل فرصة الدخول إلى حياته الخاصة.

إن المعالج النفسي يهتم بالأحلام أيًّا كان مصدرها ومحتواها، ويعتبر أن تحليلها ودراستها نافذة على دخيلة نفس المريض واهتماماته وارتباطاته وتعلقاته، وهذا يساعده بدرجة كبيرة في النواحي التشخيصية والعلاجية.

---

(1) عبد الرحمن العيسوي: محمد أحمد النابلسي، العلاج الطبي والنفسي للاضطرابات العقلية والنفسية والسلوكية، الشركة العالمية للكتاب: لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1998، ص 62-63.

"إن اعتبار الحلم صورة تحكي واقعا بشكل مجسم والنظر إليه على هذا النحو يجعلنا نعي حقائق ما لدينا من مشكلات داخلية، وفي حالة الربط بين حلم معين وبين صور عقلية تحدث للمرء في الحياة، فإننا نتمكن بذلك في الغالب من اكتشاف كيف أن حياتنا لا تزال بعد تهيمن عليها (تراكيب) كائنة في التكوين النفسي للفرد"[1].

إن هذا التكوين النفسي للفرد والذي أظهر اضطرابا عند الشخص قد يكون مستمد منذ الطفولة المبكرة بحيث أن الطبيعة المحيطة به لم تكن ملائمة لشخصيته (أي شخصية هذا الطفل)، كطريقة تربية الآباء، والظروف الصعبة والمتدبدبة، والمحيط الاجتماعي والأزمات ... كل هذه العوامل تظهر الصور الغير ملائمة لشخصية هذا الطفل إبان الرشد. ويظهر الحلم هنا ليرينا جانبا من جوانب الشخصية الذي كنا قد أهملناه أو يظهر لنا حقائق دوافع كان قد كبتها وطردها الفرد من حيز الشعور ، نظرا إلى أن الأصوات الداخلية لديه نبهته بأن الدوافع تلك كانت مخجلة وتتسم بالخطورة.

ولكي نتبين الجذور الكامنة وراء تلك المشكلات وأخرى عند بعض المرضى النفسيين فإنه لابد من البحث عن ما يكمن وراء الصور المباشرة للحلم، ولا يكون ذلك عن طريق افتراض وجود محتوى ظاهر ومحتوى كامن للحلم فقط كما ذكر فرويد، وإنما أن نتيح الفرصة والمجال للصور العقلية للحلم لتتحدث عن نفسها وتعبر عن مكوناتها بكل تلقائية.

والمعالج النفسي الذي يعتمد على الأحلام كتقنية علاجية يعتبر أن جميع صور الأحلام إنما هي جزء لا يتجرأ من دواة مرضاهم كونها تؤلف تهديدا للصورة الشعورية التي نحملها عن دواتنا في دنيا الواقع.

ولكن هذه الطريقة تصلح مع بعض المرضى الذين يتسمون بالكتمان الشديد والحذر، وهذا يشكل صعوبة في التواصل مع المريض ومعرفة ما بداخله، لذلك يطلب المعالج النفسي دائما في هذه الحالات وأخرى من المريض أن يقوم بحكاية آخر حلم رآه، أو أهم

---

(1) موسوعة علم النفس والتربية، تفسير الأحلام، غسيل المخ، الجزء السابع، ص 154.

حلم لديه ترك أثرا عميقا، ويكون بهذا مدخلا إلى حياته الخاصة دون أن يعلم هذا الأخير عن الهدف.

ثم إن الشخص يحكي الحلم ولا يخاف أن يؤاخذ عليه، فهو حلم وليس حقيقة، وهو في نفس الوقت يسقط في روايته للحلم أشياء كثيرة لا يمكن أن يصرح بها في حديثه العادي.

كما أنه في كثير من الأحيان يُعتمد في جلسات العلاج الجماعي على الأحلام كوسيلة لاستقراء واستنطاق الأفراد داخل الجامعة، فعندما يصل الحديث داخل الجماعة التي تمر بالعلاج الجماعي إلى نقطة مسدودة، يقوم المعالج بسؤال أحدهم أن يروي له آخر حلم رآه، ثم بعد ذلك يطلب من الأعضاء المشاركين في العلاج بتفسير الحلم ، وهنا يقوم كل فرد بإسقاط ما بداخله والاستعانة به لتفسير الحلم، وبالتالي استنطاق ما هو مسكوت عليه وتعبير عن الآخر من خلال الأنا، أما الشخص صاحب الحلم فإنه بعد الاستماع إلى التفسيرات التي أسقطت على حلمه فإنه ينتقد ويجتهد لتحليل حلمه وبالتالي يقوم باستخراج كل ما بداخله ويسقطه على الحلم، وهي الطريقة المثلى في الكشف عن بعض الخبايا التي يرفض صاحبها الإدلال بها إلى المحلل، وسواءا كان هذا الحلم حقيقة أم سيناريوهات يقوم بها المريض فإنها تعكس صراعاته الداخلية، ومواقفه اتجاه الكثير من القضايا.

تم إن لنوع من الأحلام وهي الأحلام التكرارية والتي سبق ذكرها في الفصل الأول وتم توضيح ما لهذه الأخيرة من دور في إظهار بعض جوانب الخلل والقصور في حياتنا اليومية، لها أهمية كبيرة خاصة في علاج بعض الأشخاص الدين يعانون من حالة مرضية نفسية، فتكرار الأحلام عند هؤلاء هو أشبه ما يكون بتكرار الأفكار التسلطية أثناء اليقظة في بعض الأمراض، وينوه هذا التكرار لحلم ما عن أن هناك إلحاحا نفسيا داخليا لاستعادة تجربة معينة مع ما كبت معها في عواطف متصلة بها.

"وتكرار الحلم معناه أن المحاولة للتذكر مازالت قائمة، أما إذا استطاع الفرد استعادة التجربة المكبوتة وأن يعيشها ثانية في حقيقتها، فإن لهذه الاستعادة أن تحرر العاطفة المتحدة معها، وأن يؤدي ذلك إلى الشفاء وانتهاء تكرار الحلم"[1].

لقد وجد الكثير من الأخصائيين النفسانيين في الأحلام ما يساعد على تشخيص صراعات نفسية والتي تكمن وراء ظهور حالات مرضية، بينما وجد آخرون فائدة التنبؤ المبكر بواسطة الأحلام لمصير الحالة المرضية، لاسيما من خلال التحليل النفسي للحالة المرضية، فقد اعتبرت عند أهل التخصص وسيلة للتشخيص والعلاج والتنبؤ لمسيرة بعض الأمراض.

إضافة إلى أنها في بعض الأحيان تؤدي إلى الوقاية من الوصول إلى بعض الحالات المرضية عن طريق الإرضاء الجزئي للرغبات المكبوتة والتي لا تقاوم لو ظلت بدون إرضاء، وعبر هذا الإرضاء الذي يتم عبر الأحلام فإنه من شأنه التخفيف من الضغوطات والتوترات النفسية في الحياة العادية للفرد وأن يساهم في الإبقاء على حياته النفسية في حالة متوازنة وسليمة وطبيعية.

إن هذه الطريقة أي اعتماد الأحلام كوسيلة للكشف عن الصراعات والرغبات الخفية والتي لا يعرف الفرد الحالم بوجودها في وعيه واستعمالها كأداة علاج للتصدي لبعض الصراعات والرغبات ، وإن تبدو حديثة إلا أنها كانت تستعمل في مجتمعات قديمة، فقد قام الباحث الأنثروبولوجي "ولاسا Wallace" ببحث في هذا الموضوع في مجتمع "إروكواز Iroquois" والذي توصل إلى: "إن مجتمع الأروكوازي قد تحول إلى درجة عالية من التطور في الفهم النفسي، وإلى حد إدراكهم لوجود أجزاء غير واعية من العقل كما أنهم أدركوا ما للرغبات اللا واعية من قوة عظيمة، وعرفوا بأن إفشال هذه الرغبات له أن يؤدي بالتالي إلى حدوث الأمراض العقلية والنفسية والجسمية، وقد أدركوا أيضا بأن هذه الرغبات قد عبر عنها بصيغ رمزية في الأحلام، وبأن الفرد نفسه لا يستطيع دائما تفسير هذه الأحلام، كما

[1] د. علي كمال: باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 573.

أنهم لاحظوا الفارق بين المحتوى الكامن والمحتوى الظاهر للحلم، واستعملوا أسلوبا أشبه ما يكون بأسلوب التداعي الحر للكشف عن المحتوى الكامن للأحلام"[1].

ويتضح من هذه المعتقدات والتي كان يتم تمثيلها طقوسيا في هذا المجتمع بأن بعض المجتمعات القديمة أو البدائية قد توصلت إلى فهم بعض القواعد الأساسية لعلم النفس الحديث التي استند عليها في التشخيص والعلاج، فالمجتمع الأروكوازي، قد استخلص من محتوى الأحلام الطقوس الواجب اتباعها في عملية العلاج لكل حالم ، فهو يرى في بعض محتويات الحلم ما يرمز إلى الأعراض المرضية، والطقوس العلاجية التي تختار لكل حالة الهدف منها هو حل تلك الصراعات اللا واعية والتي عبرت عنها رموز الحلم.

كما أشار الباحث Wallace إلى أن هذا المجتمع يستعين بالأحلام كوسيلة لتشخيص بعض الأمراض الجسيمة عن طريق رموز الحلم ويسعى إلى العلاج. وبالتالي يمكن أن نقول أن هذه المعتقدات التي ظهرت في المجتمعات البدائية يمكنها أن تناظر أحدث النظريات وبصورة قد تكون قريبة من التساوي بينهما، فقد توصلت بعض البحوث الحديثة إلى إبراز الدور الذي تلعبه الأحلام في علاج بعض الأمراض النفس جسدية ولولا ضيق المجال لاستعرضنا بعض الحالات التي تم علاجها عن طريق الأحلام ، ولكن نجد من المفيد تقديم نتائج هذا البحث الذي قام به البروفيسور "بيار مارتي[*]، Pierre Marty" حيث يقول: "وفي هذا البحث أكدنا على ضرورة استخدام تقنيات الحلم والمحتوى الحلمي في مختلف فروع الطب النفسي الجسدي، كما دعونا في حينه إلى تشجيع حدوث الأحلام لدى هؤلاء المرضى مع مساعدتهم على تذكرها وروايتها..."[2].

---

[1] المرجع السابق، ص 576.

[*] بيار مارتي: البروفيسور بيار مارتي هو مدير معهد العلوم النفس جسدية بباريس، بحيث أنه من النادر أن نطالع بحثا اليوم في الطب النفس جسدي دون أن نجد فيه ذكرا له، تشكل أبحاثه نقطة انطلاق في فرع العلوم الطبية والنفسية الجسدية بحيث قام بدراسة علاقة الجسد بالنفس ودور الثقافة والمجتمع والتربية في تكوين شخصية الفرد . مأخوذ من كتابه حول الحلم والمرض النفسي والنفس الجسدي.

[2] بروفيسور بيار مارتي "الحلم والمرض النفسي والنفسدي، دراسة تحليلية للأحلام، ترجمة وتقديم محمد أحمد النابلسي، مركز الدراسات النفسية، والنفسية الجسدية، الطبعة الأولى، سنة 1987، ص 89.

إن هذا العالم أثناء علاجه للمرضى المصابين بالأمراض النفس جسدية لاحظ زيادة أحلامهم وزيادة في المقدرة على التذكر وروايتها ، وفي حالة انقطاع العلاج النفسي عند هؤلاء المرضى فجأة يتم انقطاعهم عن الأحلام أو ربما العجز عن تذكر أحلامهم وروايتها، وحسب بيار مارتي فإنه بالعودة إلى العلاج النفسي لهؤلاء المرضى تعود الأحلام للظهور، وهو دليل وانعكاس للتحسن الوظيفي لما قبل الوعي، وهذا التحسن يتضح شيئا فشيئا من خلال المحتوى الحلمي الذي يزيد غنا تدريجيا مع تقدم العلاج، وفي كثير من الأحيان تحتوي هذه الثروة الحلمية على بعض التعابير الجنسية الشاذة والعدوانية والتي تعيين العلاج على تبين الصراع الأساسي(*).

كما وضح هذا العالم في نهاية بحثه على أن الأحلام لن تخترع وتدرس لتكون وقفا على المحللين أو على الأطباء النفس جسدين أو على غيرهم من الأخصائيين، فالأحلام هي بمثابة معالم، وأحيانا نواقيس خطر تنبئنا عن الحالة النفسية الجسدية للحالم.

"بناء على هذا العرض الموجز، لتجربتنا في الميدان النفسي، نستطيع أن نؤكد بأن الأحلام بشكلها أولا ومن ثم بمضمونها تكون عناصر ضرورية للتشخيص النفسي، وأهمية الأحلام لا تنتهي قط مع تحديدنا للتشخيص، بل أن هذه الأهمية تمتد طيلة فترة العلاج حيث تكون مادة الحلم معلما رئيسيا يوجهنا انتظام من أجل خدمة سير العلاج"[1].

إذن إن نظرية فرويد في مجال العلاج النفسي بواسطة تحلل الأحلام لم تكن النظرية الأولى في استعمال الأحلام كواسطة للبحث عن الصراعات الداخلية، فكما لاحظنا هناك أبحاث أنثروبولوجية عديدة (لم يسعنا المجال لذكرها) تناولت هذا الموضوع وكيف كانت الأقوام البدائية تعتمد عليها كأداة وطريقة في العلاج النفسي والجسدي والعقلي ولأجل ذلك أنشئ معابد خاصة بذلك.

(*) باختصار شديد لأهم النتائج التي توصل إليها هذا العالم، من نفس المرجع.

(1) المرجع السابق الذكر، ص 93.

وفي العصور الحديثة تطورت هذه النظرة خاصة بمجيئ فرويد ولكنها كانت نظرة ضيقة للأحلام كأداة فعالة لعلاج بعض الأمراض النفسية ففي نظر فرويد هذه الأداة تخدم غرضين اثنين:

الأول هو إحداث حالة من التنفيس العاطفي، مما له أن يقلل عنف وزخم المعاناة النفسية المتجمعة بسبب الصراعات والرغبات المكبوتة، أما الوظيفة الثانية، وهي الأكثر أهمية بالنسبة إلى فرويد، وتهدف إلى التوصل إلى فهم الصراعات المكبوتة في اللا شعور، من أجل إعادة حياته النفسية وعلى أسس سليمة، ولكن مع تطور الأبحاث في هذا المجال فقد اتسع باب استعمالها ومجال الاعتماد عليها إلى الوظائف العلاجية التالية:

" * الأحلام تجعلنا واعين لأسباب الصراعات، ذلك أنها تحيي التجارب الأصلية التي أدت إلى قيام الاضطراب النفسي.

* الأحلام تطلق العواطف المكبوتة، وهي بذلك لا تقلل من الضغوطات النفسية المتجمعة وتفرج عنها فقط، وإنما أيضا تساعد على ذأب التصدع والانقسام في شخصية المريض وحياته النفسية، ولها أن تؤدي بسبب هذا التحرير للعاطفة، إلى عملية شفاء تلقائي.

* الأحلام تظهر تلك الجوانب التي نحاول طمسها وإقصاءها عن وعينا وهي بذلك تجعل الواحد أكثر أصالة، إذ أنها ترفع القناع أو الأقنعة التي دأب على الاختفاء وراءها، والتي موهت عليه وعلى الناس حقيقة نفسه.

* وأخيرا فإن الأحلام تساعد الفرد على إدراك مشاكله اليومية وكيفية حلها والتكيف معها"[1].

إذن وبصفة عامة يعتبر الحلم ضروري للنفس، إذ تتفادى بفضله فقدان التوازن من حيث أنه يسمح لها بالتنفيس عن الضغوطات الداخلية وله القدرة على العلاج والتخفيف، فقد اعتبر علاج ذاتي فعال ووسيلة للتحقيق الرغبات، كما يمكن بواسطته التحكم في التجارب المؤلمة.

[1] الدكتور علي كمال: باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 572-573.

وكل هذا يتطلب في مجال التحليل النفسي إلى المعرفة العميقة بأصول التحليل والخبرة الكبيرة في هذا المجال.

فالمحلل النفسي هنا هو بمثابة المفتش العقلي الذي يقتضي أثر الخطى للكشف عن خبايا هذا الحلم وما هو غير ظاهر، فالأمر لا يتعلق إذن بأول تفسير يظهر للحلم، يمر على العقل، وإنما يقتضي أمورا أهم مسكوت عنها في الحلم التي توصلنا إلى أعماق نفسية الفرد والتي تساعد على الكشف عن مختلف الصراعات الدفينة، كما أن التحليل الجاد يأتي من خلال عدة أحلام مختلفة حتى وإن كانت تتميز بالفوضى، فالفوضى التي تظهر في الحلم ما هي إلا مظهر خارجي، وفي غالب الأحيان ما تكتسي معنى معين يعبر عن رغبة مكبوتة.

وفي حالة تحليل الأحلام من طرف المعالج النفسي وقراءتها، لابد أن تتوفر جملة شروط وعوامل – حسب الخبرة الشخصية و بحثنا في هذا المجال – وهي:

* الدراسة الوافية لتاريخ حياة المريض.

* الدراسة الوافية للظروف العائلية للمريض.

* دراسة العائلة التي يعيش فيها المريض والبيئة المحيطة به.

* معرفة الرموز السائدة في البيئة وذلالتها.

* القدرة على الاستماع الجيد والفهم العميق، وربط جزئيات الحلم ببعضها البعض، ثم ربطها بظروف حياة المريض للخروج بصورة كلية ذات معنى.

* القدرة على ربط ما هو ظاهر في الحلم بما هو باطني، دون إلغاء واستبعاد التفاصيل الصغيرة للحلم.

* توصيل رؤية معاني الحلم للمريض لتزيده قدرة على الاستبصار لعالمه الداخلي ورغباته العميقة والصراعات، و في ذلك محاولة للاستفادة من كل ذلك في عملية التغيير الذي يتم أثناء رحلة العلاج النفسي.

* مشاركة المريض في تفسير حلمه والتعليق عليه بهدف الاستفادة من الإسقاطات الداخلية التي تعرفنا أكثر على حياة الشخص نفسه.

وبهدف إعطاء الفرد فرصة جيدة لقراءة عالمه الداخلي وربطه بعالمه الخارجي فتكمل رؤيته وتتسع مستويات إدراكه.

وفي آخر هذا العنصر نريد أن نذكر قصة ممتعة ذكرها "يونغ" يوم كان هو و "فرويد" يحلل كل واحد منهما أحلام الآخر، وفيها أن فرويد قد روى أحد أحلامه إلى يونغ وطلب منه تفسيرا له، وقد رد يونغ بالقول أنه لا يستطيع تأويله من غير مزيد من المعلومات عن حياة فرويد فرفض فرويد على أساس أنه ما أراد أن يخاطر بهيبته، فكتب يونغ يقول: (إنه في تلك اللحظة قد خسرناها كلها)[*] .

والمغزى من هذه القصة كلها هو أن على كل المعالجين أو المحللين النفسيين الذكر أن المريض أثناء حلبات العلاج النفسي يكون في الغالب يتحدث عن حياته ومشاكله وكل صراعاته ويسقطها على الحلم، ومحاولة معرفة أسرار المريض الداخلية وما لهذا الحلم من علاقة بالمحيط الخارجي من طرف المعالج قد تؤدي إلى إفشال جلسات العلاج بسبب تكتم المريض عن حياته الشخصية وبعض العلاقات الخارجية.

[*] ينظر: موسوعة علم النفس والتربية، تفسير الأحلام، الجزء السابع، ص 155-156.

7- استعمال الأحلام كواسطة للبحث عن القوى الخارقة:

في هذا العنصر سوف نتطرق إلى حقيقة الرؤيا في التجربة الصوفية وإلى استعمالها كتقنية للبحث عن المعرفة والتواصل والاستمرارية بحيث ومن خلالها يتم إدراك ما يقع في الغيب واستكشاف عالم الخوارق.

فالأحلام ومنذ أقدم العصور احتلت مكانة هامة ومرموقة في اهتمامات الإنسان، وقل أن كانت محاولات تفسيرها تبتعد عن المعتقدات الدنية، وقد تعددت آراء المهتمين بها كما سبق وأن رأينا من عوام ورجال دين وفلاسفة ومتصوفة ... إلا أن هذه الفئة الأخيرة أفرطوا في نظرتهم للحلم بل أعطوه طابعا وأساسا دينيا، حتى أننا نجد هذه الفئة من الناس تعط قداسة للحلم الصوفي وجعلوها في بعض الأحيان خدمة للقيم الصوفية، بل خدمة لمحاولة التقرب (الصوفي أو الولي) من النبي صلى الله عليه وسلم أو الله تعالى.

إن الحلم أو الرؤيا عند المتصوفة: "هي نوع من أنواع الكرامات وتحقق الرؤيا خواطر ترد على القلب وأحوال تتصور في الوهم إذ لم يستغرق النوم جميع الاستشعار، فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان على رؤية في الحقيقة، وإنما كان ذلك تصورا وأوهاما تقررت في قلوبهم وحين زال عنهم الإحساس الظاهر، تجردت تلك الأوهام عن المعلومات بالحس والضرورة، فقويت تلك الأحوال التي تصورها.

إن المستيقظ يتذكر ما كان متصورا له في حال نومه، ثم إن تلك الأحاديث والخواطر التي كانت ترد على قلبه في حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان ومرة من هواجس النفس بخواطر الملك، ومرة تكون تعريفا من الله عز وجل بخلق تلك الأحوال في قلبه"[1].

من خلال هذا التعريف فإن الرؤيا عند المتصوفة هي نوع من أنواع الكرامات وهي عندهم ثلاث:

* رؤيا من الله، وهي الرؤيا الصريحة التي لا تحتاج إلى تأويل.
* رؤيا من الملك، وهي رؤيا صادقة تحتاج إلى التعبير.

---

[1] د. رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى، سنة 1999، ص 375.

* رؤيا من الشيطان، وهي أضغاث أحلام.

وقد اعتبر الصوفية الرؤيا التي هي من عند الله والملك بمثابة قوة للقلب وبصيرة ترى بها حقائق الأشياء وبواطنها وظواهرها، "الرؤيا وجه آخر للكرامة... يتمم الصوفي في نومه ما يفعله في اليقظة.

أي أنه يبقى فوق المألوف، مقدسا، فبرؤياه يحل كل مشكلة ويعطي الرد على كل غامض وسؤال، ويغطي كل عجز، حتى بعد وفاته"[1].

"وفي ضوء الرؤيا ومصطلحي الخاطر والبصيرة، عدت الأحلام التنبؤية تعبيرا عن الفعاليات الروحية الفائقة"[2].

فالرؤيا هنا هي: تطابق مع الواقع بل استمرارية له ومن خلالها يتم إدراك ما يقع في الغيب واستكشافه، وقد استعمل المتصوفة مصطلح المشاهدة كذلك، وميزوا بينه وبين الرؤيا: "الرؤيا تكون في المظاهر الكونية الحسية والخيالية، والفرق بين الرؤيا والمشاهدة هو أن المشاهدة لابد أن يقدمها علم بالمشهود بخلاف الرؤية فلا يشترط أن يتقدمها علم بالمرئي، فكل مشاهدة رؤية ولا ينعكس"[3].

وهنا طبيعة الرؤيا عند الصوفي تختلف عن العامية أو البقية، فهم يعتبرونها نتيجة صفاء روحي وتعمق تأملي في حقائق الأشياء، والمشاهدة تكون نتيجة المجاهدة والترقي بين الأحوال والمقامات، وأما الرؤيا فلا يشترط فيها التقدم، وقد يشترك في الرؤيا الصوفي وغير الصوفي بل وعلى أكثر من ذلك يقدس الصوفي أحلامه أو رؤياه.

فلا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أهمية كبيرة للأحلام واعتبرها من الله بل جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة، كما ذكر ذلك سابقا في أحاديث النبي عليه

---

[1] د. علي زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللا واعي في الذات العربية، دار الأندلس للطباعة والنشر: بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1948، ص 253.

[2] د. عبد الستار عز الدين الراوي: التصوف والبارا سيكولوجي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1994، ص 64.

[3] د. سميح دغيم: موسوعة مصطلحات الفكر العربي الإسلامي المعاصر، الجزء الأول، مكتبة لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى، سنة 2002، ص556.

الصلاة والسلام، ولكن الصوفي اعتمدها كنافدة على الروحي أو جسر بينه وبين الغيبي، بل أعطى كبار الصوفية لأحلامهم قيمة كبرى لرفع الذات والتقرب من النبي والله.

وهكذا فإن الصوفي قد يداور بواسطة الرؤيا النبوي، ومنهم من وضع نفسه مقام الأنبياء (البسطامي والسهروردي ...).

"يرى الصوفي الملائكة وأرواح الأنبياء فيخاطب هؤلاء ويشاهدهم ويقتبس منهم فوائد ويسمع أصواتهم وهو في حال من اليقظة..." [1].

إن هذه الخصوصية التي يتميز بها الصوفي والمكانة التي يوليها لرؤياه تجعلنا نتعرف ومن خلال الحلم على لا وعي الصوفي وعلى واقعه، كما أن طريقة تفكيره هذه تكشف لنا عن شخصيته وعلى تدرجه في التطور الروحي، وتصور لنا القيم الصوفية بألوان متميزة خاصة الأنا الفردية التي تدعي بلوغ عالم الملكوت.

فالمنامات والرؤى عند المتصوفة تعتبر أكثر المصادر اعتمادا في التلقي، بحيث يتلقون فيها عن الله عز وجل ورسوله الكريم أو أحد شيوخهم بعض أحكام الشرع أو التنبؤ بمصير أمر ما ... وهي من المبشرات لحصول المعرفة ولاكتساب أكبر عدد ممكن من الإتباع، مما يتيح للمتلقي فرصة استثمار معرفته وقناعته لتأويلها وبالتالي طريقة لتفعيل التواصل، والعقد المسبق على تقديس الرؤيا بأنها من الله هو طريق المتصوفة للتجاوب الذي يكون من طرف المتلقين عامة، وتأويلها والتصديق بها وفق الآليات المشتركة التي تمنحها الثقافة المشتركة.

وكثيرا ما يعتمد المتصوفة في تأويل الخوارق على الرؤى، ففي الرؤيا بإمكان الإنسان أن يطير ويحلق في الهواء، ويمشي على الماء ويعرف لحظة الفناء ويحرك الأشياء ... وبعض الذين يدعون امتلاك هذه القدرة الفائقة والقوى الخارقة وهي موجودة في شواهد ثابتة عن هذه الظواهر في تاريخ الصوفية، يفسرون هذه الفعالية الخارقة بالمقام الروحي الرفيع الذي بلغه الصوفي. وكأن الصوفي بهذه الرؤى يكشف للملأ عن الأحوال والمقامات الصوفية التي بلغها في طريقه إلى التفرد والتحقق يبرز خصائص تلك الذات المشرقة ...

---

[1] د. علي زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، مرجع سبق ذكره، ص 256.

نستنتج أن الشخصية الصوفية تعتمد على الرؤيا لتحقيق وظائف مرتبطة بالعالم المعيشي للصوفي وبواقعه ومرتبته.

إن الرؤيا صارت جزءا من شخصية الصوفي، بل الجزء المظلم منها والجانب اللا واعي الذي لا يدركه إلا المتصوف في حد ذاته، وهي تلعب دور العامل المثبت للقيم المطلوبة والمؤكد للذات الصوفية بحيث ومن خلالها يتم الترقي بهذه النفس وبلوغها أسمى الدرجات لاسيما عندما تلتقي بالأنبياء وتتلقى من الله التشريع، وكأن الذات الصوفية تتأكد قيمتها وتكشف عن درجة إيمانها والمرتبة التي بلغتها عن طريق الرؤيا.

ولو أوردنا تحليل هذه الظاهرة من الجانب النفسي لوجدنا أن هذه الظاهرة يستعملها الصوفي لمجابهة الواقع ، وهي جزء من مشاعره اللا واعية التي أظهرها إلى الوعي وتكيف معها ويريد للآخر التكيف معها والتصديق بها. إنها تفريغ لطاقة مشدودة تكمن أهميتها في المحافظة على الصحة النفسية الانفعالية للصوفي وعامل تعويض توصل صاحبها إلى بلوغ تحقيق وتشبيع رغباته لا في العالم الواقعي وإنما كذلك في إقامة صلة مع كائنات العالم الفوقي لتثبيت الاقدام ونيل المثل الأعلى.

إن الصوفي يستعمل الرؤيا لتأكيد الذات وبلوغ القمة بحيث بواسطتها يرتفع ويحقق معراجا ويقترب كثيرا من الله ومن الحق والمطلق، وهي الدرجة الأعلى التي يصلها الصوفي ليؤكد بها صدق الأحوال والمقامات التي اجتازها حتى التقى بالأنبياء والله ليعود إلى الواقع ويخبر بها من حوله.

"... في المرحلة الأعلى، عند قمة المعراج الصوفي، يرى الجنيد في منامه الله، وقد يرى الحق، وهذه ميزة عظيمة كما يقول القشيري لا يبلغها إلا من كان ذا مكانة مرموقة ... ومن جهة الوظيفة، ذلك الحلم أداة تعميق لقيم معروفة، وإشارة تؤكد أن الذات تبلغ القمة وتتصل بالله وتحاوره، إنه علم يشبع رغبة الصوفي في أن يحاور الله ، وفي أن يرتفع ويحقق معراجا ويقترب كثيرا من الحق والمطلق"[1].

---

[1] د. علي زيعور: الكرامة الصوفية و الأسطورة والحلم، مرجع سبق ذكره، ص 252.

ومن حيث التحليل فإن الرؤيا تؤدي وظائف نفسية كثيرة في التجربة الصوفية المعاشة، إنها تفصح عن أوليات لا واعية ، تحمي الذات وتكشف لنا عن مشكلات الشخصية وطبقاتها التحتية، وهمومها المستقبلية وإسقاطاتها، كما أنها تطل على مخزن التجارب الداخلية للنفس، وتفرج عن المكبوتات ، وبالتالي فهي تؤدي وظائف تصريفية للشحنات المدفونة والضاغطة والمؤثرة وتعبيد التوازن إلى الوجود الفردي، والاستقرار إلى الشبكة العلائقية للأنا مع الآخر، وهنا تكمن وظيفتها الاجتماعية بحيث تحل مشكلات اجتماعية، وتحقق أماني البطولة، والتغلب على المشاعر الدونية ومن هنا تطل على الواقع وتؤكد لذاتها الاستمرارية.



الفصل الرابع:
التفسير الشعبي للأحلام
(دراسة ميدانية)

الفصل الرابع: التفسير الشعبي للأحلام
- دراسة ميدانية -

" طبيعة الأحلام في مجتمع البحث"

تمهيد

1 – التعريف بمجتمع البحث و خصوصياته.

2– طبيعة الأحلام في الوسط الشعبي.

3 – أنواع الأحلام في الوسط الشعبي.

4 – الشروط التي بتطلبها التفكير الشعبي في الحلم حتى يكون قابلا للتفسير.

5 – شروط و طرق تفسير الأحلام في المعتقد الشعبي.

تمهيد:

تعتبر الأحلام من أهم المعتقدات المنتشرة بين أفراد المجتمع، وهي تفرض نفسها بقوة، حيث أنها مرتبطة بخاصية بيولوجية هامة للإنسان وهي النوم، كما أنها تستمد قوتها وسلطتها من خلال تكرارها اليومي بالنسبة لكل الأشخاص على اختلاف ظروفهم العمرية والجنسية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية ...الخ، فهي سمة مميزة لكل البشر، إلا أنه هناك اختلافات ثقافية كبيرة تجاه المعتقدات التي تدور حول الأحلام، والوظائف التي تؤديها سواءا على المستوى الفردي أو الجماعي.

ومجتمع البحث بصفته مجتمع عربي مسلم يتميز بخصوصيات ثقافية لا تخرج عن المجتمعات العربية الأخرى، وعلى الرغم من وجود عموميات ثقافية تجمع كل أفراد هذا المجتمع، إلا أنه هناك اختلافات بين أعضائه سواء من الناحية العمرية أو الجنسية أو المهنية أو التعليمية أو الطبقية أو الصحية أو الدينية ...، وكل ذلك انعكس على معتقداتهم وتصوراتهم التي تدور حول الأحلام، من حيث طبيعتها وفائدتها ووظيفتها، وعلاقتها بمختلف النشاطات اليومية وكذا الأجواء النفسية والتنبؤات المستقبلية.

ولتناول هذا الموضوع بنوع من التفصيل، وفي محاولة للوصول إلى تحقيق الأهداف التي انطلقت منها هذه الدراسة ، تم تقسيم هذا العمل الميداني إلى ثلاثة فصول بحيث نتناول في هدا الفصل: **التفسير الشعبي للأحلام** ، وقد إعتمدت الباحثة فيه على تقنية المقابلة بجميع انواعها من اجل جمع المعلومات و تصنيفها و تحليلها .

1 - التعريف بمجتمع البحث

لقد تم إجراء الدراسة الميدانية للبحث في إحدى المدن الجزائرية العريقة التي تتميز بمنزلة مرموقة في تاريخ المغرب العربي الإسلامي، إنها "تلمسان" جوهرة الغرب الجزائري.

شهدت هذه المدينة في العصر الإسلامي حياة فكرية مميزة وإزدهار لمختلف العلوم والمعارف التي امتد إشعاعها إلى الحواضر الإسلامية الكبرى في المشرق والمغرب، وقد استفادت تلمسان من هجرات العلماء القادمين إليها من قرطبة وغرناطة بعد سقوط الأندلس، فتعمق التحصيل وانتعشت التيارات الفلسفية والصوفية ... وبرز الفكر الأشعري في المعتقدات والمذهب المالكي في الفقهيات، وكانت تلمسان بحق قاعدة سياسية وثقافية وعلمية في المغرب الأوسط.

إن تسمية تلمسان مؤلفة من كلمتين تلم وسان أي "تجمع اثنين الصحراء والتل، بينما يرى آخرون أن تلمسان تعني تجمع البر والبحر وهو الأرجح في رأينا"[(1)].

إن أول إسم أعطي لها هو أقادير التي تعني الجدار باللهجة الزناتية وهي تقع في سفح جبل طرارة ، وتشرف على ساحل بحري يعطي لمناخها البعض من الرطوبة في حرارة فصل الصيف، وتعلوها هضبة لالا ستي[(*)]، وكأن المدينة: "عروس فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين"[(2)]. ويعد الأمازيغ من بين أوائل سكان تلمسان منذ العصور القديمة، إذ عرفت أجناسا بربرية كثيرة، ومن بينها "زناتة وقبيلة زواغة ونفرة "وأطلق زناتة على السهل الواقع في الشمال الغربي من تلمسان، كما أن هذه المدينة أسسها في العصور القديمة بنو يفرن، الدين ما هم سوى فرقة من زناتة، وتعد زواغة ونفرة ومفيلة وجراوة من جملة الفرق التي سكنت تلمسان وضواحيها"[(3)].

ولقد مرت تلمسان بمراحل تاريخية هامة لطبيعة موقعها الإستراتيجي الذي لمع بإسمها "فعاشت مرحلة ما قبل التاريخ، ثم الفترة النوميدية تحت حكم الملك صفاقص وعاصمتها سيقا،

---

(1) بن عيسى تحيني، "لهجة تلمسان وعلاقتها بالعربية الفصحى"، مخطوطة رسالة ماجستير، ص 19.

(*) لالا ستي: وهي إمرأة زاهدة ومتصوفة وعالمة، يوجد قبرها في أعالي الجبل المشرف على مدينة تلمسان وإسمها "ستي"، ولالا هو لقب يطلق عادة في تلمسان على الحماة وهذا الشرح مأخوذ من رسالة الماجستير للدكتور بن عيسى التحيني(المرجع السابق) .

(2) يحي بن خلدون، "بغية الرواد في دكرى الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول، مطبعة بيير بونطانا الشرقية الجزائر سنة 1903 ص 9.(نسخة إلكترونية)

(3) الحاج محمد بن رمضان شاوش، "باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1995، ص 358.

شهدت الغزو الروماني الدي امتد من 32م إلى 430م، حيث صارت بوماريا أي البساتين الجميلة"[1].

ثم وفد إليها الوندال والبيزنطيون حتى جاء العهد الإسلامي، حيث فتحت هذه المدينة سنة 675م فانطوت تلمسان تحت لواء الخلافة الإسلامية بالمشرق إلى أن قامت الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى فانضمت تلمسان إلى حكمها، ولما تأسست الدولة المرابطية أصبحت تابعة لها على يد يوسف بن تاشفين.

وفي فترة الموحدين عرفت تلمسان ازدهارا كبيرا بقيادة عبد المؤمن بن علي فنشطت التجارة وتنوعت البضائع والسلع وازدهرت مختلف الصنائع، وعندما نشأت الدولة الزيانية في القرن الثالث عشر اتخذت تلمسان عاصمت لها تحت حكم يغمراسن، فنهضت نهضة قوية في العلم والسياسية والصناعية، فلا تجد تلمساني إلا حرفيا أو طالب علم أو معلما أو جنديا يدافع عن وطنه، "وقد كملت صنائعها، والصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته"[2]. وبمجيء العرب إلى المغرب تعربت زناتة وصاروا يتكلمون باللغة العربية، إلا أن بعض الألفاظ لا تزال راسخة إلى يومنا هذا، ثم توافد إليها الأتراك بعد أن غادرها الإسبان وبقيت تابعة لهم إلى أن احتلت واستعمرت من طرف الجيش الفرنسي نهائيا سنة 1842م، وفرضت عليها اللغة الفرنسية كلغة رسمية.

إن تاريخ تلمسان يمتد إلى ما قبل التاريخ، ولقد تعرضت على مر العصور لحملات الغزاة الشرسة مما أكسبت أهلها القدرة على تحمل الشدائد والاستبسال والمقاومة وظلت بذلك تلمسان صامدة تصارع عوادي الزمن.

مرور تلمسان بهذه المراحل التاريخية الهامة جعلها عاصمة للعلم والثقافة والحضارة، ومركز إشعاع زاخر بطلب العلم والمعرفة.

ومن أهم العلماء الدين أناروا بمعارفهم الحياة الثقافية في هذه المنطقة: أحمد أبو العباس، وأحمد بن يحي علي الونشريسي، والقطب سدي بومدين الغوث، والإمام سنوسي وعفيف الدين

---

[1] غوتي شريف، "شجرة تلمسان"، المطبعة الجهوية صاري، سنة 1993، ص 05.

[2] ابن خلدون، "المقدمة"، الجزء الأول، ص 255.

التلمساني، ومحمد بن عبد الكريم المغلي وغيرهم كثر من محبي العلم والأدب كأمثال السلطان ابن تاشفين، وأبو حمو الزياني الثاني والسلطان يغمراسن ... الدين جعلوا من تلمسان قبلة طلاب العلم والمعرفة، فأصبحت بذلك محجة يقصدها الناس من كل أرجاء العالم.

وتجلى أثر الرفاه الاجتماعي والاقتصادي في الحياة العامة للناس فأتقنوا الحرف والصنائع، وتفننوا في الموسيقى والعمران وأنشأوا المنتزهات والقصور وشيدوا الأبراج والجسور، وهو نتاج طبيعي للتعايش الإيجابي بين مختلف الأجناس والأعراق.

ومن بين أبرز المعالم التاريخية العديدة التي ما تزال باقية إلى الآن تقارع الأحقاب والدهور بمسمياتها ووقارها: الجامع الأعظم، ومسجد سيدي بومدين، والمشور، وموقع أغادير، المنصورة، الجامع الكبير بندرومة، جامع سيدي الحلوي، جامع سيدي ابراهيم وسيدي لحسن وغيرها..." [1].

"إنها برهان التاريخ وعبقه، عناق الزمان بالمكان، الطريق إليها وعي يفيض بالمآثر والعبر، لقد كانت على مر العصور ساحة للتفاعل بين مختلف الأمم، فحيثما وليت وجهك يستقبلك الزمن بكثافته، وتراكماته عبر العديد من المعالم والآثار التي تشكل المورفولوجية العامة للمدينة بكل حضورها الطاغي المشكل لنسيج معماري فريد يتوزع عبر شوارعها ومساجدها وزواياها ومدارسها ..." [2].

إن تداخل كل هذه العوامل واندماجها في هذه المدينة أذى إلى تشابك التقاليد وتداخل العادات بين الوافدين إليها وسكانها الأصليين. فظهر في المجتمع التلمساني عادات خاصة به سواء كانت متعلقة بالدين كعيد الفطر أو عيد الأضحى وعاشوراء، والمولد النبوي الشريف، أو عادات متعلقة بالعائلات والاحتفالات كالسابع والختان والعرس، والتي تقام لها طقوس خاصة وألبسة متميزة كالبرنوس والطربوش والشدة والقفطان KAFTAN أو ما يسمونه باللهجة المحلية "أرفطان".

---

[1] غوتي شريف، "شجرة تلمسان"، المطبعة الجهوية صاري، سنة 1993، ص 05.

[2] مقتطف من رسالة فخامة السيد رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة اختيار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، حرر بالجزائر في يوم 05 ديسمبر 2010 (يمكن الرجوع إلى منشورات الديوان الوطني للثقافة والإعلام، تلمسان صدى الإيمان"، ص 3،4.

كما اختلطت اللغات واللهجات في المنطوق التلمساني، فتميز بمجموعة من الخصائص اللغوية التي اكتسبتها هذه المدينة من خلال امتزاج سكانها بالقبائل التي استوطنتها وانصهرت معها، مما أدى إلى بروز بعض المميزات اللهجية التي لا نعثر عليها في منطقة أخرى من مناطق الجزائر، فاستبدلت بعض الكلمات بأخرى، وقلبت بعض الحروف بأخرى كقلب القاف بالهمزة (ق ← أ) كما يغلب على لغتها المحلية العامية مفردات أجنبية متنوعة دخيلة حملتها من الأقوام المتعددة والتي عاشت في هذه المدينة على فترات تاريخية مختلفة، فنجد بعض المفردات البربرية الأصل ومنها الأندلسية والإسبانية ومنها ما هو تركي وما هو فرنسي.

فتشكل بذلك تراث غني وهائل ميز ثقافتها الشعبية وأعطى للمجتمع التلمساني خصوصيات تميزه عن باقي المجتمعات الأخرى بالجزائر، مما يدفنا بالقول أن تلمسان كانت دوما محطة انصهرت فيها مختلف الأقوام فظهر أثر ذلك في مختلف معالمها الثقافية التي تتجسد في العادات والتقاليد، والسلوكات والتفكير والأعراف، وأكثر ما يزكي هذا الطرح، مختلف اللهجات المنتشرة في أوساطه، وموروثه الثقافي الذي يتغدى من الأصول التاريخية المميزة والثرية.

إن هذه الخصائص التي تميزت بها منطقة تلمسان جعلتها مدينة رائعة بجمالها عريقة بتاريخها، وأصيلة بتراثها وثقافتها، وحق لها أن تكون مختارة من طرف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: عاصمة للثقافة الإسلامية لعام 2011، حتى تتوارث الأجيال أية مجدها في كل عصر، وتظل في كل زمن تلمسان للثورة شعلة.

ونحن إن حيينا تلمسان من هذا المنبر، فإنما نحييها من خلال عدد علمائها ومؤلفاتهم وخيرت رجالها وإنجازاتهم.

2- طبيعة الأحلام في الوسط الشعبي:

يسود الاعتقاد في مجتمع البحث أن النوم هو سنة من سنن الله في الوجود، وقد اختصت به كل الكائنات الحية والإنسان جزء من هذه الكائنات، فالنهار مرتبط بالعمل وكل الأحداث،

والليل مرتبط بالنوم، والأحلام جزء من هذا النوم، حيث أن روح المرء تفارق جسده أثناء النوم وتسافر إلى أماكن متنوعة، وتجول مسافات كبيرة، وتشارك أشخاص في أفعالهم ... وهنا تكون روح المرء حسب مجتمع البحث معلقة بين السماء والأرض فإذا ما عادت مرة ثانية إلى جسد صاحبها الذي يكون مستلقي على الفراش تعود إليه الحياة وينتقل إلى يوم آخر وهكذا ...

أما إذا مسكها الله عز وجل عنده فهنا لا تعود إلى صاحبها ويحدث الوفاة ، وقد اتجهت أفكار عينة البحث إلى أن ما يراه الإنسان في نومه من صور وأحداث والتي تعرف بالأحلام هي عبارة عن رسائل ورموز قابلة للتأويل والقراءة، كما أنها قابلة للتحقق، ومن خلال ذلك التحقق قد تكشف عن الكثير من الأمور الغيبية وما يخبئه القدر لصاحبه، وهو ما يجعل صاحب الحلم يهتم بحلمه ويبحث عن تأويله.

وهنا نلاحظ أن الأحلام حسب مجتمع الدراسة ترتبط بالمستقبل، أكثر منها بالماضي والحاضر، وهو ما يوحي لنا سبب اهتمام الأفراد بهذه الظاهرة، فهم من خلالها في أحيان كثيرة يستطيعون الإطلاع على ما ينتظرهم من أمور في المستقبل، ولأن الإنسان بطبعه فضولي، فهو يحاول اختراق حجب الغيب لمعرفة مستقبله، رغم اقتناعه أن الغيب علمه عند الله، ولكن من خلال الأحلام يجد منفد وطريق إلى ذلك.

فلو حاولنا أن نقارن بين هذا التصور للحلم ووظيفته والتصورات البدائية أو في الحضارات السابقة للاحظنا أن ثقافة هذا المجتمع في عموميتها سواء كان ذلك عند الرجال أو النساء خصوصا ، الفئات المتقدمة من العمر، لا تزال محافظة على وظيفته القديمة والمتمثلة في أنه نافدة للاتصال بالغيب.

فالحلم هنا يمثل لهذا المجتمع الخزان الذي يستقي منه الرموز و التمثلات الثقافية لحضارته ومعتقده، وبذلك أمكننا القول أن الحلم ما زال يحافظ على وظائفه الاجتماعية والدينية، وإن الاعتقاد في تنبؤ هذه الظاهرة لموجود في جميع الثقافات ومنتشر لدى مختلف الشعوب سواء في الماضي أو الحاضر، أو تعلق الأمر بالشعوب البدائية أو المتقدمة. وهنا تشير الباحثة إلى أن هذا التعريف هو مستوحى من ذهنية ثقافة كبيري السن والثقافة غير العالمة.

في حين اتجه التفكير الشعبي للأحلام عند الفئة المثقفة نحو اعتبار الحلم عنصرا جامعا لعمليات متعددة في مجالات مختلفة، فالحلم في نظر هذه الفئة هو مزيج بين شعور نفسي وانفعالات، وتأثر بالواقع الاجتماعي والثقافي، وتجسيد لآمال وانشغالات لنواحي مختلفة من الحياة، كما تعد أيضا على أنها مجموعة من الصور والمشاهد التي تتغير بحسب تغير الأحداث والمواقف لتظهر في شكل رموز مختلفة.

كما يعتبرها البعض على أنها عبارة عن وعاء تصب فيه كل الأحداث التي تدور في حياتنا والتي تترك في أنفسنا أثر، كشعورنا بعدم الرضى تجاه أشخاص معينين أو بعض القضايا التي تحدث من حولنا، أو هي تمثيل لبعض مخاوفنا من أمور معينة، أو تجسيد لطموحاتنا نحو المستقبل.

أما ما لاحظته الباحثة عند التفكير الشعبي في عمومية سواء تعلق الأمر بالفئة المثقفة أو غير المثقفة، أنه يعير كبير اهتمامه نحو ما يدور في الحلم في حد ذاته من أحداث وصور ومشاهد، بمعنى أن الاهتمام يكمن فما تحتويه هذه الأخيرة من صور وليس في الأحلام كظاهرة مشتركة لدى الجميع، وكل ما يظهر في هذه الأخيرة من أمور ورموز يتم ربطها ارتباطا وثيقا بالبيئة المحيطة للحالم، أكانت طبيعية، اجتماعية أم ثقافية، في حين لا يعير نفس الاهتمام للوقت أو زمن حدوث الحلم.

فإن كان أول النوم أو وسطه أو آخره فهو سواء، وإن كان هذا الحلم في فصل الشتاء أو الصيف، الخريف أو الربيع، فهذا لا يطرح اختلافا، فالأحلام نلاحظها عند هذه الفئة في عموميتها متساوية.

3- أنواع الأحلام في الوسط الشعبي:

من ناحية أخرى يسود الاعتقاد في مجتمع البحث إلى أن الأحلام هي أنواع حيث يذهب التفكير الشعبي في عموميته إلى أنه يمكن أن نقسم الأحلام إلى:

1- **الرؤيا**: والتي يكون مصدرها دائما هو الله عز وجل وتكون حقيقية وهي بشرى من الله إلى الرائي، وغالبا ما يستيقظ الفرد بعدها وهو مسرور منشرح الصدر، متأثرا بها، ويتوقع حدوثها.

إلا أنه لاحظنا أن الرؤيا عند الفئة الشعبية وخصوصا عند كبيري السن قد تكون نوعان:

الأول منها لا يحتاج إلى تفسير بسبب وضوح المعنى وصفاء الرؤية كرؤية النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ويذهبون في هذا التفسير بقولهم أنه من رأى النبي الكريم فقد رآه حقا، وهذا التأويل في تفسيرهم لهذا النوع من رؤى إنما هو مأخوذ من التفاسير الدينية والأحاديث النبوية، فنجد في قوله صلى الله عليه وسلم "من رآني في المنام، فكأنما رآني في اليقظة"[1]. وقوله عليه الصلاة والسلام "من رآني فقد رأى الحق"[2]. فهنا هذا التقسيم إنما هو في حقيقته تقسيم ديني وتفسير ديني بحيث أجمعت هذه الفئة على أن هذا النوع واضح ولا يحتاج إلى تفسير. وكثيرا ما صادفتنا أثناء جمع المادة، أحلام، من هذا النوع، أين نجد صاحبها يتذكر كل التفاصيل وما زال متأثرا بها حتى وإن ظهر منذ مدة زمنية طويلة.

ومثل ذلك نذكر حلم هذا الرجل الذي يبلغ من العمر 45 سنة وهو متزوج ويمارس مهنة التعليم وفي هذا الصدد يقول عن الرؤيا: "الرؤيا حقيقية، فقد رأيت في منامي منذ ثلاثة سنوات أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاني على حصان أبيض من السماء بملابس بيضاء كالثلج، وأخذني معه إلى مكان لا أعرفه، وهو عبارة عن مجمع كبير به بيت أسود يدخله ناس كثيرون، وأمرني أن أدخل معهم، ولما التفت ورائي، وجدت النبي صلى الله عليه وسلم، قد ذهب فدخلت مع الداخلين، أين وجدت أناسا لا يحصون عدا" ثم يضيف: بعدما استيقظت من منامي كنت جد سعيد بهذه الرؤيا، لأنني رأيت فيها النبي صلى الله عليه وسلم، ومن رآه فقد رأى الحق، والشيطان لا يتمثل به، وهذه الرؤيا هي واضحة المعنى، فقد أخدني النبي الكريم على حصانه إلى مكة المكرمة لأقوم بأداء فريضة الحج مع من اختارهم الله من العالمين.

ورغم أن هذه الرؤيا واضحة إلا أنني طلبت من والدتي تفسيرها لي، وهي إمرأة كبيرة في السن كثيرا ما نلجأ إليها لتوضيح بعض معاني أحلامنا، ففسرتها لي بنفس الطريقة قائلة "مكة

---

(1)،(2) الحديثان صحيحان مأخوذين من تفسير الأحلام الكبير لمحمد بن سيرين من مقدمة الكتاب.

راها تلغا عليك". ولم يكتمل الشهر بعد هذه الرؤيا حتى كنت على لائحة الفائزين بعمرة في القرعة التي أجريت للمعلمين لأداء عمرة في شهر رمضان.

هذا ما تقدم بذكره هذا الشخص أو المعلم هو بالنسبة للمعتقد الشعبي الجزء الواضح من الرؤيا أو الذي لا يستدعي تفسيرا لوضاحة الصورة فيه.

أما **النوع الثاني** من الرؤيا فيحتاج إلى تفسير لعدم وضوح معاني بعض الرموز من طرف الرائي، وهنا يستدعي هذا النوع البحث عن دلالات الصور الظاهرة. بحيث قد تكون هذه الرؤيا سارة أو غير سارة، فما هو سار منها يترك أثرا وانطباعا حسنا في نفسية صاحبه، أما فما غير ذلك، فيستيقظ صاحب الرؤيا منقبض القلب متوتر النفس، منشغل البال وهنا يجمع التفكير الشعبي على عدم التحدث بها والاستعادة من شرها، حتى لا تضر صاحبها. ومن الأمثلة على ذلك حلم هذه المرأة التي أذلت لنا تقول: "رأيت في المنام أني فقدت سنا لي، وبحثت عنه كثيرا ولم أجده، حتى أنني بكيت لفقدان تلك السن، وصرت لا أحب أن أبتسم لأن فمي غير مكتمل" ولما استيقظت من هذا الحلم شعرت بخوف شديد وانتابني شعور بأن شيئا ما سوف يحدث لي، فقصصت الحلم على أم زوجي، فادّعت أنها لم تفهمه، وأنه مجرد خلط في النفس، وطلبت مني أن لا أقصه على أحد. ورغم ذلك قصصته على جارة لنا وهي كبيرة في السن تحسن تفسير الأحلام، فقالت لي أنه قد أفقد شخصا قريبا من العائلة، ويترك أثرا كبيرا في قلبي، ولم يمر على ذلك الحلم إلا ثلاثة أيام حتى جاءني خبر إبني الوحيد الذي صدمته سيارة وهو خارج من المدرسة، فنقل إلى المستشفى وبقي ليلة واحدة في الاستعجالات الطبية وتوفي، ولم أعرف بعدها لذة الحياة ولا طعم الدنيا، وأدركت بعدها أن ذلك الحلم كان رؤيا، وأن فقدام السن من فم الإنسان يعني فقدان شخص من العائلة.

إن الرؤيا في المصطلح الشعبي هو مصطلح يرتبط بالتحقق سواء كانت سارة أو غير سارة لدى نجد بعض السلوكات تصاحب ظهور هذه الأخيرة كقولهم الرؤيا السارة من الله ويمكن التحدث بها ولكن فقط لمن يكنون المحبة للرائي ويمكن تفسيرها من طرف من يحسن التفسير لأن التفسير يوجب وقوع الرؤيا بحسب ما أولت به، وإن كانت غير سارة فينبغي عدم التحدث

بها حتى للأقارب، وأن لا ينشغل صاحبها بها حتى لا تضره ، وتمارس في هذا الإطار مجموعة من الممارسات الشعبية للوقاية من شرها، سوف يتم الإشارة إليها لاحقا.

أما القسم الثاني من أحلام الإنسان فيجمع مجتمع البحث على تسمينها بـ :

ب- **أحلام النفس**: أو أحلام من النفس، وهي في عموميتها عبارة عن أحلام قد تكون سارة وتبعث الاطمئنان لدى صاحبها أو قد تكون مقلقة فتعكر مزاجه وهي عبارة عن أحلام قد تتحقق وقد لا تتحقق وفي معظمها مرتبطة بما يحيط المرء من انشغالات ،كعلاقة صاحب الحلم بشخص معه في العمل أو بأمر يقع له مستقبلا أو الإفلاس في مشروع أو موت شخص تعرفه ... ويتعدد ويتنوع من حيث تعدد علاقات الفرد بمن يحيطه وهذا النوع من الأحلام يمكن تفسيره بالاستعانة بمن يحسن ذلك ، كما أنه إذا كان مقلقا ومخيفا فإنه ينبغي أن لاُ يحدث به أحد حتى لا يضره.

وهنا نلاحظ أن هذا التقسيم لا يختلف كثيرا عن التقسيم الأول، أي أنواع الرؤيا وأنواع أحلام النفس ، فهي نفسها من حيث التقسيم، وإنما يرجع الاختلاف لنوع الدرجة فالرؤيا هي سامية من حيث الترتيب لأنها من الله عز وجل وتحقق في كلا الحالتين والقسم الثاني أي أحلام النفس ينبغي البحث فيها إذا ما كانت مجرد سرد لما يحدث من حولنا من أمور وشواغل وإلا فقد تصدق أحيانا ويكون وقوعها على حسب طريقة تفسيرها.

أما الصنف الثالث من الأحلام كما ورد لنا عن العينة المدروسة فهو يتعلق بـ:

ج- **أحلام من الشيطان**: حيث تصب أراء مجتمع البحث إلى أن هذا النوع يضم أهاويل من الشيطان لبني الإنسان، أين يقوم هذا الأخير بترويعه وترعيبه بهدف إيقاظه، وتضم أحداثها مجموعة من الصراعات كالجري الطويل وعدم القدرة على الهروب أو الوقوع في محرمات كالزنا وسرقة الأموال أو المشي عاريا أو خنق وقتل شخص معين، أو المطاردة من طرف شخص مجهول ... كما يذهب التفسير الشعبي إلى إدراج الكوابيس ضمن هذا النوع من الأحلام، حيث تدخل الصور المرعبة والمخيفة التي يشاهدها الحالم في كابوسه ضمن أعمال الشيطان والأرواح الشريرة التي تدور بالإنسان أثناء نومه والتي عادة ما تنتهي بصراخ أو استيقاظ نظرا للقلق والخوف الشديد الذي يصاحب ذلك الحلم، وهنا نلاحظ أن المعتقد الشعبي في حالة ما

تكرر هذا النوع من الأحلام تصاحبه نوع من السلوكات قبل النوم بهدف إبعاد هذه الأنواع من الأحلام، فمنها ما هو من القرآن والسنة كقراءة آية الكرسي والمعودتين والفاتحة ثم التشهد، ومنها ما هو مأخوذ من الاعتقادات والممارسات الشعبية، المتوارثة كوضع سكين تحت الوسادة، أو وضع حزمة من الملح تحت الفراش وعلى جوانبه، أو نبات الزعتر، أو في بعض الحالات التي يستمر فيها هذا النوع من الأحلام بالظهور، يقوم صاحبه بالتبخر بالبخور قبل النوم بهدف طرد الشياطين والأرواح التي تحوم حول النائم ، ويفسر معتقدنا الشعبي هذه الأفعال عن طريق توضيح رموز هذه الممارسات .

فالسكين يحمل دلالة ، كونه سلاحا حديديا يحمي ويدافع ويرد الضرر ويبعده، ودلالة الملح يستعمل في الممارسات الشعبية للعين والحسد وطرد الشياطين، فيقوم أحد الأفراد، وهنا نخص بالذكر الأم أو الجدة أو العمة بتدوير الملح على رأس صاحب هذه الأحلام المفزعة والتكبير والتسمية عليه (بسم الله والله أكبر) سبع مرات ورميها فيما بعد ذلك في مكان نجس كالمرحاض و بدوبانها تذهب هذه الأرواح ، أو تقوم أم الفرد بوضع حزمة من الملح تحت الوسادة وجزء آخر تقوم بتدويره وتوزيعه على أطراف الفراش كاملة.

ونفس الفعل بالنسبة لنبات الزعتر أو البخور، فهي تستعمل لطرد الشياطين والأرواح الشريرة أو كما يسميها البعض "بالْمُومْنِين".

إن هذه الأفعال والتي ليس لها سند ديني ولا مرجع علمي نجدها كثيرة الانتشار في ثقافتنا الشعبية وهي ممارسة تقريبا من طرف معظم النسوة، ويرجع ذلك لاعتقادها في الغيبيات وتمسكها بالجانب الأسطوري والخرافي في الحكايات.

إن هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرناها والمأخوذة من التصنيفات الشعبية للأحلام، أين أجمعت على أن الأحلام إما أن تكون من الله وتسمى برؤيا وأما أن تكون من النفس وهي أحلام وإما أن تأتي من الشيطان وهي تخويف له وعبارة عن كوابيس، فإن الأحلام في عموميتها حافظت على مضمونها وتقسيمها الديني رغم تنوع أشكال الفكر المتوارث، وهذا التقسيم لو رجعنا إلى السنة النبوية الشريفة لوجدنا ما يدعم هذا الطرح.

حيث نجد قول للنبي صلى الله عليه وسلم في تحديد أنواع الرؤيا أين يقول: "... والرؤيا ثلاثة: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تخزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس"[1].

4 – الشروط التي يتطلبها التفكير الشعبي في الحلم حتى يكون قابلا للتفسير:

لم يختلف البشر منذ عرفت البشرية ظاهرة الحلم في أنه يرمز إلى معان ويحمل دلالات تتجاوز الصور الظاهرة في الحلم ، ولم يكن الانطباع الشخصي ومنذ أقدم العصور كافيا لتفسير معان الحلم، فقد بحث هذا الإنسان في مختلف العصور السابقة عن وسائل لتفسير أحلامه، وكما اختلف البشر في تعريفهم للحلم فقد اختلفوا كذلك في تفسيره.

ويعتبر أول من كتب مخطوطا عن تفسير الأحلام بطريقة منظمة ومرتبة العالم الجغرافي أرطميدوس الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد والذي ميز بين خمسة أنواع من الأحلام وهي: أحلام رمزية، أحلام غيبية أو كشفية وهي الرؤى، أحلام خيالية لتحقيق الرغبات الجنسية أو العاطفية، الكوابيس والأحلام المفزعة، الهلاوس النهارية التي تسبق النوم [2].

ولو تتبعنا السياق التاريخي لتفسير الأحلام لوجدنا فيه تنوعا وثراء في كيفية تفسير رموز الأحلام، كما نجد فيه تتابع واستمرارية تناقلته أجيال عن أجيال.

فبعض كتب الأحلام قديما تذهب إلى أن: "من يرى نفسه ميتا فهو يعيش حياة طويلة، ومن يحلم بسقوط أسنانه فإن قريبا له سيموت، ورؤية المرء نفسه فال سيء ، ومن يحلم بقطة كبيرة فإنه ينال محصولا وفيرا، ومن يحلم بأنه يأكل تينا أو عنبا كان دالك ذليلا على المرض والندم"[3].

هذه التفسيرات جزء من التراث الميثولوجي الذي تناقلته الأجيال من اليونان فالمسلمين إلى العصور الوسطى، كما توجد له نظائر عند سكان إفريقيا الوسطى وفي التفسيرات الشعبية السائدة بيننا حتى الآن.

---

(1) د. علي العربي، "الرؤيا والمنام في القرآن والسنة"، دار عالم الكتب الحديث الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2010، ص 75-76.

(2) ممدوح الشيخ، "أشهر الأحلام في التاريخ"، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1993، ط الأولى، ص 20 بالتصرف.

(3) د. توفيق الطويل: "الأحلام"، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1945، ص 195.

كما أننا نجد: "من هذه الدلالات ذاتها في تفسير أرطميدوس اليوناني، فسقوط الأسنان تدل على فقدان أحد أفراد الأسرة ورؤية المرء نفسه في المرآة نذير موته"[1].

ونفس الدلالات تقريبا نجدها عند ابن سرين والنابلسي، فتفسير سقوط الأسنان عند ابن سرين يعني "موت قريب لك، وأكل التين ندامة"[2]. ونجد أن التراث الإسلامي يزخر بإبداعات كلام المعبرين من أهل الإسلام في موضوع الأحلام، وهذا التنوع كان له أثره على كيفية تفسير الأحلام في المعتقد الشعبي، بحيث نجد أن الوسط الشعبي في المجتمع الجزائري عموما والمجتمع التلمساني خصوصا، يستند في قراءته للرموز الظاهرة في الحلم وتأويلها على الكثير من الممارسات التي تعود في أحيان كثيرة إلى التفسيرات الدينية، وإن كانت مستمدة من العادات والتقاليد الضاربة بجذورها في أعماق المجتمع، إلا أنها تلتقي في مرات عديدة بالتفسيرات الدينية، على اعتبار أن الدين يشكل أحد الركائز الأساسية في تكوين ثقافتنا المحلية، وله تأثير كبير على معتقداتنا واتجاهاتنا النفسية عند مختلف الطبقات الاجتماعية باختلاف مستوياتها الثقافية والعلمية.

إن تنوع المزيج الثقافي لمجتمع البحث، والذي يعرف بالموروث الثقافي يصدر في غالبيته من البنية التأسيسية للمجتمع الجزائري ككل، والذي هو منحدر من البعد الديني و هو البعد الأساسي في طريقة تفكير المجتمع ككل (الجزائري) حيث لاحظنا أن التفسيرات الشعبية للأحلام والاعتقاد في تأثيرها على حياة أصحابها ومستقبلهم مازال حاضرا ومرتبطا بالعالم الغيبي.

وهو ما أكده المفكر العربي علي أحمد سعيد الملقب بأدونيس في كتابه "الثابت والمتحول" إذ يقول: "لقد دخلت إليه (المجتمع العربي ككل) عناصر تتنوع وتتعدد، ومنظومة من التناقضات أي من التوترات هكذا نرى الصوفية إلى جانب الفقهية الشرعية، وألف ليلة وليلة إلى جانب علم الكلام والفلسفة، والنزعة الشعبوية إلى جانب النوعية القومية، والفكر الإلحادي إلى جانب الفكر اللاهوتي، وهذيان الحلم والرؤيا إلى جانب الحكمة العلمية والتعقل"[3].

---

(1) المرجع السابق، ص 195.

(2) محمد بن سرين، "تفسير الأحلام"، مرجع سبق ذكره، ص 9.

(3) أدونيس علي أحمد سعيد :" الثابت و المتحول " بحث في الاتباع و الإبداع عند العرب ، الأصول دار العودة ، بيروت ،الجزء الأول ،الطبعة الرابعة سنة 1983 ،ص 3 .

إن التفكير الشعبي في عموميته أثناء عملية التفسير والتأويل يدخل في هذا المضمار إذ يتطلب الأمر وجود مفسر شعبي يمتلك مهارة فنية وقدرة معرفية على قراءة الرموز وتأويل الرسائل الحلمية إلى تفاسير صحيحة وملائمة دون أن تتناقض مع تعاليم الدين ومعتقداته.

لذى ذهب الاعتقاد الشعبي في لزومية امتلاك هذه المهارة الفنية أثناء عملية التفسير مع التركيز على الإحاطة بالعلاقات الاجتماعية والمعرفة الثقافة المحلية للأفراد قبل الشروع في تفسير الحلم، هذا وقد أوضحت نتائج الدراسة الميدانية إلى أن مجتمع البحث يركز أثناء عملية التفسير على ضرورة الإحاطة بالحالة النفسية لصاحب الحلم، كسؤال المعبر قبل الشروع في عملية التفسير، (صاحب الحلم)، عن بعض التفاصيل المرتبطة بالحالة النفسية ورأيُه في الحلم، والشعور الذي انتابه بعد رؤيته للحلم ، كما يبحث المفسر عن أهم اهتمامات وانشغالات صاحب الحلم، وهو ما يساعد المفسر في الإحاطة بكل ما يدور من حول صاحب الحلم ويساعده على الوصول إلى التفسير الأقرب لذهنية المقبل على التفسير، وفي هذه العملية فإننا نلاحظ أن الثقة تكون مرتفعة من طرف المقبل على التفسير والإقبال على طلب التفسير والاعتقاد فيه يكون أكبر.

وهنا يشير مجتمع البحث إلى أن الحلم يجب أن يحمل مؤشرات معينة وأحداث وصور تثير الاهتمام فعلا، حتى يقبل صاحب ذلك الحلم على طلب التفسير.

إن ما تم الإشارة إليه كذلك من طرف العينة المدروسة هو النية الصادقة لصاحب الحلم والاهتمام الحقيقي الذي جعله يقصد المفسر، والمشاعر الحقيقية التي كونها من خلال رؤيته لهذا الحلم، لأن المفسر الشعبي يعمل على التأويل بحسب المشاعر والانطباعات التي كونها الفرد نفسه على الحلم، فإذا كانت مشاعر تميل إلى الفرح والإبتهاج والإرتياح فإن التأويل يقع على ذلك فيكون حلمه بشير بالخير، وإذا كان شعوره عبارة عن ضيق وخوف وحزن فإن التأويل يكون في هذا الاتجاه مع محاولة اختيار الألفاظ المناسبة لذلك.

كما يشترط التفسير الشعبي في الحلم أن يكون يحتوي على رموز وصور واضحة أو مفهومة ومعروفة في ثقافتنا الشعبية وتحمل دلالات معينة كرؤية رجل أو امرأة حيا أو ميتا، معروفا أو غير معروف بالنسبة إليه، يشير عليه بفعل معين، أو قول ما، وهو ما يشد صاحبه إلى

طلب التفسير والإقبال على تنفيذ ما جاء في الحلم، ويحدث هذا مثلا حسب المفسرين الشعبيين عندما يظهر رجل صالح أو ولي من أولياء الله الصالحين أو رؤية النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في طلب أمر معين أو القيام بفعل ما ... و هنا نلاحظ أن صاحب الحلم يكون كبير التأثر بما رآه فيشده ذلك إلى الإقبال على التفسير مع الإقبال كذلك على تنفيذ ما فسر له.

وكثيرا ما صادفتنا أثناء عملية جمع المادة ، أحلام من هذا النوع، بحيث يحمل صاحبها نية صادقة، ومشاعر حقيقية تجاه ما جاء في حلمه وهو الذي جعله يقوم بتنفيذ ما فسر له في ذلك.

فهذه عائلة كانت موجودة بوالي "سيدي موسى" الواقع ضريحه بجوار مدينة ندرومة ولاية تلمسان، في ثاني زيارة لها هناك، حيث تقول صاحبة الحلم: "رأيت في منامي شخصا لا أعرفه في الدنيا اسمه موسى يرتدي برنوسا أبيضا، يطلب مني بصريح العبارة أن أعطيه منديلا وأني مصرحة للإنجاب وأن حاجتي مقضية".

ففسر لي المنام بأن ذلك الشخص هو الولي سيدي موسى، وأنه لابد لي أن أقوم بزيارة قبته، وفي المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى هناك- تقول صاحبة الحلم- وجدنا عائلة كبيرة تحتفل في هذا الولي الصالح، وكانت هنالك إمرأة كبيرة في السن ذاهبة لأداء فريضة الحج في الأيام القليلة المقبلة. فلما روينا لها الحلم، طلبت مني أن أعطيها حزامي لكي ترمي به هناك (أي في بين الله)، وبعد مدة زمنية من هذه الحادثة أصبحت حاملا وتضيف، ونحن هنا للاحتفال بذلك.

وهنا نلاحظ أن الكثير من الأحلام ما نجدها تحمل نوعا من القدسية بحيث تجعل صاحبها يقبل على طلب التفسير وعازما على تنفيذه، وفي هذا المجال نجد مثلا الكثير من الأشخاص يذهبون إلى بيت الله لأداء فريضة الحج وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام إثرى رؤيا يراها الشخص، فتكون له إشارة بأن الحج يناديه، أو كما يقال في التعبير الشعبي "مكة لْغَاتْ عْليِه"، أو مكة عَيْطَتْ"، ومعناها أن مكة نادته بالسعي إليها.

وفي نفس الباب يحكي لنا هذا الشيخ صاحب 76 سنة منامه الذي رآه وهو ابن الخمسين من عمره حيث يقول: "أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه في المنام وأخذه معه إلى

بيته، وعندما ذهب معه وجد بيته مملوءا بالكبار والصغار، النساء والرجال، فتركه عليه الصلاة والسلام (أي ترك صاحب الحلم) مع هؤلاء الناس، ولكن عندما أراد هذا الرجل الرجوع والعودة أضاع حذاءه، وبحث عنه كثيرا ولم يجده فعاد من دونه".

ففسر له الحلم حينها أن قدوم النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذا الرجل وإصطحابه معه إلى بيته معناه العزم للذهاب إلى بيت الله الحرام، وأن هذا الرجل سوف يعود مرة ثانية إلى بيت الله لأنه نسي حذاءه، والحذاء في التفسير الشعبي هو رمز السفر، وللمرأة العزباء هو رمز الزوج، ولأن هذا الشيخ نسي حذاءه في بيت النبي فذلك يعني أنه سوف يعود مرة ثانية إلى هناك.

وهو ما حصل فعلا في السبعينيات من عمر هذا الشيخ بحيث يقول أنه عاد إلى بيت الله للحج مرة ثانية، وبالتالي كان ذلك التفسير لرؤياه تفسيرا يقينا، وهو ما جعله طيلة تلك السنوات يتشبث بحلمه ويشد العزم للعودة مرة أخرى، وذلك لما انطوى عليه (أي الحلم) من رموز مقدسة في اعتقاد الرائي والذي لا يهدأ روعه إلا بعدما ينفد كل ما جاء في منامه.

فهذه الخصوصيات التي ذكرت حسب بعض المفسرين الشعبيين هي خصوصيات لابد أن تتوفر في الحلم حتى يكون قابلا للتفسير والتحقق ، إلا أنه تشير عينة الدراسة كذلك إلى أن الحلم قد يحمل مجموعة من المؤشرات التي تجعله غير قابل للتحقق في الواقع، وهو ما يجعل صاحبه غير عازم على طلب التفسير في أحيانا كثيرة، كأن يكون مجرد خلط في الأحداث وعدم القدرة على إعادتها بشكل واضح، أو أن ينهض الشخص مثلا وهو غير قادر على تذكر أي شيء من حلمه مع علمه بأنه رأى حلم معين، وإذا تذكر فيذكر أشياء صغيرة وبسيطة وينسى التفاصيل بسهولة، وكلما مرت مدة زمنية على ذلك الحلم كلما ازداد نسيانا له، وهو ما يجعل الحالة النفسية لصاحب الحلم عادية وليس فيها ما يوحي بالاهتمام كالاستبشار به أو الخوف والانقباض منه.

أو كأن يرى الشخص مجموعة من الحوادث التي لها علاقة بأعماله اليومية أو أشخاص تربطه بهم اهتمامات وانشغالات معينة، ولكن في عموميتها هي عبارة عن رموز غير منسجمة مع بعضها ، بحيث يذهب الاعتقاد الشعبي إلى أنها مجرد بقايا وتراكمات النهار، وأنها عبارة عن

أضغاث أحلام لا تستدعي الاهتمام والتفسير ، وأنه بمجرد مرور وقت عليها سرعان ما ينساها صاحبها.

فهذه الشروط هي أهم ما أشير إليها من طرف عينة البحث والتي يتطلبها الحلم حتى يكون قابلا للتأويل من عدمه حسب التفكير الشعبي ، وهناك مجموعة من الشروط التي يتطلبها التفسير في حد ذاته، يجب أن تتوفر في المفسر الشعبي حتى يكون التأويل صحيحا ويقع على حسب ما فسر له وهو ما سوف نعالجه في العنصر اللاحق.

5 – شروط وطرق تفسير الأحلام في المعتقد الشعبي:

في الحقيقة لا توجد مهنة مستقلة بذاتها تهتم بتفسير الأحلام، ففي معظم الأحيان يكون تفسيرها مدرجا ومدمجا اجتماعيا بمهن أخرى[1].

وأثناء الدراسة الميدانية التي قمنا بها في ربوع هذه الولاية ، وُجّهنا إلى بعض الناس الذين لهم شهرة كبيرة في عملية تفسير الأحلام، حيث أفادنا بعض الأشخاص أنهم كانوا يلجأون إليهم لتفسير بعض أحلامهم، وكانوا جميعا من كبار السن واشتهروا بالتقوى والورع والإيمان الصادق وكان عدد المفسرين الرجال أقل منه عن النساء، وبعد اتصالنا بهذه العينة قمنا باختيار

[1] Kilborne Benjamin « interprétation du rêve au Maroc », la pensée sauvage, France, 1978, p45.

عينة تتكون من 5 مفسرين ، اثنان منهم رجال والثلاثة الباقون نسوة: حيث وُصِفَت لنا العينة بأنها كانت لها تجربة وأراء سديدة في هذا المجال (أي في تفسير الأحلام).

وبعد المقابلة مع هذه العينة خلصنا إلى أن التأويل والتفسير عندهم يستند في أجزائه على ضرورة الإطلاع على الكثير من المعارف ومن بينها:

* وجود مهارة فنية وقدرة معرفية على قراءة الرموز وتأويل الرسائل الحلمية إلى تفاسير صحيحة وملائمة ، وهي منة من الله عز وجل يهبها لهذا العبد الذي يجد في نفسه ميلا للأحلام بصفة عامة، وإلى تفسيرها بصفة خاصة، وهنا يكون الفتح من الله عز وجل بهذه النعمة على هذا الشخص الذي اختاره وميزه بهذه الميزة فيحسن قراءة الرموز ودلائلها.

وعند ذلك يجب على هذا المفسر دائما أن يذكر الله وخيره ، حيث نجد كل مفسر في بداية تفسيره يقول "خيرا، اللهم اجعله خيرا" وفي هذه العبارة تنبعث الطمأنينة والسكينة في روح الرائي.

كما يجب على المفسر الشعبي أن يكون عالما بمنطق القلب والتفسير بالعكس. كقلب الموت بالحياة، والضحك بالحزن، والفرح بالبكاء، ... كما أنه ليس كل الصور الحلمية قابلة للتفسير بالقلب عن طريق إحضار المعنى المضاد، وإنما هناك مجموعة منها فقط، وعلى المفسر الشعبي أن يكون على دراية وعلم بها.

فهذا حلم لشاب قمنا بأخذه إلى هؤلاء المفسرين الشعبيين بهدف توضيحه وفك رموزه حيث يقول صاحبه: "حلمت في إحدى الأيام الماضية بأني سقطت من أعلى بيتنا وتوفيت، وحملوني أناس كثيرون على أكتافهم في المحمل، وشعرت بحزن شديد في الحلم حتى استيقظت منفزعا وخائفا". فقدموا إلينا تفسير عام للحلم، حيث اتجهت جميعها إلى ما يلي:

* رؤية الموت في الحلم تعني طول عمر صاحبها، وهي ترمز للحياة.

* وحمل هذا الشخص في المحمل والناس حوله يرمز لزواجه، حيث يكون في تلك اللحظة كالسلطان فوق الجميع.

* والحزن الذي كان فيه هو فرحه أو عرسه، وكان حزينا لأنه ودع مرحلة العزوبية وانتقل إلى مرحلة المسؤولية.

* بصفة عامة اتجهت تفسيرات هؤلاء المعبرين الشعبين إلى أن هذا الشخص أو هذا الشاب سوف يتزوج ويعمر طويلا.

والملفت للانتباه أن صاحب الحلم حقا كان مقبلا على الزواج، وكان في حياته منشغلا كثيرا بمراسيم الزفاف والفرح، والمعازيم والتكاليف... كما أننا لاحظنا على المفسرين جميعهم أنهم أصدروا حكما مسبقا على الحلم بحيث أنهم اعتبروه تبشيريا وأنه من الله وعلى صاحبه أن يستبشر به خيرا. وهنا ملاحظتنا أن التفسير الشعبي يتماشى مع الاعتقاد الدين الذي يربط بين الأحلام الجيدة بالمصدر الإلاهي، ومن تم جاء هذا الحكم المسبق حتى يبعث الطمأنينة والراحة في صاحب الحلم. كما أنه يلاحظ أن المفسرين اعتمدوا في تأويلهم على عملية القلب، بحيث قلبت أحداث الموت بالفرح والحزن بالسعادة ... وانتهاء حياته بالعمر الطويل.

كما أشار المفسرون إلى أنه يمكن التعبير عن طريق إيضاح معنى الرموز بكثرتها أو قلتها أو كما سماه البعض التفسير بالزيادة والنقصان، وهنا يكون تفسير الرمز حسب هذه الفئة بكثرته أو قلته، كتفسيرهم للضحك بالحزن، ولكن إذا كان الضحك مجرد ابتسامة ولم يسترسل فيه صاحبه فهو غير مضر، أي حزن غير مؤثر.

وهنا يقول شيخ ممن اعتمدناه في التفسير: العنب الأبيض يرمز إلى: الحزن والدموع أو البكاء وكذا إلى المصائب، فإذا كان هذا العنب كثيرا كان الحزن عميقا، وبقلته يقل الحزن والأثر، ونفس الشيء بالنسبة لرؤية السمك، فرؤيته في الحلم يدل على المال والرزق وكثرته في التفسير ذال على كثرة المال وقلته يؤول بضعفه.

وفي هذا الصدد حضرنا حلم لسيدة كبيرة "رأت في منامها أن أخا لها أتاها بحوت كثير، أين أكلت منه هي وأفراد عائلتها وبقي جزء منه"، فهذا الحلم حسب هؤلاء المفسرين يدل على رزق كبير، وأن أكلها هي وعائلتها منه وبقاء جزء يدل على سد حاجتها وتفضيل جزء منه.

وهنا في هذا المقام أضافت لنا صاحبة الحلم والتي كان يحضرها معنى الرمز ، وعلى إثره استحسنت الحلم وفسرته في ذلك المنوال، تقول: بعد مدة زمنية على هذا الحلم، قام أخ لها (وهو الذي رأته في منامها) بشراء حصتها من الإرث، وهي عبارة عن جزء من بيت العائلة القديم، وقطعة أرض مجاورة للبيت، فاشترت بها لعائلتها بيتا وفضلت جزء من المال.

كما يضيف المفسرون أن التفسير يتم كذلك في بعض الأحيان بالاعتماد على معرفة معاني الأسماء ، ويقع التفسير على حسب إسم الشخص الذي ظهر في الحلم إذا كان غير معروف، وهنا يشترط في المفسر أن يكون على علم بمعاني الأسماء وطريقة الاشتقاق ودلالتها.

كمن رأى في منامه رجلا اسمه راشدا فيعبر عن ذلك بالرشد، وإذا كان يسمى سالما يعبر عليه بالسلامة وسعيدا بالسعادة، وصالحا بالصلاح... فمثلا إذا كان هناك شخص مريض رأى في منامه رجل زاره اسمه سالما أو سليمان فإنه يسلم وينجو من مرضه، وما لحضناه على المفسرين أنهم يهتمون كثيرا بأسماء الأشخاص الظاهرين في الحلم خصوصا إذا كانوا غير معروفين وهذه الطريقة نفسها أي التأويل عن طريق معرفة معان الأسماء وذلالتها ، هي موجودة كذلك في التفسير الديني بحيث نجد في تفسير بن سيرين والنابلسي ما يدل على ذلك في إشارتهم إلى التأويل عن طريق التعبير بالأسامي واشتقاق اللغة، وفي هذا يقول ابن الوردي:

"والإشتقاق في الأسامي أصل * * * عن ابن سرين وصح النقل

فأعمل به إذا غابت الأصول * * * أو قصرت رؤياه والدليل

كقولنا: سوسنة: سوء سنة * * * وفي النعام نعمة مبينة

وإن رأى المريض سالما نجا * * * وإن رأى مسافرا أو مخرجا" [1]

ومن دلالة الأسماء إلى دلالة الألوان، فهذا الأخير له أثره الكبير ودلالته التي يفسر بها في التفسير الشعبي، فاللون الأبيض هو بشرى ونور، والأسود هو هموم وهول، والأخضر هو رمز الأولياء الصالحين والنشأ الصالح، والأحمر يدل على المنازعات والخصومات والوردي ذال على النعومة والأطفال، كما يدل اللون الأصفر على الغيرة والحسد والأنانية وعلى أن صاحب اللون أو الوجه الأصفر، يخفي مشاعر وحقائق غير المعلن عنها.

وأحيانا يسأل المفسر الشعبي صاحب الحلم عن وقت منامه الذي رآه، كأن يطلب منه توضيح إذا كان قبل الفجر أم بعده، فقبل الفجر يفسر بطريقة أما بعد الفجر فعادة ما يؤول بأنه من الشيطان ليعبد به العبد عن أداء صلاته.

[1] خالد بن علي بن محمد العنبري، "قاموس تفسير الأحلام"، دار الإمام مالك للكتاب، الطبعة الأولى، الجزائر، سنة 2000، ص 14.

كما أنه لاحظنا أن المفسرين جميعهم يعتمدون على الرائي في تفسيرهم لرؤياه وذلك بالإحاطة بظروفه النفسية والاجتماعية والبيئية، فمثلا لاحظنا قبل الشروع في تفسير الحلم يسأل الشخص إذا كان متزوج أم لا مثل الحالة التي ذكرناها سابقا للشاب الذي رأى نفسه ميتا، وإذا كان عاملا أم بطالا وهل تشغله بعض المشاريع أو الأشياء التي يطمع لتحقيقها أم لا ،وسؤاله عن السفر إذا كان عازما عليه أم لا وهكذا ... أما المرأة فتحاط كذلك بأسئلة كثيرة قبل تفسير حلمها حتى يكون ذلك التفسير صحيحا ومعتمدا على وقائع وأحداث سبقته ، كأن تسأل عن ما إذا كانت متزوجة أم ليس بعد وإذا كانت كذلك، تسأل عن دريتها، كما تسأل عن وضعيتها مع زوجها ومع أهله ... وغير ذلك من الأسئلة التي تحيط المفسر بالجو العام لصاحب الحلم فتجعل تفسيره بشرى بذلك لما جاءه في الحلم ، أو تحدير وإنذار لما قد يصيبه مستقبلا وفق ما تم جمعه من معلومات عامة عن الحلم والحالم.

وفي هذا المجال تستوقفنا ملاحظتان ؛ أولهما تتعلق بالحلم المبشّر أو المفرح والذي يشرع المفسر مباشرة بعد الإلمام بما يحتاجه من الحالم نفسه بتفسيره له، و كثيرا ما لاحظنا أنه يعتمد على التفاصيل العامة للحلم بحيث لا يقف على الجزئيات والأحداث الغير واضحة.

أما الملاحظة الثانية التي استوقفتنا فهي التي تتعلق بالحلم المخيف والذي يكون نذير بشؤم أو شر سيلحق صاحبه، وهنا المفسر الشعبي يقوم بواحدة من اثنتين، فإما يقوم بتأويله له في ذلك الاتجاه مع اختيار الألفاظ الملائمة على ذلك وينهي تفسيره بكلمة ولله العلم في ذلك أو كقولهم "... على كل حال ، الله وحده الذي يعلم الغيب وما يخفيه لنا القدر"، وإما يستعمل طريقة أخرى وهي: التحفظ بعدم تأويله بعد أن يستعيد بالله من شر ما رآه ويطلب منه عدم محاولة تفسيره حتى لا يقع حسب اعتقادهم ، أو يطلب منه إذا كان فيه ما يدل على الهموم والمصائب أن يقوم بقصه على البحر، وهذا الاعتقاد معناه أن البحر يذهب الهموم ويرمي بها عن طريق أمواجه إلى أماكن بعيدة.

وعموما لا نجد اختلافات كبيرة بين المفسرين من حيث الشروط التي ينبغي توفرها في الحالم وحلمه والمفسر نفسه، بالرغم من اختلاف المناطق التي يقيمون بها المفسرون المعتمد عليهم في إنجاز هذا البحث وجنسهم وسنهم، وتباين الخلفية الثقافية لهؤلاء المفسرين التي ينتمون

إليها، فعموما إذا كانت رموز الحلم واضحة ودلالاتها معروفة فنجد كل التفاسير تقريبا تصبو نحو نفس الاتجاه.

أما الاختلاف الملاحظ من طرف الباحثة عن المفسرين هو أن بعضهم يقف على أهم التفاصيل، ويسأل عن كل كبيرة وصغيرة كوقت حدوث الحلم وإذا كان نهارا أم ليلا وعن هيأة ذلك الشخص الذي ظهر في الحلم واسمه وثوبه وسنه، وإذا كان غريبا أم لا ... في حين هناك من يهتم فقط بالشكل العام للحلم والإطار الذي دار فيه، ويعتمد في التفسير على الرموز الواضحة والأحداث المهمة ولا يركز عن الجزئيات ، خصوصا إذا لم تكن مرتبطة بالأحداث العامة للحلم.

وفي آخر هذه المقابلات التي أجريت مع هذه العينة من المفسرين الشعبيين قمنا بأخذ حلم يحتوي على رموز واضحة وطلبنا منهم تفسيره لنا وتفكيك رموزه، وكان الهدف من ذلك هو ملاحظة إذا ما كانت هناك اختلافات بين المفسرين في تأويل الجو العام للحلم أم لا، وهذا الحلم هو كالتالي: "إمرأة رأت نفسها تأكل من لحم نيئ كثيرا ولعصيانه سنها طارت وعلقت في ذلك اللحم".

وكان المفسر الأول: شيخا يبلغ من العمر 76 سنة من مدينة ندرومة عرف بحكمته في التفسير وهو إمام كذلك، قام بتفسير هذا الحلم لنا فقال : "أكل اللحم بصفة عامة شيء مدموم، ولأنه أخضر فهو مصيبة، وهذه المصيبة سوف تلحق بهذه المرأة وسوف تؤدي إلى موت قريب عزيز عليها".

أما المفسر الثاني: فهي عجوز من مدينة صبرة تبلغ من العمر 66 سنة، ولها من الحكمة في القول والتأني في الحديث ما يجذب المفسر للاستمتاع بكلامها وحسن سماعه، وفي ذلك تقول: "اللحم هو فتنة، قد تصيب المال أو الأهل، فإذا كان مطبوخا فضرره صغير، أما إذا كان أخضرا وعاصي فضرره كبير، ويؤدي صاحبه، والأسنان تدل على عمر الإنسان، فإذا ضاع سن من فمه ذل على ضياع مريض قريب منه ، وعموما هذا الحلم يعني أن هذه المرأة ربما يصيبها مكروه في مالها أو أهلها أو ولدها".

وقد فسر الشخص الثالث: وهي حاجة تبلغ من العمر 71 سنة من منطقة سبدو، اشتهرت بالحكمة في تأويل الرؤى، تعبر لنا هذا الحلم فتقول: "هذا الحلم والعياد بالله هو مصيبة سوف تصيب هذه المرأة، فإذا كانت متزوجة فسوف تصيب زوجها أو أحد أبنائها، وإذا كانت غير متزوجة فستصيب عائلتها أو أحد أقربائها".

وجاء تفسير هذا الحلم على لسان **هذه المرأة (المفسرة الرابعة)** وهي تبلغ من العمر الثمانين وتعيش بأسرتها في مدينة منصورة التابعة لتلمسان، جاء تفسيرها كما يلي: "اللحم هو هم، ولكن إذا كان قليلا فلا يضر، أما إدا كثير فيضر، والأسنان سقوطها يعبر بالموت، فإذا كان ضرسا كبيرا فالميت كبير في السن أو كبير في الشأن، وإذا كان سن صغير فالميت، إما صغير في السن أو بعيد ولكن تربطه صلة بالحالم، وما رأته هذه المرأة في حلمها فذلك يعني أنه سوف تصيبها مصيبة كبيرة لا قدر الله، وتؤدي إلى موت أحد أقربائها".

أما المفسر الأخير: فهو شيخ في السبعين من عمره وهو حاج من منطقة الرمشي، فسر لنا الحلم كما يلي: "اللحم في المنام هو شيء مدموم، ولكن على حسب رؤيته، فإذا كان مطبوخا وطعمه طيب، فهو زيادة في المال والرزق، أما إذا كان أخضر وعاصي فيدل على هلاكه وضياع رزقه.

و فقدان الأسنان يدل على فقدان أحد الأقارب، وهذا الحلم قد يعني — والله أعلم — أن مصيبة أو ضررا كبيرا سوف يصيب هذه المرأة في مالها أو مصدر رزقها".

إن هدف الباحثة من خلال تفسير هذا الحلم عند مختلف هؤلاء المفسرين المعتمد عليهم في هذه المقابلات الميدانية ليس تفسير الحلم في حد ذاته ، وإنما سعينا من خلال ذلك إلى معرفة هل هؤلاء المفسرين ورغم انتمائهم إلى مناطق مختلفة من مجتمع البحث ككل ، يحملون نفس الثقافة والمرجعية في تفسيرهم لهذا الحلم ومن تم لبقية الأحلام التي تعرض عليهم، أم أن كل مفسر له ثقافته الخاصة به والمستمدة من البيئة المحيطة به، وإذا كانت الإجابة بأنهم يحملون تقريبا نفس الثقافة، فما مرجعيتهم في ذلك ؟ بالرغم من أن بعضهم ينتمي إلى الثقافة الريفية والبعض الآخر ينمي إلى الثقافة الحضرية أو المدنية.

قبل الإجابة على هذه التساؤلات فقد توصلت الباحثة إلى مجموعة من الملاحظات وهي أننا نلاحظ:

* التركيز على الرموز المتواجدة في الحلم من طرف جميع المفسرين يبدو ظاهرا، كرمز اللحم النيء، ورمز سقوط الأسنان اللذان تواجدا في جمع تفاسيرهم، في حين لاحظنا أن الأمور الأخرى لم تؤخذ بعين الاعتبار بالرغم من أنها تعتبر مهمة في التفسير كمعرفة وقت الحلم أو زمنه، ومعرفة الظروف المحيطة بالحالم. إن التركز كان على الرمز في حد ذاته ونوعيته، أي اللحم مثلا إذا كان كثيرا أم قليلا، مطبوخا أو نيئا ... والسن الذي سقط إذا كان ضرسا أم سنا ... وهذا التركيز يعود في نظرنا إلى ما تحمله هذه الرموز من دلالات هامة في معتقدنا الشعبي.

* أما الملاحظ على هذه التفاسير جميعا من حيث التفسير العام، فقد كانت تقريبا كلها متقاربة وتصبو نحو نفس الاتجاه حتى أن المضمون الرمزي لهذه التفاسير يكاد يكون واحدا، وهو أن هذا الحلم فال سيئ ومذموم، وأنّ همًّا سوف يلحق بصاحبه مستقبلا، ويستندون في ذلك إلى تحليل رمز اللحم النيئ حيث أن هذا الأخير في ثقافتنا المحلية يرمز إلى الهموم ، ونجد مثلا في الحديث العادي للعامية خاصة عند فئة النساء، عندما يذكر اللحم في سياق الحديث يضاف مباشرة بعده جملة معروفة بـ "... اللحم ... الله يبَعّدْ عليك الهم".

أما الأسنان فتدل على عمر الإنسان أو حياته، وفقدانها في نظر المفسرين هو توقف هذه الأخيرة أي الحياة ، وحسب تفسيرهم لهذا الحلم فهو يعن أن الحالم قد يفقد شخصا قريبا خصوصا إذا كان مريضا.

بالمقابل عملت الباحثة على إجراء مقابلة مع صاحبة الحلم نفسها، وذلك بعد أن تم تفسير هذا الحلم من قبل المؤولين الخمسة الذين اعتمدناهم في بحثنا هذا ، فقمنا بطلب مجموعة من التوضيحات عن الظروف التي تحيط بصاحبة الحلم ، وطلبنا منها أن تعطينا محاولة لتفسير حلمها، وما إذا كانت قد فسرته هي من قبل عن طريق شخص معين وربطه بالأحداث التي وقعت لها من بعد تلك الرؤيا أو ذلك المنام، وهذا العمل يندرج في إطار الإلمام بالظروف المحيطة بصاحبة الحلم ومعرفة العوامل النفسية التي صاحبت هذه المرأة قبل وبعد رؤيتها هذا الحلم.

وفي هذا الصدد تقول هذه المرأة أنها كانت تعاني من قروحات معدية حادة، ... وفي هذه الفترة رأت هذا المنام ... ومع ازدياد شدة الألم قامت بزيارة الطبيب مرة ثانية، والذي قام بإعطائها مجموعة من التحاليل، والتي على إثر نتائجها (أي التحاليل) تم الكشف على أن معدتها مصابة بمرض خبيث، وبعد العملية الجراحية وأثناء تواجدها بالمستشفى، كانت عائلة زوجها قادمة لزيارتها والتي تعرضت لحادث رهيب على إثرها توفي ابن عم زوجها والذي كان يسوق السيارة والذي يبلغ من العمر 32 سنة.

وبعد استرسالنا الحديث قمنا بطرح بعد التساؤلات بهدف محاولة ربط هذه الأحداث بالحلم ... في هذا السياق تقول صاحبة الحلم:

"... إنه ورغم إيماننا القوي بالله وبالقدر خيره وشره، وأن كل ما يصيبنا هو مكتوب من قبل علينا، إلا أنني لا أنكر أنه بعد رؤيتي لذلك الحلم شعرت بخوف شديد وكان قلبي ينقبض وينشد (أي يصاب بوخز أو ألم طفيف) كلما تذكرت ذلك لما نعرفه من معان غير سارة لرؤية الشخص يأكل اللحم النيئ، حتى أنني بعد أن استيقظت من نومي بقيت تلك الصورة التي كنت آكل بها اللحم النيء مثل الحيوان المفترس عالقة بذهني إلى درجة أن سني طار وبقي عالقا باللحم.

ورغم ذلك الخوف إلا أنني لم أفسره بل قصصته على زوجي فقط والذي قال لي: "اللهم اجعله خيرا يا رب".

وبعدما أنهينا المقابلة مع هذه السيدة استوقفتنا بعض الملاحظات الظاهرة على صاحبة الحلم، وهي أنه أثناء حديثها عن الحلم كانت يداها ترتعشان وكأنها تشعر بالبرد الشديد، كما أنه لاحظنا ومن خلال حديثها أنها تتذكر كل التفاصيل التي جرت في الحلم إلى درجة أنها عندما تتذكره تشعر وكأنها حلمت به تلك الليلة فقط رغم أنه مضى على الحلم حسب صاحبته أكثر من ثلاث سنوات، ورغم هذه المدة إلى أن تلك الصورة مازالت عالقة بذهنها و بكل تفاصيلها.

أما الملاحظة التي استوقفت الباحثة والتي تتعلق بالتفاسير الشعبية، وهي أن مضمون التأويلات التي أشار إليها المفسرون كانت تتماشى مع الأحداث التي وقعت لهذه المرأة مع العلم أن هؤلاء المفسرين كما أشرنا سابقا لم يعتمدوا في تأويلهم على معرفة الظروف المحيطة بصاحبة

الحلم، ومع ذلك توافقت الأحداث مع تلك التفسيرات من خلال معرفة معاني الرموز فقط ، دالك ان هده الدلالات الرمزية تحمل لدى المفسرين بعدا ثقافيا مأخوذ من ثقافتنا المحلية والتي نجدها في الكثير من الأحيان تلتقي بالتفسيرات الدينية.

ومن جهة أخرى وبهدف الإجابة عن تلك التساؤلات التي تم طرحها سابقا قامت الباحثة بمحاولة أخذ هذين الرمزين المتواجدين في هذا الحلم، أي "أكل اللحم النيئ وسقوط السن"، وحاولنا تفسيرهما تفسيرا دينيا ، وذلك بالاعتماد على تفسير بن سرين حيث وجدنا: "اللحم الذي يرى الإنسان أنه يأكله نيئا فهو رديء أبدا، ويدل على هلاك شيء يملكه"[1].

وفي قاموس تفسير الأحلام في ضوء القرآن والسنة يعني: "اللحوم أوجاع وأقسام، وابتياعها مصيبة، والطري منها موت، وأكلها غيبة"[2].

أما الأسنان حسب ابن سيرين: "فهم أهل بيت الرجل، فالعليا منهم، رجل من أهل البيت، والسفلى هم نساء، وسقوطه وضياعه ذال على موت أو غياب بدون رجوع، وإذا سقط في يد صاحبه فهو مال يصير له ... وإذا سقط في حجره فهو ابن ..." [3].

وهكذا نجد أن التفسيرات الشعبية في عموميتها تعتمد على ركائز دينية باعتبار أن هذا الأخير أي الدين يمثل أحد أهم الركائز الأساسية في تكوين ثقافتنا المحلية.

---

[1] محمد بن سيرين، "تفسير الأحلام الكبير"، مرجع سبق ذكره، ص 106.

[2] خالد بن علي بن محمد العنبري، "قاموس تفسير الأحلام"، مرجع سبق ذكه، ص 110.

[3] محمد بن سيرين، "تفسير الأحلام الكبير"، مرجع سبق ذكره، ص 71-72.



الفصل الخامس:
الوظيفة الثقافية والاجتماعية للأحلام
(دراسة ميدانية)

الفصل الخامس: الوظيفة الثقافية والإجتماعية للأحلام "دراسة ميدانية":

تمهيد

1 – ثقافة الحلم في الوسط الأسري .

أ – معنى الحلم في الوسط الأسري .

ب – دور الحلم في الأسرة .

ج – محتوى الحلم في الأسرة.

د – تنبؤات الأحلام في الأسر.

2 – ثقافة الحلم في الوسط الجامعي .

أ – دراسة متغيرات الجنس و السن و التخصص.

ب – معنى الأحلام في الوسط الجامعي.

ج – فائدة و دور الأحلام في الوسط الجامعي.

د– طرق تفسير الأحلام في الوسط الجامعي.

3– ثقافة الحلم في الوسط المهني .

أ – معنى الحلم في الوسط المهني.

ب – محتوى الأحلام في الوسط المهني .

4– خلاصة عامة .

تمهيد:

لقد حاولت الباحثة من خلال هذا الفصل توظيف مجموعة من الأسئلة للإطلاع على مكانة الحلم عند مختلف المستويات الاجتماعية، وما تمثله في نظر كل فئة.

وقد خصص لذلك مجموعة من الاستمارات، حيث أن كل استمارة وجهت إلى فئة معينة من المجتمع وهي في مجملها ثلاث:

* **فقد جاءت الاستمارة الأولى** موجهة إلى الأسرة، حيث وزع جزء منها على أسر بالمدينة والجزء الآخر على أسر متواجدة بالريف، وذلك بهدف دراسة ما إذا كان للبيئة المحيطة، ونوع الثقافة، تأثير على محتوى الأحلام، كما جاءت من أجل التعرف على الدور الذي تلعبه هذه الظاهرة في كلتا الأسرتين، وما مدى الاعتقاد فيها.

* **أما الاستمارة الثانية** فقد خصصناها للطلاب الجامعيين، حيث قمنا بتوزيع الاستمارة في كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية على تخصصين وهما تخصص علم النفس وتخصص علوم الشريعة الإسلامية، وكان الهدف من ذلك هو معرفة إذا ما كان التخصص المدروس يؤثر على معنى الحلم عند صاحبه، كما قمنا من خلال الاستمارة بالتعرف على الدور الذي تلعبه هذ الأخيرة (أي الأحلام) عند كل تخصص، والفائدة منه.

* **أما الاستمارة الثالثة فقد** وجهناها للفئة العاملة، والتي اشتملت مختلف القطاعات المهنية من: معلمين وأستاذة بقطاع التربية والتعليم إلى أساتذة من التعليم العالي، ثم عمال إداريين بإحدى الشركات وقد اخترنا كمثال على ذلك الشركة الجزائرية للمياه بمنطقة أبو تشفين بتلمسان، كما وزعت الاستمارة على القطاع الصحي بالمستشفى الجامعي تلمسان، أين شملت مختلف المصلحات مثل مصلحة الأمراض الجلدية، وطب الأطفال، ومصلحة الأمراض النفسية وقسم الجراحة الطبية للأعصاب ... وتم توزيع هذه الاستمارة على أطباء وممرضي هذه المصالح المذكورة، وخصص جزء من الاستمارات إلى عمال بالمجال الديني مثل الأئمة والمريدين بالزوايا وبعض العاملين بمصلحة الشؤون الدينية والأوقاف.

أما جزء من هذه الاستمارة فقد وجه إلى العمال بالقطاع السياسي، حيث تزامنت فترة إنجاز بحثنا الميداني مع الحملة الإنتخابية التشريعية بالجزائر (10 ماي 2012) فقمنا بتوزيع هذه

الاستمارة على بعض ممثلي الأحزاب السياسية وبعض المشاركين في تفعيل هذه الحملات الإنتخابية ومنشطيها، كما قمنا بتوزيع جزء من هذه الاستمارة على القطاع العسكري.

وفي الأخير قمنا بنفس العمل على مختلف الأعمال الحرة وقد شملت عدة حرف مهنية كالحلاقة، والحدادة، والنجارة، والخياطة والتجارة ... وكان الهدف العام من وراء هذا العمل والذي شملت في عموميته مهن من مختلف المستويات والقطاعات هو التعرف على إذا ما كان الحلم محل اهتمام هذه الطبقات المهنية المتنوعة، كما سعينا إلى محاولة الكشف عما إذا كان للحلم علاقة بنوعية المهنة الممارسة من خلال ما يظهر من صور ورموز في أحلام هذه الفئة.

كما طلبنا من كل الأشخاص الموزع عليهم الاستمارة تدوين في آخرها (أي الاستمارة) حلمين يتم تذكرهما من طرف صاحب الاستمارة.

وعليه نشير في الأخير إلى أنه وزعت أكثر من 1000 استمارة، بمعدل 100 لكل فئة في هذا البحث، فمنهم من أرجع ومنهم ما لم يرجع وهو من الصعوبات التي لقيناها في هذا المجال.

1- ثقافة الحلم في الوسط الأسري:

الفصل بين المدينة والريف لا نقصد به تصنيفا عنصريا، إنما أساسه افتراضي اذ أن الثقافة في المدينة هي ثقافة حضرية، باعتبار أن الفرد أصبح ينتمي إلى الوسط الصناعي ودخل في دواليب الثقافة المادية.

أما الثقافة الريفية إن صح القول، هي ثقافة فلاحيين، باعتبار أن هذه الشريحة تنتشر بقوة في الريف، وهي حاملة للفكر الميثولوجي والأسطوري ، فالذهنية الفلاحية لم تتخلص إلى يومنا هذا من التفكير في العجيب والغريب والخرافي.

وقد قمنا بتوزيع الاستمارة على 100 أسرة ريفية ومثيلتها في المدينة، أين وظفنا فيها مجموعة من الأسئلة الضابطة لمفهوم الحلم والتي تعكس لنا من جهة ماذا يعني الحلم في نظرها، ومن جهة أخرى للتعرف على نوع الثقافة التي يحملها هؤلاء تجاه هذه الظاهرة ومدى الاعتقاد فيها وقصد إثراء هذه الأفكار والتعمق فيها ندرج الجدول التالي الذي يترجم معنى الحلم في الأسرة بنوعيها:

-أ **معنى الحلم في الأسر**:

الجدول رقم 1: يمثل معنى الحلم في الأسرة.

الإقامة / معنى الحلم	المدينة		الريف	
تعريف ديني	20	%20	40	%40
تعريف علمي	70	%70	10	%10
تعريف شعبي	10	%10	50	%50

لقد جاء الجدول الأول لدراسة ماهية الأحلام في تفكير الأسر التلمسانية بصفة عامة أكانت ريفية أم مدنية ، وقد تنوعت التعاريف من خلال الإجابة على الأسئلة المطروحة في الاستمارة حيث مثلت نسبة 70% من العينة المدروسة في المدينة التعريف العلمي للحلم، والتي اعتبرتها كلها ظاهرة نفسية، أو مخلفات وبقايا أحداث اليوم، وكل ما لا يستطيع الفرد الإفصاح عنه أو تحقيقه في حياته اليومية.

وقد يرجع ارتفاع هذه النسبة عند العينة المدروسة في المدينة إلى وعيها بهذه الظاهرة، ووظيفتها، لكن هذا لا يعني أنها تمتلك آليات التحليل النفسي للأحلام، وما التمسناه من خلال الإجابات هو أن الثقافة التلفزيونية أصبحت تلعب دو كبيرا في تفسير الأحلام، وتوضيح بعض المفاهيم والرموز الخاصة به، وقد دونت في آخر بعض الاستمارات بعض الأحلام وتفسيراتها، أين أشاروا في ذلك إلى مصدر التفسير، والذي كان في بعضها قنوات تلفزيونية.

ثم يليه التفسير الديني والذي مثل نسبة 20% من العينة المدروسة، أين أشاروا إلى تعاريف تحمل دلالات دينية، كاعتبارهم الحلم من الله عز وجل، قد يكون سار كما قد يكون ضار، ويمكن تفسيره وتأويله على حسب أهميته، وهي نسبة مرتفعة مقارنة مع التعريف الشعبي الذي بلغ 10%، وقد يرجع ذلك إلى ان المجتمع الجزائري بصفة عامة والمجتمع التلمساني بصفة خاصة حامل للثقافة الدنية التي تشكل أحد أهم معتقداته.

وفي المقابل ارتفعت نسبة التعريفات الشعبية بـ 50% عند الأسرة الريفية والتي مثلت الشريحة الاجتماعية الشعبية الحاملة للثقافة التقليدية، وتالتها نسبة 40% من التعريفات الدينية للحلم، وهذه النسبة تعتبر مرتفعة مقارنة بالتعريفات العلمية التي مثلت نسبة 10% فقط، وذلك قد يعود إلى أن الأسر الريفية في المجتمع التلمساني ترجع في الكثير من الأحيان أثناء تأويلها للحلم إلى العادات والتقاليد الضاربة بجدورها في أعماق المجتمع، والتي تلتقي في أحيانا كثيرة بالتفسيرات الدينية على اعتبار أن الدين يشكل أحد الركائز الأساسية في تكوين ثقافتنا المحلية، وبصفة عامة يشكل هذا الأخير نقطة تأثير بالغة الأهمية على المعتقدات والاتجاهات النفسية لذى مختلف الطبقات الاجتماعية باختلاف مستوياتها الثقافية.

ب – دور الحلم في الأسرة:

الجدول رقم 2: يمثل دور الحلم في الأسرة الريفية:

الأسرة الريفية	نعم	%	لا	%

دور الحلم في الأسرة				
هل تحكي أحلامك	82	%82	18	%18
هل يوجد في الأسرة من يفسر الأحلام.	50	%50	50	%50
خل تتذكر أحلامك طويلا	50	%50	50	%50
هل تهتم أسرتك بالأحلام	85	%85	15	%15

الجدول رقم 3: يمثل دور الحلم في الأسرة المدنية:

الأسرة المدنية / دور الحلم في الأسرة	نعم	%	لا	%
هل تحكي أحلامك	80	%80	20	%20
هل يوجد في الأسرة من يفسر الأحلام.	50	%50	50	%50
خل تتذكر أحلامك طويلا	60	%60	40	%40
هل تهتم أسرتك بالأحلام	65	%65	35	%35

يتضح لنا من خلال الجدولين (2، 3) اللذين يجمعان مدى اهتمام الأسر سواء كانت ريفية أو مدنية بظاهرة الأحلام وتفسيرها وتذكرها طويلا أنه بصفة عامة إذا ما امتلكت الأسرة شخص يحسن التفسير، وفك الرموز، أو كان ذلك في المحيط الاجتماعي القريب من الفرد، فإن ذلك يؤثر على سلوكه تجاه ما يراه في نومه ويعينه على سرد أحلامه وقصها، فحوالي 82% من الأشخاص الذين تواجدوا بأسر ريفية، و 80% من الأفراد المتواجدين بأسر مدنية يقصون أحلامهم، ونفس النسبة نلاحظها مرتفعة عند العائلات التي تولي اهتمام كبير بالأحلام.

وهذا يعني أن الأسر التي تهتم بالأحلام وتفسيرها، تساعد الفرد على حكايتها، والتكلم عنها بصفة مستمرة. وهذا الاهتمام يلعب دور كبيرا وأساسيا في تذكرها طويلا، فحوالي 50%

من كلا الأسرتين الريفية والمدنية يحافظون على تذكر الأحلام طويلا، وهذا الأمر الذي يقودنا بالجزم إلى أن الأشخاص الدين يميلون إلى تذكر أحلامهم، هم أنفسهم الذين يقصونها بأنفسهم ويولونها اهتمام كبير، تبعا لامتلاك شخص من أسرتهم أو أحد قريبا منهم لفن تفسير تلك الأحلام وحسن فكها وتأويلها.

ونخلص في الأخير إلى أن هناك ثقافات محفزة في الأسر على الاهتمام بالأحلام تولد داخل الإنسان ميلا نفسيا واجتماعيا نحو قصها وتأويلها والتصديق بها، أو العمل بنصائحها.

ج - محتوى الحلم في الأسرة:

الجدول رقم 4: يمثل محتوى الحلم في الأسرة الريفية:

الأسرة الريفية / محتوى الأحلام	نعم	%	لا	%
هل له علاقة بالنشاط اليومي	60	%60	40	%40
هل هو تخفيض لبعض المشاكل اليومية	20	%20	80	%80
هل يساهم في حل بعض مشاكل الأسرة	00	%00	100	%100
له علاقة بأمور زوجية	50	%50	50	%50
انعكاسا لحوار الأنا مع الآخر	80	%80	20	%20
له علاقة بأمور دينية أو قيمة خلقية	58	%58	42	%42

الجدول رقم 5: يمثل محتوى الحلم في الأسرة المدنية:

الأسرة الريفية / محتوى الأحلام	نعم	%	لا	%
هل له علاقة بالنشاط اليومي	90	%90	10	%10

هل هو تخفي لبعض المشاكل اليومية	70	%70	30	%30
هل يساهم في حل بعض مشاكل الأسرة	30	%30	70	%70
له علاقة بأمور زوجية	62	%62	38	%38
انعكاسا لحوار الأنا مع الآخر	72	%72	28	%28
له علاقة بأمور دينية أو قيمة خلقية	68	%68	32	%32

الهدف من الأسئلة الموجودة في الجدولين (4، 5) هو التعرف على محتوى أحلام الأسر سواء كانت مدنية أو ريفية، ومن تم يمكننا الكشف عن اهتمامات كل فئة عن طريق طبيعة أحلامهم، باعتبار أن هذه الأخيرة مرآة تعكس لنا حياة أصحابها من كل الجوانب.

فمن خلال النتائج المتحصل عليها توحي لنا نسبة 60% من "نعم" للأحلام علاقة بالنشاط اليومي بالنسبة للأسرة الريفية ونسبة 90% عند الأسرة المدنية، أن ما الحلم إلا انعكاس لأحداث يومية وكل ما يجش بالنفس في حياة اليقظة يعاد تركيبه في شكل أحلام أثناء النوم، وكثيرا ما يكون للأحداث التي تسبق النوم دور كبير في تركيب صور ورموز الحلم.

أما نسبة مساهمة الحلم في حل وخفض بعض التوترات والمشاكل اليومية، فقد ارتفع عند الأسر المدنية، وذلك ناتج عن الضغط اليومي الذي تعاني منه هذه العوائل، مقارنة مع الأسر الريفية التي كانت نسبة عدم الاعتماد عليها بـ 100% لا.

وهنا لا نقول أن الأسر الريفية لا تعاني من مشاكل لكن طبيعة عيشها تخفض من التوتر النفسي مقارنة مع يوميات الأسرة المدنية، وما تم التوصل إليه من خلال هذه الاستمارة بعد تفريغها في الجدولين السابقين، أن محتوى الحلم في الأسر كثيرا ما يرتبط بالأمور التي تدور بين أفرادها، أو بالخصوص بين الزوجين من أمور عالقة ومشاكل وصراعات وحتى طموحات، وآمال، وهذه الأمور تشكل صراع بين الأنا والآخر.

أي بين الزوجين أو بين أفراد الأسرة أو حتى بين الأسر ككل، وهو ما يعكس ظهور قيم لها علاقة بأمور دينية أو خلفية في صور الأحلام.

وهذا ما سجلناه من خلال النسب المبينة في الجدولين أعلاه المتعلقة بالأسئلة الموجهة لهم، فقد مثلت نسبة 62% من الأسر المدنية ونسبة 50% من الأسر الريفية ما للحلم من علاقة بالأمور الزوجية وارتفعت النسبة أكثر عند كلا الأسرتين (بـ 72% في الأسرة المدنية و80% في الأسرة الريفية) لمحتوى الحلم الذي يمثل كل ما يدور بين الأنا والآخر، وهي نفس الملاحظة التي سجلناها عما يظهر من رموز في الأحلام وما لها من علاقة بأمور دينية أو أي قيمة خلقية.

د- تنبؤات الأحلام في الأسر:

الجدول رقم (6): يمثل مدى قدرة الأفراد على التنبؤ بالأحلام في الأسرة الريفية:

الأسرة الريفية / التنبؤ في الأحلام بـ	نعم	%	لا	%
التعيين في إحدى الوظائف	1	%1	99	%99
التنبؤ بالزواج	50	%50	50	%50
بجنس المولود	48	%48	52	%52
أداء فريضة الحج	42	%42	58	%58
حدوث مرض	80	%80	20	%20
وقوع موت	68	%68	32	%32

الجدول رقم (7): يمثل مدى قدرة الأفراد على التنبؤ بالأحلام في الأسرة المدنية:

الأسرة المدنية / التنبؤ في الأحلام بـ	نعم	%	لا	%
التعيين في إحدى الوظائف	40	%40	60	%60
التنبؤ بالزواج	46	%46	54	%54

بجنس المولود	40	%40	60	%60
أداء فريضة الحج	50	%50	50	%50
حدوث مرض	78	%78	22	%22
وقوع موت	85	%85	15	%15

نشير في بداية التحليل إلى أننا اعتمدنا على تقديم قراءة مقارنة للجدولين ، مركزين في ذلك على النسب المرتفعة بقوة أو المنخفضة بشدة، وذلك بحكم التقارب في النسب في كلا الجدولين.

فإذا كان الريفي لا يفكر في الوظيفة لأن عمله مرتبط بالأرض، وهو لا يحتاج إلى وظيفة إدارية، أو ما يشبه ذلك، بل هو بحاجة إلى أمطار وزرع وأدوات فلاحية، إذن ارتباطه النفسي لا يكون بطبيعة الحال بالوظيفة إنما بالإنتاج لذا جاءت النسبة 1% من الأحلام فقط التي تمثل التعيين في إحدى الوظائف.

والسؤال الموجه من خلال أسر المدينة التي أجابت بنسبة فاقت النصف: بـ 60% بعدم التنبؤ بواسطة الأحلام بوظيفة معينة هو لماذا ارتفعت هذه النسبة رغم ارتفاع نسبة البطالة في المدينة، ومعانات العديد من أرباب الأسر وأفرادها بالمدينة من عدم وجود مهنة دائمة وثابتة.

إن الملاحظ على أسر المدينة هو أن نوع الوظيفة لا تمثل له أهمية كبيرة بقدر ما يهتم بكمية الدخل، بحيث أن مصدر العيش عند بعض العائلات يتم عن طريق وظائف غير رسمية وعشوائية للحصول على المال كالبيع في الشوارع، وسيارات الأجرة غير الرسمية، والعمل في المحلات بدون رخصة أو المقاهي والمطاعم والحمامات، ومراقبة السيارات المتوقفة وحراستها،... وهنا نلاحظ أن الوظيفة ونوعها لا تمثل عند سكان المدانة مشكلا، لأن هذا المجتمع تميز بظهور عشوائية وكثرة في الوظائف الغير رسمية والتي في كل الأحوال هي أداة للعيش.

أما الملاحظ على النسب التي سجلت لدى العينتين من الأسر فيما يخص التنبؤ بالزواج أو جنس المولود، أو أداء فريضة الحج، فحضورها عند كلتا الأسرتين متوسط في عموميته، وذلك لأنه ببساطة مرتبط بعامل الزمن، أي مرة واحدة تقريبا في العمر، فمثلا الذهاب إلى بيت الله

قد يكون مرة واحدة في العمر ومثله كذلك الزواج، أما جنس المولود فإن الثقافة المعاصرة لم تعد تهتم بذلك لأنه ببساطة هناك أجهزة متطورة تقوم بذلك وقليلا ما يكون الحلم أداة الكشف عن هذا الأخير.

أما حدوث المرض ووقوع الموت فيعتبران هاجس كل فرد في المدينة والريف وبالخصوص في هذا الزمن الذي كثرت فه الأمراض وتعددت، كظهور الأمراض الخبيثة وتنوعها، وانتشار بعض الأمراض المزمنة التي أصبحت تسمى بأمراض العصر كالداء السكري وضغط الدم، وأمراض القلب، والكولسترول والحساسية والربو ... وغيرها من الأمراض التي أصبحت تمثل اهتمام كل فرد من أفراد هذه الأسر، حتى أن البعض أصبح مرتبطا ارتباطا نفسيا وفكريا بالمرض وتوقع الموت، وما ارتفاع هذه النسب الممثلة في الجدول إلا ذليل على ذلك، فقد بلغت نسبة رؤية أحداث تتعلق بالمرض كتنبؤ مستقبلي بحدوثه أو وقوعه وثبوته بـ 80% بالأسر الريفية و 78% بالأسر المدنية، ونفس الارتفاع مسجل عند الأسر الريفية بخصوص التنبؤ بظاهرة الموت لأحد الأشخاص حيث مثلت نسبة 68% وعند الأسر المدنية والتي سجلت 85%.

2- ثقافة الحلم في الوسط الجامعي:

لقد سعت الباحثة من خلال هذا العنصر إلى توظيف مجموعة من الأسئلة على شكل استمارة مخصصة لفئة معينة من مجتمع البحث وهي فئة الطلاب الجامعيين ، وقد قامت الباحثة باختيار تخصصين لهذا الغرض وهو تخصص علم النفس وتخصص الشريعة الإسلامية، وقد سعينا في ذلك على توزيع هذه الاستمارة بالتساوي على كلا التخصصين بحيث وزعت 100 استمارة على طلبة علم النفس ومثيلتها على طلبة الشريعة الإسلامية وحرصنا على أن يكون العدد متساوي بين الذكور والإناث في كلا التخصصين، وكان الغرض الرئيسي من هذا العمل هو محاولة معرفة هل التخصص المرغوب فيه له تأثير على اتجاهات الناس ومفاهيمهم نحو مختلف

الظواهر والتي من بينها الأحلام، وفيما يكمن الاختلاف بين التخصصين في تفسيرهم لهذه الظاهرة.

-أ – دراسة متغير الجنس والتخصص:

الجدول رقم 1: يمثل متغير الجنس والتخصص:

عامل الجنس / عامل التخصص	ذكور	%	إناث	%
طلبة علم النفس	40	%44,44	50	%55,55
طلية الشريعة الإسلامية	40	%57,14	30	%42,85

يبين لنا الجدول رقم -1- أن نسبة الإناث ارتفعت في تخصص علم النفس فقد بلغت 55,55% مقارنة مع الذكور من نفس التخصص بـ 44,44% وقد يعكس لنا هذا الرقم من جهة مدى اهتمام الإناث بتخصص علم النفس، ومن جهة أخرى مدى اهتمام النساء بظاهرة الحلم، حيث يشكل هذا الأخير لها محور بالغا الأهمية سواء من خلال حديثها عن محتوى الحلم في حد ذاته أو عن رموزه والجانب الغامض منه ومدى سعيها إلى اكتشاف أسراره من خلال تفكيك صور الحلم.

أما الملاحظ على طلبة العلوم الشرعية فقد ارتفعت نسبة الذكور على الإناث حيث بلغت نسبة الذكور 57,14% مقارنة مع فئة الإناث التي قدرت بـ 42,85%، وقد نفسر هذا الارتفاع في نسبة الذكور عن الإناث من هذا التخصص إلى الآفاق المهنية التي يطمح إليها كل طالب في الميدان (الإمامة).

وما يهمنا من هذا الجدول هو التخصص المدروس في حد ذاته، وليس الفروقات الجنسية أو السنية، لأن الهدف من هذه الاستمارة هو قياس مدى تأثير التخصص المدروس على ترجمة المعطيات، وتحديد طبيعة ونوع الرؤيا تجاه هذه الظاهرة.

كما نشير في الأخير إلى أن عامل السن ينحصر عند العينتين المدروستين ما بين 20 إلى 39 سنة.

-ب – دراسة معنى الحلم في الوسط الجامعي:

الجدول رقم 2: يمثل معنى الحلم في كلا التخصصين:

معنى الحلم / التخصص	تعريف ديني	%	تعريف علمي	%	تعريف شعبي	%
طلبة علم النفس	30	%33,33	60	%66,66	00	%0
طلبة الشريعة الإسلامية	40	%57 ,14	20	%28,57	10	%14,28

الجدول رقم 2 يعكس لنا ما للتخصصين من سلطة على تحليل المحتويات وإن كان الكثير لا يعترف بسلطته، إلا أنه في الواقع، الإنسان دوما يعود إلى الجزئيات التي حصّلها في الدراسة لكي يحلل ويناقش ويعرف ما يحيط به.

وبالنسبة لتعريف الحلم في الوسط الجامعي فإن طلبة علم النفس بلغ تعريفهم العلمي بـ 66,66% على الرغم من أن من هذه الفئة المدروسة من يعيش في الوسط الريفي، إلا أنه مادام أن هذه الاستمارة قد قدمت له في الجامعة، فإنه قد غلب العلم في تحليلهم عن الشعبي.

وبطبيعة الحال لم يستثني المرجعيات الدينية لما لها من سلطة على شخصيته المتدينة.

أما طلبة علوم الشريعة فكانت إيجاباتهم فيها نوع من التوازي مع ترجيحهم للتعريف الديني وغلبته حيث مثلت نسبته بـ 57,14% مقارنة مع التعريف العلمي بـ 28,57%، وذلك راجع إلى اعتمادهم على المرجعيات الدينية في تعريفهم لمعنى الحلم.

لكن الملاحظ على التعاريف المذكورة في الاستمارة أنهم أكثر وعيا بموضوع الأحلام، وذلك قد نرجعه إلى تعاملهم مع التفاسير التي قدمت ترجمة للآيات التي ورد فيها مصطلح الحلم أو الرؤيا.

-ج – فائدة ودور الأحلام في الوسط الجامعي:

الجدول رقم 03: يمثل فائدة الأحلام ودورها عند طلبة علم النفس:

طلبة علم النفس / فائدة الأحلام ودورها	نعم	%	لا	%

توجهات غيبية	20	%22 ,22	70	%77,77
تنبؤات مستقبلية	60	%66,66	30	%33,33
ترفع من المعنويات	84	%93,33	6	%6,66
تعرفنا على أنفسنا أكثر	50	%55,55	40	%44,44
تعرفنا على جوانب الضعف لدينا	20	%22,22	70	%77,77
لا تفيد في شيء	01	%1,11	89	%98,88
ليس لها معنى	00	%0	90	%100

يبين لنا الجدول رقم 03 أن هناك ميلا كبيرا من طرف طلبة علم النفس بعدم اعتبار أن للحلم دور في التوجهات الغيبية، فقد مثلت نسبة 77,77% من هذه الفئة التي لا تعتبرها كذلك، في حين تميل إلى اعتبار الحلم عبارة عن تنبؤات مستقبلية والتي شغلت مساحة 66,66% من النسبة العامة للعينة المدروسة والتي من خلالها اعتبروا أن الأحلام هي عبارة عن بوابة أو نافدة إلى المستقبل.

وإذا حاولنا أن نأخذ الأرقام التالية: 93,33% نعم والذي مثلت الأحلام التي ترفع من المعنويات ونسبة 55,55% نعم من الأحلام التي تعرفنا على أنفسنا أكثر، فهي أحلام مرتبطة بإشراقات مستقبلية مفرحة، وتدخل في إطار المنحنى الإيجابي للأحلام ودورها على مستوى شخصية كل فرد.

أما الأحلام التي تعرفنا على جوانب الضعف لدينا فقد تراجعت عند الطلبة مقارنة بالنتائج السابقة ، لاعتقادهم أن الأحلام مرتبطة بالأحداث ومستجداتها المستقبلية أكثر منها بالأحداث الماضية حيث بلغت نسبة رفضهم لذلك بـ 77,77% لا.

إلا أن الملاحظ على الجدول بوضوح أن اعتقادهم في الأحلام لا يزال مستمر إذ تشكل هذه الأخيرة جانبا مهما من ثقافتهم وحياتهم عامة، كما هو موضحا في الإجابة عن السؤال الذي يشمل أن الأحلام لا تفيد في شيء والتي بلغت نسبتها بـ 98,88% بلا والنسبة كاملة بلا (100%) عن أن للأحلام ليس لها معنى.

الجدول رقم 04: يمثل فائدة الأحلام ودورها عند طلبة الشريعة الإسلامية:

طلبة الشريعة الإسلامية / فائدة الأحلام ودورها	نعم	%	لا	%
توجهات غيبية	50	%71,42	20	%28,57
تنبؤات مستقبلية	60	%83,71	10	%14,28
ترفع من المعنويات	65	%92,85	5	%7,14
تعرفنا على أنفسنا أكثر	68	%97,14	2	%2,85
تعرفنا على جوانب الضعف لدينا	57	%81,43	13	%18,57
لا تفيد في شيء	20	%28,57	50	%71,42
ليس لها معنى	01	%1,42	69	%98,57

إن الملاحظ على الجدول عموما عند طلبة الشريعة الإسلامية أن نسبة "نعم" كانت مرتفعة في كل المتغيرات، ما عادا المتغيرين الأخيرين، وهذا إذا ما ذل فإنما يدل على أن الأحلام في عموميها لها مكانة بالغة الأهمية عند الإنسان المتدين، خصوصا في ارتباطها بالأمور الغيبية وما يخبئه لنا القدر بصفة عامة أما المتغيرين الأخيرين اللذان كان محورهما أن الأحلام لا تفيد في شيء وأن ليس لها أي معنى، فقد إرتفعت نسبة التعبير بلا والرفض لذلك، لأنه ببساطة هو تناقض مع ما سبق ذكره، وبالخصوص أن القصص القرآني أكد ما لهذه الأحلام والرؤى من وظيفة تربوية واجتماعية واقتصادية ودينية.

إن الأحلام يمكنها أن تشكل البناء الشخصي للفرد، فكثير هم الذين ارتبطت حياتهم بالأحلام في القرآن الكريم كسيدنا إسماعيل عليه السلام وسيدنا يوسف، فالرؤيا عند سيدنا يوسف عليه السلام مثلا شكلت محورا أساسيا في توجهاته وتنبؤاته ورفع معنوياته، وبتعريفه قدر نفسه، وتعريف الناس عليه. ببساطة إن الصديق يوسف تشكلت شخصيته من أحلام رآها أو رويت له ففسرها، بل أنقذ من التهلكة مصير أمه بكاملها، لذلك فإن هؤلاء الطلبة جاءت إجاباتهم قصدية موجهة بوضوح إلى وظيفة الحلم في حياة بني البشر.

-د - نوع الأحلام المحبب تفسيرها في الوسط الجامعي:

الجدول رقم 05: يمثل نوع الأحلام المحبب تفسيرها في تخصص علم النفس:

طلبة علم النفس / نوع الأحلام المحبب تفسيرها	نعم	%	لا	%
الأحلام المفرحة	90	%100	00	%0
الأحلام الغامضة	89	%98,88	01	%1,11
الأحلام الكابوسية	20	%22,22	70	%77,77
الأحلام القلقة	40	%44,44	50	%55,55
التي تتعلق بالأموات	40	%44,44	50	%55,55
التي تتعلق بأمر غيبي	60	%66,66	30	%33,33

التي تتعلق بأمر ديني	89	%98,88	01	%1,11
التي تتعلق بأمر مهني	03	%3,33	87	%96,66
التي تتعلق بأخذ القرارات	68	%75,55	22	%24,44

الجدول رقم 06: يمثل نوع الأحلام المحبب تفسيرها في تخصص الشريعة الإسلامية:

طلبة الشريعة الاسلامية / نوع الأحلام المحبب تفسيرها	نعم	%	لا	%
الأحلام المفرحة	64	%91,42	6	%8,57
الأحلام الغامضة	60	%85,71	10	%11,11
الأحلام الكابوسية	35	%50	35	%50
الأحلام القلقة	30	%42,85	40	%57,14
التي تتعلق بالأموات	10	%14,28	15	%21,42
التي تتعلق بأمر غيبي	69	%98,57	1	%1,42

التي تتعلق بأمر ديني	69	%98,57	1	%1,42
التي تتعلق بأمر مهني	1	%01,42	69	%98,57
التي تتعلق بأخذ القرارات	68	%98,57	2	%2,85

ملاحظة: هناك 45 إجابة ملغاة فيما يخص الأحلام التي تتعلق بالأموات عند طلبة الشريعة الإسلامية أي نسبة 64,28% وذلك لعدم إجابتهم لا بنعم ولا بلا.

يتضح لنا من خلال هذين الجدولين أن نوع الأحلام المحبب تفسيرها لا يعرف تباينا كبيرا عند كلا التخصصين، فالأحلام المفرحة سجلت ارتفاعا كبيرا عند طلبة علوم الشريعة الإسلامية الذي قدر بـ 91,42% وأكثر من ذلك عند طلبة علم النفس حيث أن العينة المبحوثة أجابت هنا كلها بنعم أي 100%.

وكتفسير لذلك يمكن القول إن هذا الموقف للتخصصين تجاه هذا النوع من الأحلام يساعدهم على فهم أنفسهم أكثر لاسيما عند طلبة علم النفس، وبصفة عامة هو فال حسن يعطي انطباعا جيدا لبداية يوم جديد.

ونفس الأمر بالنسبة لتفسير الأحلام الغامضة حيث يمكننا تفسير ارتفاع هذه النسبة بـ 98,88% عند طلبة علم النفس وبـ 85,71% عند طلبة العلوم الشرعية بمحاولة معرفة دوائهم أكثر، كما تمكنهم من التعرف على جوانب الضعف لديهم عن طريق بعض الرموز والصور الظاهرة في أحلامهم، فالأحلام الغامضة كثيرا ما يهتمون بها وبتفسيرها من أجل التعرف على بعض الغموضات التي تحتاج إلى تفسير أو البحث عن سبب ظهور هذا النوع من الأحلام، ونفس الشيء بالنسبة لطلبة العلوم الشرعية، أين تمثل لهم في بعض الأحيان الرموز المتداخلة والغامضة نقطة استفهام، خصوصا أن الأحلام أولاها الإسلام مكانة عالية ودعمها بالقرآن والسيرة النبوية، والتفسير بصفة عامة كثيرا ما يدخل عند كلا التخصصين من هذين البابين.

أما الملاحظ على الجدول بخصوص الأحلام الكابوسية والأحلام القلقة، والتي تتعلق بالأموات، فهناك نوع من الإحجام والتراجع في البحث عن تفسيرها، وذلك للحد من تأثيرها

المعروف، فكلا التخصصين يلاحظ عليه انخفاض في نسبة الإقبال على تفسير هذا النوع من الأحلام.

وما التمسناه من ذلك هو أن قص هذه الأحلام وتفسيرها يساعد على ظهورها وتحققها في الواقع، لذلك نجد في هذا الإطار الكثير من السلوكات التي ترافق الأشخاص في المعتقد الشعبي بعد ظهور هذا النوع من الأحلام لتغيير مسار الحلم المزعج ورد تأثيره السلبي، كقصه في المرحاض أو في مكان مهجور، أو قراءته في قليل من الملح ورميه وراء ظهره ... في المقابل نلاحظ ارتفاع نسبة تفسير الأحلام المتعلقة بأمر غيبي أو أمر ديني، أو المتعلقة بأخذ القرارات، عند كلا التخصصين، ولا غرابة غي ذلك، فالإنسان يهتم بالمستقبل ودائم الانشغال به، والاهتمام بهذا النوع من الأحلام وتأويلها كدلالات تنبؤية يدخل في هذا المضمار، ذلك أن الأحلام ترتبط بالمستقبل أكثر منها بالحاضر والماضي.

أما الانخفاض الواضح عند كلا التخصصين في تفسير الأحلام التي تتعلق بأمر مهني والتي حددت نسبة عند طلبة علم النفس بـ 3,33% وعند طلبة العلوم الشرعية بـ 1,42%، فما يمكن أن نقوله هنا كتفسير لذلك هو أن هذه الشريحة من الطلبة لا تهتم بتفسير هذا النوع من الأحلام ببساطة لأنهم مازالوا في طور الدراسة الجامعية ولم يتخرجوا بعد حتى ينشغل تفكيرهم بمصيرهم المهني، أو في نوع المهنة التي يزاولونها، أو لنقل أنه مشروع بعيد المدى بالنسبة لهؤلاء الطلبة مقارنة مع الأمور السابقة الذكر.

-هـ - طرق تفسير الأحلام في الوسط الجامعي:

الجدول رقم 6: يمثل طرق تفسير الأحلام عند كلا التخصصين:

نوع التفسير / التخصص	التفسير الشعبي		التفسير الديني		التفسير العلمي	
	التكرارات	%	التكرارات	%	التكرارات	%
طلبة علم النفس	04	%4,44	40	%44,44	46	%51,11
طلبة العلوم الشرعية	03	%4,28	66	%94,28	01	%1,42

إن النسب الموجودة بهذا الجدول تؤكد لنا حقيقة النسب التي عولجت في الجدول رقم 2 الذي يعالج معنى الحلم وماهيته عند الطلبة الجامعيين ، فقد غلبت نسبة اعتماد طلبة علم النفس في تفسير أحلامهم على التفسير العلمي والذي مثلته نسبة 51,11% مقارنة بالمجموع الكلي، ويعود ذلك إلى نوع الثقافة المكتسبة عبر هذا التخصص، خاصة وأنه في تخصص علم النفس الإكلينيكي كثيرا ما يعتمدون في تحلل الشخصيات على التحليل النفسي.

إلا أنه يلاحظ كذلك ارتفاع في نسبة التفسير الديني عند نفس الطلبة مقارنة مع التفسير الشعبي، ويعود ذلك إلى المرجعية الدينية التي يتميز بها مجتمع الدراسة ككل، وقد بينا سابقا ما مدى أهمية الدين في بناء سلوكات الأفراد وثقافتهم.

بالمقابل لوحظ ارتفاع كبير في التفسير الديني لطلبة العلوم الشرعية والذي بلغ نسبة 94,28% من المجموع الكلي للإجابات، وهذا لا يعود فقط لحكم التخصص على ذهنية صاحبه، وإنما يعود كذلك إلى أن الثقافة الجزائرية، هي جزء من الثقافة العربية الإسلامية التي يمثل الدين الإسلامي أحد أهم عقائد أفرادها ، ويساهم في تحديد وتشكيل سلوكات الأشخاص وتصرفاتهم واتجاهاتهم نحو مختلف القضايا، وتفسير الأحلام وتأويلها من بين هذه الأمور، خاصة وأن بعض الرموز المتواجدة في الكتب الدينية لتفسير الأحلام وفي القواميس لها سند من الكتاب والسنة وهذا ما يزيد من مصداقية الإقبال على هذا النوع من التفاسير في الوسط الطلابي عامة وفي هذا التخصص خاصة.

3- ثقافة الحلم في الوسط المهني:

لعل مما زاد في قناعة الباحثة في موضوع الأحلام أثناء اختيارها لهذا العنوان الفرعي، هو التعرف أكثر على رأي الناس باعتبار أن هذه الظاهرة يشترك فيها كل بني البشر وبالذات على رأي الفئة المثقفة ورأيها تجاه هذه الظاهرة، وقد مثلناها في مختلف المهن التي استطعنا الاتصال بها من شتى الميادين ابتداءا من الجامعة واساتذتها إلى المستشفى وأطبائه إلى الثكنة العسكرية وجنودها إلى السياسيين وبعض الحرفين والإداريين وبعض الأعمال الحرة ... وكان الهدف الأساسي من كل ذلك هو دراسة ما إذا كان للمهنة دور في ظهور بعض الأحلام عند أصحابها، وما مدى ارتباط أصحاب هذه الأحلام بحلمهم إذا ما كان يتعلق بمهنتهم.

لقد انتهت نتائج الدراسة الميدانية بعد تفريغ الاستمارة الموزعة على مختلف المهن المذكورة سابقا إلى العلاقة الوثيقة بين الأحلام والمهنة التي يمتهنها الحالم، كما التمسنا مدى ارتباط الأشخاص بأعمالهم وكل ما يحدث فيها وانعكاسها على أحلامهم، بحيث ومن خلال الأحلام التي دونت في آخر كل استمارة وجدنا أكثر من نصف الأحلام لها علاقة مباشرة للحالم بمهنته، وإذا تكلمنا بلغة الرقم، فقد وجدت الباحثة حوالي 300 حلم حول مهنة الحالم من أصل 900 استمارة وزعت على مختلف المهن أين أرجعت 550 استمارة فقط ،سوف يتم توضحها في الجدول اللاحق، وهذا إنما يدل على مدى الارتباط النفسي للعامل بمهنته وانعكاسه على محتوى حلمه.

-أ – معنى الحلم في الوسط المهني:

الجدول رقم 1: يمثل معنى الحلم عند مختلف الأوساط المهنية:

ثقافة الحلم ومعناه في الأوساط المهنية	التفسير الشعبي		التفسير الديني		التفسير العلمي	
	التكرارات	%	التكرارات	%	التكرارات	%
التربية والتعليم: (70 استمارة)	40	%57,14	20	%28,57	10	%14,20
التعليم العالي: (120 استمارة)	60	%50	40	%33,33	20	%16,66
أعمال وإدارة: (60 استمارة)	30	%50	20	%33,33	10	%16,66
القطاع الصحي: (80 استمارة)	70	%87,5	10	%12,5	00	%0
المجال الديني: (20 استمارة)	02	%10	18	%90	00	%0
المجال السياسي: (50 استمارة)	10	%20	10	%20	30	%60
المجال العسكري: (110 استمارة)	20	%18,18	30	%27,27	60	%54,54
أعمال حرة: (40 استمارة)	05	%12,5	15	%37,5	20	%50

كثيرا ما تعكس الأحلام طبيعة صاحبها وانشغالاته، والمهنة تشغل حيزا كبيرا من اهتماماتنا، وهذا الانشغال كثيرا ما ينعكس في أحلامنا إذ أن العامل ينقل السلوكات الإيجابية والسلبية التي

تصادفه في العمل إلى المجتمع والأسرة ... هذا ما يوحي لنا أن الثقافة المؤسساتية لها أثرها الكبير على سلوك العمال، أين يترك هذا الأخير أثره كذلك على نفسية صاحبه وكثيرا ما ينعكس حتى في نومه على أحلامه، وهو ما التمسناه من خلال تفريقنا للاستمارات الموزعة على مختلف الفئات العمالية وطبيعة رؤيتها للأحلام حيث يظهر في الجدول الأول نسب متفاوتة وآراء متباينة لمعنى الحلم عند صاحبه، فنسبة 57,14% التي تمثل عمال التربية ونسبة 50% التي تمثل قطاع التعليم العالي ونفس النسبة عند فئة عمال الإدارة، و87,5% كنسبة سجلها القطاع الصحي، هي نسب اتفقت على اعتبار الحلم ظاهرة مرتبطة بمختلف التغيرات التي تحدث على مستوى الجهاز النفسي، أو التغيرات التي تصاحب المواقف السابقة للنوم أو كل ما يحدث في اليوم وكل الانشغالات التي تبقى عالقة في اليوم يتم استكمالها واستكمال مجريات أحداثها في العقل الباطن لتظهر في شكل صور ورموز وأحلام متنوعة ومواقف متعددة.

هذه المواقف التي سجلت من طرف الفئات العمالية السابقة الذكر هي عبارة عن تحليلات مختلفة لكيفية ظهور الحلم عند صاحبه والتي مثلت كلها التعريف النفسي للحلم، حيث التمسنا من خلال ذلك أن ذهنية هؤلاء العمال في مختلف تخصصاتهم تربط الحلم بكل ما يحدث لهم من تغيرات على المستوى المهني أو النفسي أو كل ما يستجد من أحداث إلا ويترك أثرا على عقلهم الباطن الذي يعيد تركيب الأحداث من جديد في شكل أحلام.

وقد نلاحظ من خلال الجدول كذلك ارتفاع بعض النسب كالمجال السياسي الذي بلغ 60% والمجال العسكري الذي حدد بـ 54,54% إضافة إلى قطاع الأعمال الحرة الدي يقدر بـ 50% والذي التمسنا من خلال تحليلهم لظاهرة الحلم انتمائهم إلى التعريف الشعبي البسيط للحلم، وهنا يمكننا ترجمة هذه الأرقام المسجلة عند هذه الفئة بطبيعة علاقة حياتهم المهنية بمختلف الأوساط الشعبية، فالعسكري على سبيل المثال مستواه التعليمي (نقصد الجندي) ينحصر حسب الاستمارة بين المتوسط والثانوي، كما أن مستواهم العمري لا يتعدى الثلاثين إلا البعض حسب الاستمارة بحكم أنهم ينخرطون في الجيش الشعبي ما بين 19 سنة و21 سنة مما يجعل مستواهم الثقافي تتغلب عليه الأصول الشعبية في ترجمة المعطيات والأحداث التي تدور في الحلم.

أما بالنسبة للسياسي والذي طغى على تعريفه لظاهرة الحلم التفسير والتعريف الشعبي هو أننا لاحظنا أثناء توزيعنا للاستمارة على هذه العينة والتي سبق الذكر أنها تزامنت مع الانتخابات التشريعية، الحضور القوي وعن كثب للفئات الشعبية المنخرطة في هذه الأحزاب، والتي تحضا بمكانة مرموقة أو بارزة في أوساطها الشعبية، لذلك مال التفسير الشعبي عند هذه الفئة إلى الارتفاع مقارنة مع التعريف العلمي والديني.

أما الأعمال الحرة فقد مثلت مختلف المهن والحرف التي لها احتكاك مباشر ويومي مع الطبقات الشعبية وهو ما يؤثر على نوعية ثقافتها ... هذا ما أذها إلى تغليب التفسير الشعبي على بقية التأويلات الأخرى.

إن التعريف الديني للحلم في كل المجالات بدت نسبه متقاربة كما هو موضح في الجدول وتحت النصف ما عادا المجال الديني والذي بلغت نسبة 90% كتعريف للحلم تعريفا دينيا، وهي نسبة منطقية بحكم أن هذه الأخيرة تستند في تفسيرها للحلم على القرآن والسنة النبوية وبعض المراجع الدينية كابن سرين و تفسير بن كثير، والنابلسي ... وذلك لطبيعة مهنتهم فجل الاستمارات التي قمنا بتوزيعها في هذا المجال قصدنا بها: فئة المريدين في الزوايا والطلبة بالمساجد، وبعض الأئمة إضافة إلى بعض أساتذة التعليم العالي في العلوم الشرعية بجامعة تلمسان والذين هم في الأصل أئمة ...

وما نستنتجه كخلاصة عامة من خلال تحليلنا لهذه الاستمارة ، أن مفهوم الحلم يتجه على حسب الاتجاه المهني للشخص ومرجعيته الثقافية، فإذا كان في القطاع الصحي مثلا يميل إلى التعريف العلمي، وإذا كان في القطاع الديني فالمرجعية الدينية تسيطر على أفكاره، أما إذا كان له احتكاك بالطبقات الشعبية أو يمثل طبقة في حد ذاتها فإن طبيعة تعريفه للحلم يتجه في هذا المضمار.

-ب- محتوى الحلم في الوسط المهني:

يمثل الجدول 2: مضامين الأحلام عند مختلف الفئات المهنية:

محتوى الأحلام الفئات المهنية	أحلام مفرحة				أحلام غامضة				أحلام مخيفة				أحلام قلقة				أحلام الموت				أحلام الغيب				الأحلام المتعلقة بأمر ديني				أحلام متعلقة بالمهنة				أحلام متعلقة بأخذ القرارات			
	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%
التربية والتعليم: (70 استمارة)	40	%57,40	30	%42,85	50	%71,42	20	%28,57	35	%50	35	%50	68	%97,17	2	%2,85	10	%14,28	60	%85,71	59	%84,28	11	%15,71	55	%78,57	15	%21,42	68	%97,14	2	%2,85	70	%100	00	%0
التعليم العالي: (120 استمارة)	80	%66,66	40	%33,33	115	%95,83	5	%4,61	50	%41,66	70	%58,33	90	%75	30	%25	45	%37,5	75	%62,5	60	%50	60	%50	97	%80,83	23	%19,16	90	%75	30	%25	25	%20,83	95	%79,16
أعمال وإدارة: (60 استمارة)	40	%66,66	20	%33,33	50	%83,33	10	%16,66	22	%36,66	38	%63,33	30	%50	30	%50	45	%75	15	%25	48	%80	12	%20	20	%33,33	40	%66,66	56	%93,33	4	%6,66	30	%50	30	%50

القطاع الصحي: (80 استمارة)	40	%50	40	%50	80	%100	00	%0	50	%62,5	30	%37,5	75	%93,75	5	%6,25	38	%47,5	42	%52,5	10	%12,5	70	%87,5	30	%37,5	50	%62,5	55	%68,75	25	%31,25	40	%50	40	%50
المجال الديني: (20 استمارة)	16	%80	4	%20	2	%10	18	%90	9	%45	11	%55	1	%5	19	%95	14	%70	6	%30	17	%85	3	%15	18	%90	2	%10	5	%25	15	%75	10	%50	10	%50
المجال السياسي: (50 استمارة)	10	%20	40	%80	35	%70	15	%30	23	%46	27	%54,0	40	%80	10	%20	6	%12	44	%88	25	%50	25	%50	14	%28	36	%72	47	%94	3	%6	18	%36	32	%64
المجال العسكري: (110 استمارة)	70	%63,63	40	%36,36	90	%81,81	20	%18,18	80	%72,72	30	%27,27	62	%56,36	48	%43,63	82	%74,54	28	%25,45	10	%9,09	100	%90,20	80	%72,72	30	%27,27	60	%54,54	50	%45,45	25	%22,72	85	%77,27
أعمال حرة: (40 استمارة)	20	%50	20	%50	2	%5	38	%95,0	01	%2,5	39	%97,5	27	%67,5	13	%32,5	12	%30	28	%70	15	%37,5	25	%62,5	35	%87,5	5	%12,5	32	%80	8	%20	10	%25	30	%75

من خلال ملاحظتنا العامة للجدول يمكننا الوقوف على بعض النتائج والملاحظات والتي يمكن الإشارة إليها في:

1- هناك اعتراف ضمني بالحلم في جميع التخصصات المذكورة في هذا الجدول حيث لاحظنا أن كل الطبقات العاملة أجابت سواء "بنعم" أو "لا" على الأسئلة التي تضمنتها الاستمارة، وهذا يعني أو يوحي لنا بأن عينة الدراسة الميدانية اتفقت بالإجماع على أن الحلم ظاهرة موجودة وتمثل اهتمامات جميع المستويات الثقافية.

2- اعتراف بأن الحلم يتحكم في السلوكات البشرية تبعا لكل تخصص. ففي الوسط المهني الحلم بصفة عامة وبالإجماع هو محل اهتمام الطبقات الشاغلة في المؤسسة.

الحلم يمثل نقطة تقاطع بين كل الفئات المهنية، فإذا أخذنا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر نسبة 66,66% من الأحلام المفرحة عند أساتذة التعليم العالي ونسبة 80% من نفس الأحلام عند المجال الديني ونسبة 63,63% في المجال العسكري، فهذه النسب التي مثلت الإجابة "بنعم" من نوع الأحلام المفرحة لدى عينة البحث، توحي لنا بمدى ارتباط الحلم بالحالة النفسية للعامل، حيث يمثل الفرح جزء من المتنفس النفسي، الذي من خلاله يتمكن الأفراد من الشعور بحالة الارتياح والطمأنينة وبناءا عليه يمكننا القول بأن مزاولة عملهم في جو مستقر وبإنتاج مرتفع يكون سبب هذه الحالة النفسية.

أما نسبة 80% مثلا في الإجابة بـ "لا" عند القطاع السياسي يعكس لنا حالة التوتر على المستوى النفسي الذي تعيشه هذه الطبقة بحكم مختلف الأحداث التي تدخل في يومياتها ومختلف المستجدات، وهذا راجع لطبيعة مهنتها.

3- الحلم بطبيعته يبدوا في صورته الأولية أنه غامض، وذلك لأنه يعتمد كما ذكرنا سابقا في تعريفاتنا للحلم أنه يقوم على أساس مجموعة من الرموز والصور والأحداث التي تستلزم التوضيح والتبسيط لمعانيها، لدى أشرنا سابقا في التفسير الشعبي للحلم من الفصل السابق إلى ضرورة تفسيره أو تحليله وتأويله ، سواء كان ذلك بالاتجاه إلى شخص حكيم أو شيخا كبيرا له خبرة في ذلك أو ... و هو ما يجعل كل الطبقات المهنية الأخرى كالطبيب والمهندس والحرفي وحتى النفساني تسعى لتوضيح هذه الصورة الغامضة في الحلم.

فنسبة 71,42% من نوع الأحلام الغامضة عند التربية والتعليم ونسبة 95,83% عند قطاع التعليم العالي و83,33% عند العمال الإداريين و100% عن القطاع الصحي، ونسبة 70% عند السياسيين و81,81% عند القطاع العسكري، تشير إلى أن الغموض يكتنف معظم الفئات المهنية إن لم نقل كل العينات المبحوثة تقريبا، وكلما زادت وارتفعت النسبة التي تشمل أحداث غامضة لدى فئة معينة فذلك يعكس لنا قمة التوتر التي تصادفه هذه الشريحة المبحوثة في ميدان عملها.

فنسبة 100% والتي سجلها القطاع الصحي والتي تشكل أحداث وأحلام غامضة لدى هذه الفئة، وهنا نشير إلى أن استمارة البحث وزعت على مختلف التخصصات الطبية بالمستشفى والتي من بينها قسم الجراحة – ب – والأمراض الجلدية، وقسم طب الأطفال والعيادة النفسية ... فهذه النسبة تعكس لنا قمة التوتر النفسي والإرهاق العصبي الذي يعانيه ممتهني هذا القطاع لحساسيته وتعامله مع مختلف الحالات المرضية ولما يتطلبه هذا القطاع من دقة وحكمة واحتياط ووقاية من الأمراض(خاصة المعدية كبعض الأمراض الجلدية) وطريقة علاجها ... والتي لا ينتهي تأثيرها عليهم بانتهاء ساعات العمل وإنما ينتقل تأثيرها إلى اللاوعي ويظهر في شكل أحلام، أحلام قلقة وغامضة ومخيفة، حيث التمسنا من خلال الجدول نفس الارتفاع في النسب فقد سجلت نسبة 62,5% من الأحلام المخيفة في هذا القطاع ونسبة 93,75% من الأحلام القلقة أو المقلقة، وهذا ما يؤكد لنا بصفة عامة مدى تأثير نوع المهنة على محتوى أحلام الحالم. ونفس الملاحظة شهدناها على القطاع السياسي والعسكري.

4- أما ما لوحظ على الجدول من خلال النسب المسجلة بالأحلام المتعلقة بالموت فقد تساوت بين "نعم" و "لا"، وهذا قد يكون مرده إلى أن الإنسان في كل الأحوال يفكر بلحظة فنائه، وإن كانت سلوكات الأفراد هي مضطربة اتجاه فكرة الموت والتي تعني لهم الفناء أو الانتقال من العيش الدنيوي إلى القبر ثم البعث والحساب، إلا أن فكرة الموت أو أحداث الموت في الأحلام لا تتفق مع مفهومها في اليقظة، فإن كانت في اليقظة تعني له الفناء والانتقال إلى عالم آخر، فهي معناها في الحلم حسب مختلف التفسيرات سواء كانت

دينية أو علمية أو شعبية تعني بداية حياة جديدة والانتقال من مرحلة إلى مرحلة، وقد ذكرنا مثالا على ذلك في الفصل السابق، إلاّ أن ذلك لا يتفق مع ذهنية الحالم في اليقظة فالحلم بأحداث الموت في عموميتها تمثل نقطة خوف ورعب شديد لصاحبه مهما كان مستواه الثقافي والمهني والعلمي، رغم أنه يعترف في كل الأحوال على أن مصير كل فرد مهما طال هو الفناء.

5- من جهة أخرى توضح لنا مختلف النسب التي سجلت في أحلام الغيب، مدى ارتباط هذه الأخيرة بالممارسة الاجتماعية في ذهنية المبحوثين على اختلاف أوساطهم بالتصور الديني، الذي يرى فيها (أي الأحلام) أنها رسائل غيبية تربط العالم المادي بالعالم المجرد، وهو ما تؤكده أعلى نسبة والخاصة بالمجال الديني، والذي مثل نسبة 85% من بروز وظهور أحلام من نوع التنبؤ بما قد يحدث في المستقبل.

إن هذا الرقم يؤكد تصور هذه الفئة أي "فئة القطاع الديني" على أن الأحلام أو كما يعتبرونها – عبارة عن رؤى– تشمل رسائل غيبية يجب فكها وفهمها لحصر معناها وتوضيحه، ثم بعد ذلك السعي للعمل بمحتواها ... وهذا يترجم صدق الفائدة الاجتماعية الكبرى للأحلام، فالفرد بتبنيه هذا النوع من التفكير والاعتقاد، فهو يتبنى من جهة أخرى ما يترتب على ذلك من سلوكات وممارسات تنبعث من هذا الأمان الذي هو في نفس الوقت يستلهم شرعيته وقدسيته من الدين.

نفس النتيجة نجدها في قطاع التربية والتعليم، حيث مثلت نسبة الأحلام المتعلقة بالغيب حوالي 84,28% وهنا نشير أنه عند توزيعنا لاستمارة البحث وجدنا العينة تقريبا عبارة عن إناث أو بمعنى آخر أن المؤسسات التربوية التي قصدناها وجدنا نسبة المعلمات والأستاذات يفقن أكثر من النصف نسبة الذكور، وهذه النسبة المسجلة أعلاه إنما تدل على أن الجانب النسوي يطغى عليه التفكير الغيبي، أو من جهة أخرى يمكن إرجاع ذلك إلى أن فئة النسوة على اختلاف ثقافتهن تعتقدن في الأمور الغيبية أكثر من الذكور.

وإذا ما قارنا النسبة السابقة عند التربية والتعليم بالنسب التالية :

فعند القطاع الصحي سجل نسبة 87,5% بالإجابة بلا من نوع الأحلام المرتبطة بالغيب ونسبة 90,20% من عدم ظهور الأحلام من هذا النوع في حياة العسكرين، فارتفاع هذه النسبة عند هذين القطاعين إنما يدل على أن المؤهلات المهنية لكليهما تدفعهما إلى طمس فكرة الغيبي والتعامل مع المادة والعالم المادي، وهو جزء من يوميات هذه الفئات.

كما أن هذين القطاعين يقومان على تحليل أعمالهم وأحلامهم على ما هو كائن وليس على ما سوف يكون.

إن نسبة 50% من "نعم" ونفس النسبة من "لا" عند السياسي تفسر من جهة اعتقاده فيما هو غيبي وفي نفس الوقت تفسر عدم التصريح وإظهار هذا الاعتقاد الداخلي إلى الطبقات الشعبية وهو ما عكسته لنا النسبة 72% من "لا" في الإجابة على السؤال المتعلق بهل يتم ظهور أحلام تتعلق بأمر ديني لديك ؟.

إن الثقافة السياسية لا تسمح له بالاعتراف بالعالم الغيبي أو الثقافة الأسطورية التي يعتقد فيها العوام.

وبالتالي يترجم عقلانية الساسة بالرفض لأنه لا يريد إظهار هذه الثقافة الميثولوجية.

لكن ورغم ذاك الرفض السطحي أو الظاهري، إلا أنه ومن خلال الملاحظات الميدانية ومن خلال مطالعة كل الأحلام المدونة في نهاية كل استمارة خاصة هذه الفئة، فإننا نلاحظ مدى بروز هذا النمط من الثقافة في شخصية السياسي وبالخصوص في هذه الفترة الزمنية أي في الألفينيات، وهو ما يؤكد لنا أن السياسي بصفة عامة في الجزائر يحاول أن يخفي ويحجب حقيقته أمام الطبقات الشعبية حتى يحقق بعده السياسي.

6- سجلت الأحلام المتعلقة بالأمور المهنية حضورا عند مختلف الفئات المبحوثة، بل سجلنا نسب مرتفعة تقريبا عند القطاعات والفئات المهنية، خاصة الأعمال الحرة والتي وصلت إلى حد 80% من ظهور أمور تتعلق بأعمال هذه الفئة في حالة النوم واستمراريتها، ذلك أن المسائل المهنية تشغل فكر صاحبها في اليقظة وتستمر إلى حالة النوم لتظهر في شكل أحلام، وكلما زادت انشغالاته المهنية كلما زادت الصور والرموز الخاصة بها وانعكست على محتوى أحلامه. فنسبة 97,14% من الأحلام المتعلقة بالأمور المهنية والتي سجلها قطاع

التربية والتعليم يعكس لنا مدى حساسية هذا القطاع، ومدى تعرض هذه الفئة من العمال إلى ضغوطات مهنية والتي لا يقتصر أثرها ووجودها على الجهاز النفسي خلال اليوم فقط وأثناء العمل، وإنما يستمر ذلك الضغط وتلك الأجواء النفسية إلى حالة ما بعد النوم، وهنا نلاحظ على الأحلام المدونة في آخر الاستمارة أنها كلها تحتوي على مشاهد وصور تعكس لنا التوترات والضغوطات التي يصادفونها مع التلاميذ أثناء اليوم، أو لها علاقة بالنقاط أو بالنزاعات والشجارات التي تحدث لهم مع أولياء التلاميذ، حتى أنه في إحدى الاستمارات وجدت عبارة: "كل ما أقوم به في اليوم أكرره وأعيده في حالة النوم". وهو ربما ما يفسر لنا ظهور نسبة كاملة من الإجابة على السؤال - هل تساعدك الأحلام على أخذ القرارات- حيث سجلت 100% نعم. أين فوجئنا حقيقة بهذه النسبة عند هذه الفئة التي تعتمد وتستعمل الأحلام كجزء من قراراتها المتخذة.

إن هذه النسبة وهذه النتيجة المسجلة عند هذه الفئة المهنية تعكس لنا الحالة النفسية والضغوطات المستمرة، وعدم الاستقرار النفسي والفكري لدى فئات التربية والتعليم، حيث أن الكثير من قراراتها غير مستقرة نظرا لتعاملها مع فئة عمرية حساسة من المجتمع وهي فئة المراهقة، وكل الإجراءات المتعلقة بهذه الفئة من التلاميذ تبقى محل النزاعات لذلك يجدون في الأحلام ما يعينهم على أخذ القرارات أو تركها والتراجع عنها.

في المقابل بروز ارتفاع نسبة - لا- عند بقية القطاعات بعدم الاستعانة بهذه الظاهرة في اتخاذ قرارات معينة، وهذا ما يعكس لنا أن اتخاذ القرار عند مختلف الفئات المهنية ما عدا القطاع السابق يستدعي تفكير عميق ووعي كامل وقلّما يكون للأحلام دور في ذلك.

4 - خلاصة عامة

لقد سمحت لنا الدراسة التي قمنا بها في هذا الفصل سواء من خلال تحليل ثقافة الحلم في الوسط الأسري عن طريق الاستمارة المخصصة لذلك، أو من خلال تحليل ثقافة الحلم في الوسط الجامعي أو بصفة عامة في الوسط المهني إلى الوصول لعدة نتائج والإجابة عن

مختلف التساؤلات التي كانت تكتنف تفكيرنا قبل الشروع في هذا العمل الميداني، وقد خلصنا إلى بعض النتائج والتي نذكر أهمها:

إن الحلم كظاهرة يعيشها كل الأفراد هو حقيقة حاضرة وممثلة لدى كل الطبقات الاجتماعية وبمختلف مستوياتها الثقافية والتعليمية، إلاّ أن نسب الاعتقاد فيها والعمل بما يظهر فيها قد يختلف من فئة إلى أخرى، بل يرتفع إلى القمة عند فئة وينزل إلى الأدنى عند فئة أخرى، وذلك حسب الخليفة الثقافية والتركيبية الفكرية والخصوصية الاجتماعية التي تحملها فئة عن أخرى.

فالأسرة الريفية مثلا لها خصوصياتها الثقافية ولاسيما عند فئة النسوة التي تختلف عنها الأسرة المدنية، وهذه الأخيرة لها خصوصياتها واهتماماتها وانشغالاتها، ولكن كلا الحالتين لا يمكنها أن تنكر مدى مساهمة هذه الأخيرة (أي الأحلام) في حل الكثير من المشاكل والتنفيس عن الكثير من الضغوطات.

الاهتمام بالمستقبل ومحالات الكشف عن الأمور الغيبية موجود في جميع الممارسات الاجتماعية المختلفة والاهتمام بالأحلام وتأويلها كدلالات تنبؤية والاعتقاد فيها يدخل في هذا المضمار، إلا أن هذه السلوكات قد نجدها مرتفعة في مجتمع بحث عن آخر فمثلا سجلت حضورا كبيرا عند الأسر، باختلافاتها وحتى عند الطلبة الجامعيين باختلاف تخصصاتهم، كما لاحظنا تفاوت النسب عند مختلف المهنيين بين الارتفاع والانخفاض، إلا أنه رغم ذلك سجل حضورا واضحا.

وبصفة عامة إن الأحلام تعتبر ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها جميع البشر من مختلف الأعمار وباختلافاتهم الجنسية والاجتماعية والثقافية، وهي في مجتمع البحث تعكس لنا بصفة عامة كل الاهتمامات التي ينشغل بها التفكير، وكل المشكلات التي تواجه الفرد سواء في أسرته أو في دراسته أو في مهنته ، بل كل أنشطة حياته اليومية وهي تمثل الثقافة السائدة، وتؤدي وظيفة أساسية وهي التخفيف والتخفيض من الآثار الناتجة عن المشكلات السائدة، وتكرس مختلف المعتقدات والقيم الدينية والثقافية والمعايير والأنماط السائدة.



الفصل السادس:
الوظيفة الدينية والنفسية للأحلام
(دراسة ميدانية)

الفصل السادس: الوظيفة الدينية والنفسية للأحلام.
- دراسة ميدانية -

1- وظيفة الحلم في مجال العبادة

2- محتوى أحلام المسنين

3 – محتوى أحلام جامعيين متفوقين دراسيا

4 – محتوى أحلام حالات من النساء المطلقات

5 – محتوى أحلام بعض الاضطرابات النفسية

أ – حالات تعاني من الاكتئاب النفسي

أولا – أحلام نساء يعانين من الاكتئاب وهن في سن اليأس

ثانيا – محتوى أحلام رجال يعانون من الاكتئاب

ثالثا –محتوى أحلام طلاب جامعيين يعانون من الاكتئاب النفسي

ب – خلاصة عامة للحالات المدروسة

6 – تحليل النتائج العامة للبحث

7 – الخاتمة

8 - توصيات

1- **وظيفة الحلم في مجال العبادة:**

عندما نتكلم عن هذه الوظيفة أي وظيفة الحلم في مجال العبادة فإننا نستعمل مصطلح الرؤيا وإن كان كلا منهما (الأحلام والرؤى) يحدث في النوم إلا أن الرؤيا اسم للمحبوب فلذلك تنضاف إلى الله سبحانه وتعالى والحلم اسم للمكروه ينضاف إلى الشيطان لقوله صلى الله عليه وسلم ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان)).

ومما روي في الفرق بين الرؤى والأحلام، روي أن عمر بن الخطاب سأل أصحابه عن الرؤيتين إحداهما حق والأخرى أضغاث، فأجابه علي كرم الله وجه: "إن في ابن آدم روحين فإذا نام خرجت روح فأتت الحميم والصديق والبعيد والقريب فما كان منها عن ملكوت السماوات فهي الرؤيا الصادقة وما كان منها في الهواء فهي الأضغاث، وأما الروح الأخرى فللنفس والقلب.

وهي إما صادقة أو غير صادقة، وكثيرا ما تكون رؤيا المؤمن صادقة وحق كما قال سيد الخلق عليه الصلاة وسلام (رؤيا المؤمن حق وهي جزء من ستة وأربعين جزء م النبوة)" [1]

فالفرق هو من حيث المدلول لكل منهما، فالأحلام تطلق على ما يراه النائم مما قد يتحقق أو لا يتحقق وهي لعامة الناس فجميعهم عرضة لمشاهدة هذه الأحلام، بينما تطلق الرؤيا على ما يتحقق منها، والتي تتمثل أحيانا في رؤى الصالحين، ودائما في رؤى الأنبياء، فجميعها رؤى صادقة لأن قلوبهم لا تنام بينما عيونهم تنام، قال المهلب" فالصالح قد يرى الأضغاث ولكنه نادرا لقلة تمكن الشيطان منهم، وبخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم، قال: فالناس على هذا ثلاث درجات: الأنبياء ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير، والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير.

وما عداهم يقع من رؤياهم الصدق والأضغاث "[2].

---

[1] – محمد بن سرين، تفسير الأحلام، علي شهاب الدين (المقدمة)، دار مكتبة مصر الفجالة، الطبعة الأولى سنة 1999، ص03.

[2] – فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ص379.

ونحن في هذا العنصر سوف نتحدث عن النوعين الأولين، وبالتركيز على النوع الثاني أي رؤيا الصالحين أما النوع الثالث وهي التي تكون من النفس والقلب فقد تحدثنا عنها في كل الفصول وخاصة فيما يتعلق بعلاقة الظروف النفسية والثقافية المحيطة بظهورها لذا سوف نحاول أن نحللها عند صنف آخر من البشر وهم الأنبياء والصالحون.

1- **رؤى الأنبياء والرسل**:

لو تتبعنا الرؤى في القرآن الكريم لوجدنا أنها على وجهين فإما أنها رؤيا نبي، أو أنها رؤيا فسرها نبي، وأهم هذه الرؤى التي وردت في القرآن الكريم هي لسيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا يوسف وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن الملاحظ أن الأنبياء لم يطلبوا تفسيرا لرؤياهم بل آتاهم الله الرؤيا وزادهم الحكمة في التأويل.

فالرؤيا **عند سيدنا إبراهيم** جاءته بعد أن يئس من إيمان قومه وهجرهم وخرج إلى الله مسلما نفسه ودينه له { وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ } [1] ودعا دعوته { رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ } [2]، فاستجاب له ربه { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } [3]، هذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام، وقد رزقه الله هذا الولد وهو ابن العمر ستة وثمانين سنة، وبعد أن كبر الغلام وإشتد عوده وأصبح يعتمد عليه جاءت الرؤيا إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } [4].

هذه الرؤيا لإبراهيم عليه السلام اكتنزها القرآن الكريم في جزء من آية في حين ارتبطت بعدة آيات سابقة وآيات أخرى لاحقة.

فإذا ما فككنا هذه الرؤيا لوجدنا:

---

[1] سورة الصافات، الآية 99.

[2] سورة الصافات، الآية 100.

[3] سورة الصافات، الآية 101.

[4] سورة الصافات، الآية 102.

- أن الله يأمر بواسطة رؤيا، إبراهيم يستجيب ثم يخبر ابنه، إسماعيل يتلقى فيستجيب للنداء وينفذ، وهنا نخلص إلى أن:

الرؤيا لها علاقة بما قبلها من أحداث وما بعدها، عند الأنبياء **ففيما يخص علاقتها بما قبلها:** فقد حدثت مجموعة من الآيات لسيدنا إبراهيم مثل معجزة النجاة من النار والتي من بعدها توجه إلى الله بقلبه { وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ } ثم دعا ربه أن يرزقه الولد { رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ } فمنّ الله عليه بأن رزقه إسماعيل { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } هذا الغلام أخذ يكبر سنا ويكبر في عين والده ولم يكن له غيره، أي الابن الوحيد لسيدنا إبراهيم في ذلك الوقت لتأتي الرؤيا هنا من الله كامتحان لسيدنا إبراهيم عن مدى طاعته ومدى امتثاله لأمر الله.

أما فيما يخص بعلاقتها بما بعدها: فقد رأينا في مشاهد متتالية الطاعة والامتثال من الأب وابنه { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ } [1] أي أدار رقبته عوض وجهه حتى لا يشفق عليه جاءت المعجزة الثالثة وهي مناداة الله له ممتدحا نجاحه في الاختبار وحسن تصديقه وصدقه { وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ }[2].

إن الحكمة في ذلك إلهية ، فتصديق إبراهيم دليل على خلق المسلم ولو كان على حساب أمر يكرهه، وهذه صفات الأنبياء وهذا الافتداء لسيدنا إسماعيل عليه السلام بالكبش كان بمثابة افتداء للبشرية بأسرها لذا نجد حتى من الشعوب الغير مسلمة تفتدي لأبنائها بالكبش، كما يحرص المسلمون على إختيار أفضل الأضحيات في يوم النحر لافتداء أفراد عائلتهم.

وكخلاصة أن الرؤيا عن الأنبياء لا زالت قائمة إلى أن تنفذ علا خلاف غيرهم.

* **أما الرؤيا عند سيدنا يوسف:** فهي تختلف عن سيدنا إبراهيم يقول تعالى { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

---

[1] - سورة الصافات، الآيات 103.

[2] - سورة الصافات، الآيات 104-107.

سَاجِدِينَ }[1]، فقد رأى يوسف عليه السلام وهو في الثانية عشر من عمره رؤيا فقصها على والده، ورغم أنه لم يطلب تفسيرها إلا أن يعقوب الأب النبي عرف ما وراء هذه الرؤيا، وما سوف يكون عليه ابنه من علم ونبوة وحكمة ولكن حذره أن يقص الرؤيا على إخوته.

ونطرح هنا سؤال، لماذا جاء التحذير مصرح به قبل التبشير؟ فبعد أن حذره رأى أنه عليه أن يطمئنه بأنه سيكون له شأن عظيم.

وهنا سبق التحذير التبشير لأن الأخذ بالأولى يضمن تحقيق الجزء الثاني.

فيعقوب عليه السلام عالم بنفسية أبنائه لذا طلب من يوسف ألا يقص رؤياه على إخوته لألا يتعرض لأذاهم بفعل الحسد والغيرة، ولأن كل ذي نعمة محسود، ثم بعدها طمأنه بأن سيكون له شأن عظيم حيث يجتبيه الله ويعلمه من تأويل الأحاديث قال أبو حيان:" فهم يعقوب من رؤيا يوسف أن الله تعالى سيبلغه مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه من حسد إخوته فنهاه أن يقص رؤياه عليهم" [2].

وبعد ذلك يتحقق تعبير يعقوب للرؤيا فيصبح بعد ذلك يوسف عالما في تعبير الرؤى المنامية وهي جزء من الأحاديث التي قال فيها { وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ }[3] كما اصطفاه الله تعالى بعد ذلك نبيا.

فإن كان التحقق قد استغرق سنين كثير ة حيث قيل" إنه كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة، وقيل ثمانون"[4] إلى أنه تحقق.

وهنا تكمن الحكمة، في الصبر الطويل حيث أن هذه الفضيلة شيء أساسي يتحلى بها الأنبياء والرسل والصالحون لأنهم أصحاب حق والصبر من مقوماتهم.

---

[1] – سورة يوسف، الآية 04.

[2] – محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، تفسير القرآن الكريم ،الجزء الثاني،دار مكتبة الهلال ، ص41.

[3] – سورة يوسف، الآية 06.

[4] – الزمخشري، الكشاف، الجزء الثاني، دار إحياء التراث العربي ، بيروت الطبعة الثالثة سنة 1986ص41.

إلا أن الرؤيا عند **النبي محمد صلى الله عليه وسلم** تختلف عن الرؤى السابقة قال تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا } [1]

ففي هذه الرؤيا قال البخاري عن ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله ليلة أسري به وليس برؤيا منام [2]، ففي هذا الموضع وهو الموضع الأول الذي أورد رؤيا النبي، يتعلق الأمر برؤية عين.

أما الموضع الثاني لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فقد وردت في قوله تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا } [3]

وهذه الرؤيا الثانية تختلف عن سابقتها بأنها لم ترد بنصها ولا بروايتها وإنما ذكرت في معرض التحقق والتنفيذ.

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة. فهذا ما ذكر في القرآن الكريم من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، أما ما أوردته السيرة النبوية الشريفة عن رؤى النبي صلى الله عليه وسلم فكانت كثيرة ، فقد أكرم الله عز وجل سيد خلقه بالرؤيا الصادقة التي ما إذ يراها عليه السلام حتى تأتي كفلق الصبح، كما ذكرت عنه رؤى كثيرة تعلقت بمصير الغزوات ، سواءا تعلق الأمر بهزيمة أو انتصار، كما روي عنه أنه روى أنه رأى عذاب عصاة الأمة، ومصير بعض الصحابة رضوان الله عليهم...

وقد اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله وصفاته وفي قربه من الله عز وجل واقتبسوا عنه الرؤيا كذلك ولعل من أروع مظاهر سمو

[1] – سورة الإسراء، الآية60.

[2] – محمد علي الصابوني، ج2، مرجع سبق ذكره ، ص166.

[3] – سورة الفتح، الآية 27.

أرواح صحابته رضوان الله عليهم ما حدث في رؤيا الأذان حيث يقول ابن هشام: " فما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار واستحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام، وتبرأ الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان، وقد كان رسول الله حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بدون دعوة، فهم رسول الله أن يجعل بوقا كبوق اليهود الذين يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة.

وبينما هم كذلك إذ رأى عبد الله بن زيد النداء، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مر في رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده، فقلت: يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟

قال وما تصنع به.

قال: قلت ندعو به للصلاة.

قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟

قال: قلت وما هو؟

قال: تقول:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله

حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة

حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله

فلما أخبر بها رسول الله قال: "إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فيؤذن بها، فإنه أندى منك صوتا"، فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته

فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه و يقول: يا نبي الله والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال صلى الله عليه وسلم فلله الحمد على ذلك" [1].

فهذه الرؤيا التي رآها عبد الله بن زيد وبعده عمر بن الخطاب، كانت من أروع ما رأى الصالحون بعد النبي صلى الله عليه وسلم، والتي ما زلنا نتبع ما جاء فيها، وإنما سموها كان بسمو أرواح صحابته رضوان الله عليهم، وفي باب السمو نذكر حادثة السيدة عائشة رضي الله عنها عندما دعت خالقها أن يبرئها عن طريق رؤيا، عندما رميت بما رميت به في حادثة الإفك ، فرفعت يداها إلى السماء راجية أن يرى نبي الله في نومه شيئا يكذب به ما اتهمت به، فقالت "فو الله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجي بثوبه، ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت وما باليت، قد عرفت أني بريئة، وأن الله عز وجل غير ظالمي...قالت ثم سرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شات، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك" [2].

ذكرنا هذه الحادثة لنشير إلى أهمية الرؤيا في حياة الصحابة والصحابيات خاصة إذا تواترت عن الرسول، لأنّ رؤيا الرسول وحي، وكانت السيدة عائشة لا ترى نفسها أهلا لأن ينزل فيها قرآن، ولكن الله رفع منزلتها بنزول آيات ترفع عنها تلك التهمة الخطيرة التي تتعلق بالعرض والشرف وخاصة إذا تعلق ذلك بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي العموم كان موقع الرؤيا كبيرا في الإسلام فقد اهتم بها النبي الكريم وصحابته رضوان الله تعالى عليهم والتابعين والصالحين، وقد ربط درجة صدق الرؤيا بدرجة صلاح الرائي، وسار على هذا النهج أولياء الله الصالحون والمتصوفة، إلا أن هذه الطائفة الأخيرة جعلت للرؤيا مكانة عالية في منظومة الظواهر، فالفكر الصوفي جعل من الرؤيا الصادقة على مرّ الأزمان واختلاف الأماكن حقيقة قوية وشديدة وفريدة من نوعها وقد تناولنا ذلك

---

[1] – ابن هشام، السيرة النبوية، الجزء الأول، طبعة مؤسسة دار القرآن ، سنة 1998 ، ص94,93.

[2] – د. علي العربي، " الرؤيا والمنام في القرآن والسنة"، دار عالم ا لكتب الحديث الأردن، ط1، سنة 2010، ص74.

في عنصر سابق عن حقيقة الرؤيا عند المتصوفة ، و سوف نحاول أن نعود هنا إلى هذه الحقيقة التي شغلت بالنا ، حيث اعتبرناها **ظاهرة نفسية خاصة** يعيشها المتصوف في تجربته هذه .

وفي هذا الاطار كانت لنا فرصة الالتقاء ببعض الأساتذة الجامعيين و بعض الباحثين والمتصوفة من خلال الملتقى الدولي الدي احتضنه قصر الثقافة بتلمسان ضمن برنامج تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية تحت عنوان :**طرق الايمان – التصوف –** و المنعقد بتاريخ 17،18،19، ديسمبر 2011م ،حيث عالج فيه المشاركون التجربة الصوفية و كيفية تعاملها مع الحقائق الكونية و القضايا الانسانية ، فحاولنا من خلال دالك أن نوجه بعض الأسئلة للمشاركين لفهم هذه الظاهرة عند هذه الفئة من المجتمع، كما حاولنا وعبر هذه المقابلة القصيرة أن نقف على بعض المصطلحات المستعملة في ذلك، وموقعها من القرآن والسنة، وقد وظفنا هذه المقابلات في شكل أسئلة وأجوبة كان مضمونها كالتالي:

سؤال: ما هي العلاقة الكامنة بين الإنسان الصوفي ورؤياه وكيف يؤولها؟

الجواب: يعد الإنسان الصوفي أو الصوفية بصفة عامة الرؤيا الصادقة وعلم تأويلها من جملة علوم النبوة الروحية التي يرثها الأولياء والصالحون حسب مراتبهم ودرجاتهم عند الله تعالى، وهو ما يعني أنه من علوم خاصة الخاصة، وليس من المتيسر على العوام، بل وحتى بعض الخاصة من المريدين، وغيرهم الخوض في حقائقه ودقائقه، إذ كل ما يقوله غيرهم ليس سوى حديث يدور حول ظاهر هذا العلم أو رسمه ليس إلا، وقد يقترب من الحقيقة وقد يبتعد عنها، ولكن في كل الأحوال ليس مستمدا من مشكاة النبوة، بل من مشكاة العقل أو النظر الفكري.

سؤال: إن المعرفة عند الصوفي تختلف عن المعرفة العلمية وعن التجربة في الأمور الحسية الملموسة في المختبرات العلمية، فما تعليقكم عن ذلك؟

الجواب: إن كانت المعرفة العلمية هي العلم الناتج عن التجربة العملية، وأعمال الفكر فإن التجربة الصوفية تعتبر المعرفة، العلم الذي يوصل إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق التقوى

والسلوك الروحي، الذي يكشف للعبد حقائق معروفة لذا الصوفية تجعلهم يتقربون من الله تعالى إلى أقصى درجات القرب والتي يعجز العقل عن إدراكها، وهي المتمثلة في الفناء بصحبته (الله) حيث تصبح فيه مدارك العبد وقواه الحسية فانية معدمة بحيث لا يبقى إلا نور الله عز وجل ووقتها تصبح هذه الذات لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تتحرك إلا بنور الله، وهم يستندون في ذلك بالحديث القدسي للنبي صلى الله عليه وسلم :{ إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنّه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته}[1].

بل يصبح يرى الأمور بنور الله عز وجل الذي لا تحده حدود ولا تحجبه الأشياء لقوله تعالى { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } [2]، وهذا يعني أن تجربة المعرفة الصوفية هي

تجربة روحية خارج حدود العقل المنطقي.

سؤال: من قبيل الرؤيا عند الصوفية ما تحدث بعضهم عنه بشأن الإسراء الروحي فما حقيقة أو طبيعة هذا الإسراء لديهم؟

جواب: نعم، هناك الكثير من الشيوخ المتصوفة الذين يذهبون إلى قول أن الله يُسري بأرواحهم في آفاق الأرض والسماء، فيشاهدون في هذا الإسراء حوارات تمثل معاني مجسدة وهناك يستلهمون منها ما شاء الله لهم وأذن به من المعرفة والحكمة، وفي هذا المقام يقول ابن عربي "...وأمّا الأولياء فلهم إسراءات روحانية برزخية يشاهدون فيها معان متجسدة في صورة محسوسة للخيال، يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصورة من المعاني"[3].

[1] – يمكن الرجوع إلى الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب" الرقاب"، دار الريان للتراث، سنة 1986، الحديث رقم 6021.

[2] –سورة النور الآية 35.

[3] –يمكن الرجوع إلى الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي في كتابه "فصوص الحكم"، دار الكتب العلمية سنة 2003 ، ص266.

سؤال: هناك أمر بالغ الأهمية عند الصوفية وهو تلازم الرؤيا لديهم بين النوم واليقظة، فكيف يكون ذلك؟

جواب: ما هو معروف عن الرؤيا عند العوام هو ما يراه النائم أثناء نومه ولكن للصوفية رأي آخر في هذا الشأن، فعالم الرؤيا عندهم غير محصور بحالة النوم فقط، بل في النوم واليقظة معا، وذلك حسبهم لمن وصل إلى مرتبة اليقظة وهذه المرتبة يكون فيها العبد في حضور دائم مع الله عز وجل، حيث لا يغفل ولا يسهوا طرفة عين عن الله تعالى، وهذا الامر يعني أن هذه الطائفة من المتصوفة ليلها كنهارها، ويقظتها كمنامها ورؤياها كرُؤْيَتِها.

وفي هذا المقام مثلا نجد حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني يصف أصحاب هذه المرتبة قائلا: " أهل اليقظة رأوا الله عز وجل بقلوبهم فاجتمع شتاتها...تتساقط الحجب بينهم وبينه، مُحيت المباني وبقيت المعاني فلم يبق سوى الحق عز وجل" [1].

كما يقول عنهم هذا الشيخ في نفس هذا المصدر: "...يرونه يقظة ومناما بأعين قلوبهم وصفاء أسرارهم ودوام يقظتهم" [2].

سؤال: هذه الرؤيا تتعلق بالعلاقة بين الصوفي وربه، وكثيرا ما قرأنا عن رؤية الصوفي شيخه في المنام، فكيف يكون التأويل في هذا المقام؟

جواب: في هذا النوع من الرؤيا هناك إظهار للرباط الوثيق الذي يجمع المريد بشيخه، وعليه هنا يصبح تأويل هذه الرؤيا من أهم واجبات مرشدي الصوفية قاطبة، وإن جاز لنا القول فإنها تمثل الركيزة والمحور الذي تقوم عليه الطريقة الصوفية. حيث تكون هنا العلاقة جد قوية و شديدة بين مشايخ الصوفية ومريديهم، حتى أن بعضهم زارهم النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ليشير عليهم بالشيخ الذي ينبغي أن يتبعونه كما قد يظهر أحد الأولياء الصاحون في المنام ليقوم بهذا الدور.

والمتتبع لهذه الأمور يجد أنها تتسلسل وتتواصل عبر الأجيال لاختيار المريد شيخه المناسب له.

[1] – يمكن الرجوع إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه:" الفتح الرباني والفيض الرحماني"، طبعة مصر ، سنة 1864 ص187.

[2] – يمكن الرجوع إلى نفس المصدر، ص182.

ومن قبيل ذلك ما روي عن الحاج عمر السنغالي: " الذي رأى مؤسس الطريقة التيجانية الشيخ، أحمد التيجاني، في المنام، وبعد أدائه فريضة الحج قبل دعوة شيخ الطريقة التيجانية في الحجاز ثم أصبح مريدا من مريديها "[1].

ولا تقتصر رؤيا الصوفية للقبول في الطريقة الصوفية على هذا المشهد، بل نقرأ في العديد من المؤلفات الصوفية عن المشهد الذي يرى فيه المريد وكأن شيخه يلبسه الثوب المرقع وغطاء الرأس المبارك.

ومنح الثوب المرقع في المنام يدل على انتقال البركة من المانح إلى الممنوح فالصوفي في هذه الحالة يعتمد من خلال رؤياه على التواصل والاستمرارية لأن انفصال الشيوخ عن طريق الموت عن مريديهم وشيوعهم ما هو إلا نوع من الانفصال المادي الظاهري الذي لا يعوق استمرار حدوث المقابلات والتلقي بهم.

خلاصة: لقد توصلت الباحثة من خلال هذ المقابلات وعن طريق هذه الأسئلة الموجهة إلى أهل التخصص من أساتذة جامعيين ومتصوفة إلى أن هناك فرق كبير بين رؤيا العوام من الناس ورؤيا الخواص من المتصوفة، وهذا الباب، باب الرؤيا عند المتصوفة وحقيقتها هو باب واسع جدا وفروعه كثيرة ومراتبه مختلفة، فهناك مثلا على غرار ما ذكر ، هناك التجلي، الذي يعد ضربا من ضروب الرؤيا، وأقسامه لا تعد ولا تحصى، وهناك الشهود...وجميع هذه المراتب تكشف لنا مدى عمق هذا العلم وخلفيته الروحية عند الصوفية، خاصة وأنه من العلوم البرزخية الرابطة عندهم بين الغيب والشهادة.

إن الرؤيا الصادقة عند المتصوفة الحقيقيين هي نوع خاص من النبوة الروحية على حسب اعتقادهم والتي يرها الأولياء والصالحون بحسب مراتبهم ودرجاتهم عند الله عز وجل، وهو ما يعني أنه من علوم خاصة الخاصة، وليس من المتيسر على العوام وحتى بعض الخاصة من المريدين وغيرهم الاطلاع عليه.

[1] – يمكن الرجوع في هذه الحادثة إلى: أنا ماري شيمل: "الأحلام وتعبيرها في الثقافة الإسلامية"، ترجمة حسام الدين جمال وآخرون، دار منشورات الجمل بغداد، ط1، 2005، ص259.

فقد كشفت لنا هذه الدراسة من خلال توضيح بعض المصطلحات والحقائق عند المتصوفة حقيقة هذا العلم حيث حدد لنا أهل التخصص بالضبط المرتبة الوجودية والمعرفية التي ينبع منها هذا العلم. بين الروحانية المحضة والمادية الصرفة، وتعاملوا معه بالملكات الباطنية التي تتناسب معه.

ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى الشيخ محمد الكسنزان من خلال تلخيصه أسرار هذا العلم في كتابه "الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي " و الذي كشف عبر دالك عن التلازم بين علم معرفة النفس و بين علم الرؤيا . و معنى هدا أن أسرار هدا العلم ورموزه متغيرة من شخص لآخر والسبيل إلى معرفتها هو من خلال معرفة النفس أولا، وهذا يتطلب خوض التجربة الصوفية التي تكشف للإنسان حقائق الحق والخلق معا وليس الرؤيا والأحلام فحسب [1].

2-محتوى أحلام المسنين:

في هذا العنصر قمنا بدراسة مقارنة بين أحلام المسنين الذين هم بمراكز الرعاية والفئة الثانية، دراسة محتوى أحلام مسنين ذو أسر طبيعية وذلك باستخدام المقابلة، كما تتمثل أهمية هذه الدراسة في محاولة معرفة هل البيئة التي يعيش فيها المسن سواء الطبيعية أو بدور الرعاية تؤثر على محتوى أحلام اصحابها وعلى بنائهم الشخصي والنفسي؟

ولإثراء هذا الموضوع قمنا بمقابلة والتي عبرها وجهنا مجموعة من الأسئلة لكلا العينتين كما قمنا بجمع عدد من أحلامهم والمقارنة بين محتواها.

[1] —د. نهرو الشيخ محمد الكسنزان الحسيني: "الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي"، مؤسسة دار القادري للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الاولى سنة 2008، ص39.

فلا شك أن الشيخوخة التي يجد فيها الفرد إشباعا ورعاية لشؤونه تعطي للمسن إحساسا بالطمأنينة المريحة في العالم الذي يحيط به بحيث يراه مكانا آمنا يعيش فيه، وليس مكانا باردا لا يهتم به ومن القواعد المتفق عليها في عالم الصحة النفسية، أن تحقيق هذه الأخيرة إنما يأتي من العلاقة الجيدة والوثيقة والمثمرة القائمة التي تربط الفرد بالآخرين المحيطين به، وأن أي حالة يحرم فيها المسن من هذه العلاقة تكون سببا في اضطرابه النفسي لذا رأت الباحثة أن تكون عينة الدراسة للمسنين بالمقارنة بين هاتين الفئتين.

فكانت المجموعة الاولى تمثل مسنات بملجأ العجزة أو دار العجزة بسيدي لحسن ببلدية تلمسان والذي فتح سنة 1974 وبه حاليا 18 امرأة و19 رجل، وهو رقم قابل للارتفاع والانخفاض ، وقمنا بأخذ عينة من المسنات وعددهن 10 يفقن السبعين من العمر ومثيلتهن من المسنات ، إنما يعشن بأسرهن الطبيعية.

حيث لا حظت الباحثة من خلال معايشة المسنات الآّتي يعشن بالملجأ والآّتي زادت المدة عن 15 يوم مدى الحرمان الذي تعاني منه المسنات من خلال البحث المستمر عن الحب والعطف، كما لاحظنا أنهن في حاجة إلى البيت ودفء الأسرة التي أصبحت أمنية تعبر عنها إحدى المسنات قائلة:" أنها تتمنى لو تعيش يوما واحدا في بيتها في ظل العلاقات الأسرية التي حرمت منها ثم بعدها تموت "، كما ذكرت أخرى" أنها تتذكر تلك الأيام التي كانت تنعم فيها بصحة جيدة وكانت تعد لزيارة أبنائها بثلاث أيام أو أربع من قبل "، وذكرت ثالثة " أنها لم تعد ترى أحلاما فهي في هذا المركز وفي تلك الركنة الهادئة تنتظر الموت لتستريح وتريح من حولها "... هكذا وجدت الباحثة هذه العينة التي تستحق الدراسة والاهتمام بالفعل. وعندما تقربنا أكثر [1]من خلال الزيارات المتتالية لهذا المركز لاحظنا بعض العلامات الظاهرة على هذه الفئة الخاصة من المسنات مقارنة بالمجموعة الثانية التي تعيش في أسر طبيعية والتي من بينها:

- ملاحظة: لقد تأثرت صاحبة البحث بهذه الفئة كثيرا لذا لم يتم كتابة ما أسفرت عليه المقابلات إلا بعد مرور 6 اشهر على المقابلة وذلك من أجل توخي الموضوعية في البحث العلمي.

* التقييم لأنفسهن كان سلبيا ودرجة العزلة الاجتماعية كانت جد واضحة، كما لاحظنا عدم وجود علاقة تربط المسنات بالمجتمع الذي يعشن فيه (دار العجزة) وأن من أهم الأمور التي تشغل بالهن هو المرض ووقت الفراغ الكبير.

* كما اتضح على المجموعة الأولى بروز علامات الاكتئاب النفسي وتوهم المرض وانخفاض روح المعنوية بحدة عند هذه الفئة مقارنة مع الفئة الثانية.

* وأهم ميزة لاحظناها على هذه العينة هو الشعور باليأس والعجز عن النظر إلى المستقبل بنظرة عادية ومتفائلة بالمقارنة مع المسنات الأخريات، وقد اعتبرن وجودهن في دور الرعاية هو نهاية المطاف ، وقد وظفت أو ذكرت عدة عبارات عن ذلك والتي سبق ذكر جزء منها.

أما عن محتوى أحلامهن فقد لاحظنا أنه يتميز بالفقر الشديد من حيث الرموز، كما أن العينة المدروسة بدار العجزة لاحظنا عليها عملية النسيان للأحلام الحديثة في حين هناك أحلام من نوع خاص مازالت ذاكرتهن تحتفظ بها رغم مرور عدة سنوات، وما التمسناه من خلال سردهن لنا هذه الأحلام أن محتواها الظاهر هو عبارة عن إسقاطات شخصية لما يأملن فيه أو هو عبارة عن حرمان عاطفي وعدم الشعور بالقيمة والحاجة إلى الحماية والرعاية.

وقد يعود هذا الفقر في المحتوى الظاهري للأحلام إلى أن هذا النوع من المسنات يتميزن بالانزواء والابتعاد عن الناس وقلة الانخراط في أوجه النشاطات المختلفة التي يشارك فيها بقية المسنات الأخريات التي يعشن في عائلتهن الطبيعية.

كما أن بعض الحالات تؤكد عدم رؤيتها للأحلام من فترة طويلة، وقد يعود ذلك لعامل النسيان بسبب تقدم السن، وإلى كذلك حرمانهن من العلاقات القرابية والعائلية التي كانت تشغل جزء كبيرا من نشاطهن واهتماماتهن اليومية وهذا ما أدى إلى شعورهن بعدم النفع نتيجة لفقرهن ولمكانتهن الاجتماعية...وهذا يؤدي بالضرورة إلى بروز بعض الاضطرابات النفسية والاجتماعية على هذه العينة المدروسة والتي سبق ذكرها، وما النسيان

الذي تأكّده هذه العينة لظاهرة الأحلام إلا دليلا على ذلك، بحيث أن هذه العينة ترفض الماضي وكل الأحداث المتعلقة به وما الاحلام إلا جزء من ذلك العا لم التي طويناه.

أما العينة الثانية من هذا البحث الميداني فهي خاصة بمسنات يعشن في عائلتهن الطبيعية أي مع ألادهن وأحفادهن، ومن خلال التقرب منهن لاحظنا أن هذه العينة تتميز بصفة عامة ببعض النشاط والحيوية المرتفع مقارنة مع العينة الأولى كما لاحظنا أنهن يعشن نوعا من حياة اللهو والمرح مع أحفادهن الصغار ويشاركن أسر أبنائهن في جميع المناسبات التي تجعل حياتهن أكثر نشاطا وحيوية بالمقارنة بالمجموعة الأولى، ومما هو ملاحظ عليهن أن مستوى التدين مرتفع لديهن بحيث أن مستوى أدائهن للعبادات والحفاظ على الصلوات وأداء الفرائض الأخرى والسنن هو أهم مميزات نشاطاتهن اليومية، وهذا ما أدى إلى ارتفاع مستوى الرضا عن حياتهن وإتاحة الفرصة للمشاركة في النشاطات العائلية.

أما عن أحلامهن فقد لاحظت الباحثة أن تذكرهن لبعض الأحلام يرتبط بالماضي أكثر منه بالحاضر بحيث تذكر لنا بعض المسنات أحلام يزيد ظهورها عن عشرين سنة وذلك لارتباطها بأحداث مهمة، كأداء فريضة الحج أو موت أحد الأقارب أو حادثة وقعت حقا، وهذا الارتباط بالحلم وتذكره طيلة هذه السنوات إنما يعود إلى اعتبارهن أنها عبارة عن رؤيا وليس حلم، رؤيا تنبأت فيها بحدوث أمر وقد وقع، وهذا ما جعلهن يتذكرن كل تفاصيله، أما الأحلام الحديثة فهي نادرا ما تتذكرها، وأما عن محتواها الظاهري فهو يرتبط ببعض أفراد عائلتهن كالأبناء والأحفاد وزوجات أبنائهن، إضافة إلى بعض توهمات المرض وبعض الشكاوي التي هي مستمدة أصلا من بعض التعقيدات الأسرية بين أبنائهن أو زوجاتهم، أما المحتوى الباطن لأحلامهن فهو بصفة عامة يتعلق بذات المسنات مثل الحالة الصحية وما يطرأ عليها من تغيرات بيولوجية وفيسيولوجية ومنها ما هو مرتبط بأحداث اجتماعية ونفسية ومعظم الرموز هي عبارة عن تعبيرات تتعلق بظروف المسنة المتغيرة كعضويتها في الأسرة وموقعها من الأقارب أو علاقاتها الاجتماعية.

وقد لاحظت الباحثة ظهور و بروز أحلام تتعلق بالصحة بشكل واضح عند هذه الفئة التي تعيش في أسرها الطبيعية مقارنة بظهور أحلام تتعلق بالعلاقات الاجتماعية

والأسرية عند الفئة التي تعيش في دور العجزة، وهذا يعود بصفة عامة إلى دور العامل النفسي والمحيط الاجتماعي والبدني في تشكيل نوعية الأحلام. ولأن الاحلام كثيرا ما تكون عبارة عن دوافع من جهة وجزء من العالم الخارجي وهي كثيرة الارتباط بحالات الوعي عند صاحبها فقد جاءت أحلامهن بصفة عامة ترتبط ارتباطا وثيقا بتصوراتهن وتخيلاتهن وبعض الدوافع والرغبات الكامنة في أعماق أنفسهن والمستمدة اصلا من حياة اليقظة.

فإذا كانت أحلام الفئات العمرية السابقة لمرحلة الشيخوخة خاصة عند النساء ترتبط بأحداث متنوعة وبالمستقبل وببعض القوى الغيبية وذلك لما لهذه الأخيرة (أي الأحلام) من قدرة على التنبؤ بطلسم المستقبل والكشف عن بعض الوقائع والأحداث، فإن الأحلام بالنسبة لهذه الفئة من المسنات تتعلق بماض مرير أو ماض جميل، وهي عبارة عن محاولة الاعتراف أو التوافق مع الوضع الذي تعيشه أو ترفضه، كما أنها عبارة عن صور وأحداث يكون بعضها جزء من الحقيقة والبعض الآخر جزء من المجاز.

ويحضرني في هذا المقام قول للمتنبي، وفيه يقول:

" آلة العيش صحة وشباب *** فإذا ولّيا عن المرء ولّى"

وقال البارودي رحمه الله:

آوَاهُ لو عَرَفَ الشَبَابُ *** وَآهٍ لَوْ قَدَّرَ المشِيبُ [1]

---

[1] –أحمد أمين، موسوعة الحضارة الإسلامية، فيض الخاطر، رقم 12، المجلد الثاني والعشرون، دار نوبليس للنشر والتوزيع، سنة 2006، ص50,48.

3- **محتوى أحلام جامعيين متفوقين دراسيا:**

هذه الدراسة تشمل أحلام طلاب جامعيين متفوقين دراسيا، تم اختيارهم عن طريق رؤساء الشعب بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية الذين أمدونا بنتائجهم المتفوقة، وعلى اثر ذلك قمنا بالاتصال بهذه العينة وإجراء مقابلة معها، وقد أسفرت نتائج تلك المقابلات على أن هذه الفئة لا تكترث كثيرا لموضوع الأحلام وأنها في كثير من الأحيان لا تتذكرها، إضافة إلى أنها لا تعاني من تكرارها، كما أن هذه الفئة ظاهر عليها الاهتمام بأحلام اليقظة أكثر من أحلام النوم، باعتبار انهم يسعون إلى تحقيق حلمهم عن طريق التفوق الدراسي الدائم، وما تم تدوينه من أحلام هي واضحة ولا تحتاج إلى قراءات عميقة، لأنها عبارة عن قراءة واضحة لما يجول في خاطرهم من أفكار وما يتمنون الوصول إليه ومن هذه الأمثلة نذكر الحلمين التاليين:

الحلم الأول: "حلمت في أيام مضت أنه طلب مني إنجاز بحث حول موضوع الإنترنت، ولما طلب مني تقديمه، وجدت نفسي أمام عدد كبير من الطلبة وصارت القاعة كبيرة، وبدأت بالشرح وكنت خائفا في البداية إلا أنه وفجأة وجدت نفسي أحمل جهاز mecro portable وبدأت بشرح عملي فيه وقد قمت بتوضيح للحضور كل طرق البحث وتقنياتها على الأنترنت وأهم النوافذ المساعدة على ذلك في البحث، وعندما انتهيت بدأ الحضور يطرح أسئلة وأنا أجيب بكل قوة ودافعية وشعرت بفخر شديد بذلك وكنت جد سعيد وأنا أجيب الطلبة عن تساؤلاتهم".

الحلم الثاني: "حلمت منذ مدة أنني خرجت من البيت، وإذا بي أجد طريقين أمامي، وكان عليّ أن أختار طريقا واحدا من بينهما، وبقيت مترددة في أخذ الطريق المناسب، إلى أن رأيت قطعة خبز كبيرة على الجهة اليمنى، فذهبت لأحملها من الأرض وواصلت في ذلك الطريق الذي كان به الخبز إلى أن وصلت إلى المدينة، حيث أن أول شيء قابلته عندما وصلت هو الجامعة".

الحلمين هنا صريحين والدلالات واضحة، وما يتمناه العقل الباطن يظهر في الحلم بدون تشويش، كما أن هذين الحلمين يحملان رسالة واضحة من خلال حسم الأمور والسيطرة عليها للوصول إلى نتيجة ترضي الذات قبل الآخر.

فالحلم الأول وهو لطالب متفوق ولديه مهارات جد عالية في مجال الأعلام الآلي، فيه إشارة واضحة إلى الميل للاجتماع بالآخرين، وعقد علاقات ناجحة معهم، وكذلك إشارة إلى امتلاك مهارات متفوقة في إيصال المعلومات، كما يشير الحلم من خلال بعض رموزه إلى امتلاك هذا الطالب مهارات قيادية ممتازة تجعله يستطيع العمل بنجاح وتفوق على الآخرين، عن طريق الثقة والاعتماد على الذات واتساع دائرة التأثير في الآخرين.

أما **الحلم الثاني** فقد ظهر فيه نوعا من الجدل والتردد والخوف من أخذ القرار بسبب غموض الصورة، ولكن في الأخير وقع الاختيار الصائب وتم الوصول إلى نتيجة، وهذا الحلم هو لطالبة في السنة أولى جامعي جذع مشترك، حيث ذكرت لنا من خلال المقابلة أنها وبعد نجاحها في شهادة البكالوريا، أرادت عائلتها تزويجها بقريب لها يقطن بفرنسا، إلا أنها رفضت، وفضلت مواصلة الدراسة في الجامعة، وأنها ترفض فكرة الزواج إطلاقا قبل إنهاء دراستها واشتغالها.

فجاء الحلم هنا انعكاس للظروف التي مرت بها هذه الطالبة، وتوضيح لنوع القرار الذي اتخذته.

ونشير إلى أن الطالبة جد متفائلة بهذا الحلم، وقد أعطاها دافعا قويا نحو التمسك بالهدف وأنها من المتفوقين والأوائل في دفعتها.

إننا نلاحظ بصفة عامة من خلال تلك المقابلات ومناقشة موضوع الأحلام عند هذه الفئة المتفوقة من الطلاب تختلف عن أحلام الطلاب الآخرين إلا أنه تميزت بمجموعة من الرموز لها علاقة بأهدافهم الواقعية كما أنه أشير في سياق الحديث مرات عديدة إلى موضوع أحلام اليقظة وخاصة تلك المرتبطة بالمستقبل والنجاح والإنجاز.

4-محتوى أحلام حالات من النساء المطلقات:

تقوم هذه الدراسة على أساس قياس العلاقة بين حلات تعيش مجموعة من الضغوطات والتوترات ، أين تعرضت لبعض الأزمات والصدامات الفجائية والتي كان لها أثر على بعض الجوانب الانفعالية للشخصية، وقد تميزت بخصوصية أحلامها ومدى تكرارها وتوتر محتواها.

فقمنا في هذا الإطار باختيار عينة تتكون من عشرة نساء مطلقات حديثا، حيث أربعة منهن يسكن بالريف، أما الستة الباقية فيقطن بالمدينة، وتم التعرف على هذه العينة بواسطة زملاء في مهنة المحاماة، والذين أفادونا بحالات خاصة من هذه النسوة اللاتي ساعدتنا في تحقيق فرضياتنا...وقد أسفرت نتائج المقابلة معهن إلى النتائج التالية:

إن المشكلات التي تعرضن إليهن والتي انتهت بالطلاق، كان لها أثر كبير على مسرى حياتهن، لا في حياة اليقظة وما يتعلق بالحياة اليومية والعادية لهن، ولكن حتى على نومهن، بحيث معظمهن تعاني من اضطراب النوم، وقلته، وفي حالة وقوعه تتخلله مجموعة من الأحلام المزعجة وفي أحيان أخرى كوابيس.

أين نجد محتوى أحلامهن يدور حول سرقة الأطفال أو فقدانهم، وكدا التعرض للملاحقة من طرف أشخاص مجهولين، وعدم القدرة على الجري، والصراخ، وظهور رمز السكين، وغيرها من الأحلام غير السارة والمقلقة لهن، وما تم ملاحظته على العينة المبحوثة، أن النساء المطلقات والمقيمات بالريف هن أكثر تأثرا بما يحدث من حولهن من أحداث، وكذا أحلامهن مزعجة مقارنة مع النساء المطلقات والمقيمات بالمدينة.

وقد يرجع ذلك لأسباب ثقافية، حيث أن الخصوصية الثقافية التي تميز سكان الريف تختلف عن الخصوصية الثقافية المدنية، كما أن المرأة الريفية هي اكثر اعتقادا في الحلم مقارنة مع مثيلتها في المدينة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وجدنا أن محتوى أحلام النساء المطلقات بالمدينة هو أكثر اضطرابا وتشوشا من حيث الرموز مقارنة مع المطلقة بالريف، وقد يعود هذا على حسب اعتقادنا إلى أن النساء المطلقات الموجودات بالريف معظمهن غير عاملات، ولا

يعانين من مشكل السكن، بحيث معظمهن بعد الطلاق يرجعن إلى مسقط رأسهن في خضم عائلتهن الأولى أي مع الأب والام ، وفي بعض الأحيان الإخوة، في حين أن المطلقات بالمدينة معظمهن عاملات، ولا يمتلكن سكن خاص. وهنا نشير إلى أن معاناة المرأة العاملة تزيد عن تلك التي تواجه غير العاملة، بخصوص مواظبتها على العمل ورعايتها لأطفالها وتحملها مسؤوليات البيت والنفقة على نفسها وأبنائها...كل هذه الظروف إضافة إلى مشكل الطلاق يؤثر سلبا على مجرى حياتهن اليومية وعلى اضطراب نومهن ومحتوى أحلامهن.

فالعينة الأولى (المطلقات من الريف) معظم محتوى أحلامهن ورموزها يدور حول الأبناء والأسرة وبعض المواقف الاجتماعية ، في حين تتميز أحلام العينة الثانية (المطلقات من المدينة) برموز مشوشة ومقلقة، وكثيرا ما تتعلق بالعمل وتسارع الأحداث في الأسرة والأبناء والعمل.

إن معظم الاحلام التي ذكرت لنا من طرف هذه العينة الأخيرة تحتوي على رموز تعكس لنا الظروف والمشاكل النفسية والاجتماعية التي تمر بها وحتى المهنية، بحكم عدم قدرتها على المواظبة على العمل بسبب هذا المشكل (الطلاق).

ومن بين الأحلام التي جمعناها عن هذه العينتين نذكر الحلمين التاليين:

* الحلم الأول وهو لسيدة مطلقة بالمدينة تبلغ من العمر 38 سنة لها طفلين، الأول يبلغ من العمر 8 سنوات أما الثاني فعمره 5 سنوات، وكلاهما في المدرسة، بحيث يدرس الطفل الاول في السنة الثالثة ابتدائي أما أخوه فمازال في السنة أولى تحضيري.

نشير قبل ذكر الحلم أن صاحبته تشغل منصب مُدرّسة بمركز التكوين المهني، تمتلك سكن إيجاري، ولها سيارة، حيث روت لنا هذه الحالة مجموعة من الاحلام والكوابيس نذكر منها:

الحلم الأول: "رأيت فيما يراه النائم وكأني دخلت إلى محل لأشتري بعض ما كان ينقصني في البيت، وتركت أولادي في السيارة، وأنا أبتاع سمعت صراخ أبنائي، وعندما خرجت وجدت رجلا قد سرقهما من السيارة ووضعهما في سيارته، وذهبت أجري واصرخ وأطلب

المساعدة، ولكن لم ساعدني أحد ولم أستطع سياقة سيارتي، ولم أجد المفاتيح فذهبت أجري وأصرخ حتى استيقظت".

ثم تضيف بعدما سألتها عن رأيها وماذا يعني لها هذا الحلم؟

أبوهم ! أبوهم يريد أخذهم مني.

إن هذا الحلم وإن كان مخيفا وكابوسا بالنسبة لهذه المطلقة إلا أنه لا يستدعي تفسيرا دقيقا لرموزه، فالحالة حقا تمتلك سيارة، وكثيرا ما تأخذ أطفالها معها لشراء ما ينقصها، كما أنها عانت في فترة طلاقها من زوجها مشكلة ذهاب أب أطفالها إلى المدرسة لرؤية أبنائه مرارا ، وهذا ما جعل الصورة تنعكس في أحلامها، بحيث أن القلق والخوف، والصراخ الذي انتهى بالاستيقاظ، إنما هو تابع للأسباب المقلقة والظروف القاسية التي تمر بها هذه المرأة والضغوطات والتوترات التي لها علاقة مباشرة بحالتها النفسية وأحوالها الشخصية.

أما الحلم الثاني، فتقول فيه "لقد كنت وحدي مع أولادي، وبينما أنا أقوم بأعمال البيت في المطبخ، وجدت امرأة معي، فخفت منها، وسألتها عما تفعله هنا، فقالت لي: أنا هنا لآخذ أولادك، نعم سوف آخذهم منك، فرميت بسرعة ما كان بيدي، وبحثت عن سكين وعندما وجدته وذهبت لإخراجها من البيت بحثت عنها ولم أجدها فاستيقظت على إثر هذا المشهد، وذهبت مباشرة لأحتضن أولادي وهم نيام، وبكيت كثيرا من شدة الخوف، حتى أنني صليت ركعتين وحمدت الله على أنه فقط حلم".

فرغم أن التفسير الديني لهذا الحلم هو نذير بالتفاؤل لأن المرأة التي تدخل البيت تدل على دخول السرور والأفراح وأخذها للأولاد يدل على أخذها للهموم حسب تفسير ابن سيرين ، فالأولاد هم رمز الشقاء والمتاعب والهموم في الأحلام، إلا أن المرأة الحالمة لهذا الحلم مرتبطة بالتفسير الظاهر لمحتوى الحلم، أي صورة المرأة التي تأخذ أبناءها منها ومشاعرها اتجاهها، وهنا نشير إلى أن أسباب طلاقها من زوجها هو تعرضها للخيانة الزوجية مع واحدة أخرى، كما أن الحالة تضيف أن زوجها لم يكن يعمل، وكان مؤخرا يأخذ منها نصف راتبها تقريبا ويذهب.

وإذا حاولنا أن نربط هذه الظروف بالحلم، فالحلم هنا يمكن تقسيمه إلى قسمين:

القسم الأول: وهم أشخاص مألوفين أي أبنائها، والبيت، وهي نفسها، وهنا هؤلاء الأشخاص يمثلون أنفسهم، وفي هذه الحالة فإن معنى الحلم يتوقف على ما يفعله الشخص وما يقوم به في الحلم نفسه، كما يتوقف الأمر كذلك على ما تقوم به هي نحوهم أو نحو أبنائها وما تفعله في الحلم ، وهو الحماية دائما.

والجو العام للحلم إنما يعكس الموقف العام الذي كانت فيه الحالمة ويرتبط ذلك بالأحاسيس والمشاعر والأفكار العامة التي دارت مع الشخصية الثانية الغير معروفة في الحلم، ففي الجزء الاول، المعنى واضح ومباشر وهو خوفها على أبنائها من الآخر.

أما **القسم الثاني**: فهي المرأة الغير معروفة والتي ظهرت في الحلم وأرادت أخذ أبنائها منها، وهنا تظهر المشاعر الخفية والاضطرابات النفسية التي تمر بها هذه المرأة، بحيث أنه رغم أنها تحصلت على الطلاق من زوجها، واحتفظت بالمسكن وأبنائها، إلا انها لم تستطع بعد نسيان تماما الخيانة الزوجية، وإن كان حسبها انتهت بانتهاء علاقتها بزوجها أي بحدوث الطلاق.

فالمشكل قد انتهى ظاهريا، لكن رواسبه بقيت منغمسة في وعيها وعقلها الباطني أو اللاوعي.

فالمرأة الموجودة في الحلم إنما تعكس المرأة التي خانها زوجها معها، ومحاولة ضربها بالسكين، إنما تعكس المشاعر الانتقامية تجاه زوجها وهو من الدلالات الغير سارة في الحلم والتي يشار إليها في التحليل النفسي أي– محاولة طعن الشخص من الخلف– إلى محاولة إخفاء مشاعر الكراهية والعداء تجاه الشخص الآخر، وهنا زوجها . كما أن ظهور رمز السرقة في كلا الحلمين أي الحلم الأول والثاني فإنه يدل على الخوف من فقدان أغلى شيء عندها وهم أبناؤها فالصورة جاءت واضحة في الحلم الأول اي رجل يسرق أطفالها وفي الحلم الثاني محاولة امرأة سرقة أحد أطفالها، وفي كلا الحلمين تظهر مشاعر الخوف من فقدان ما تبقى لها من هذا الزواج وهم الأطفال.

إذن خلاصة القول أن هذه الشخصية يمكن القول عنها أنها شخصية عدوانية سلبية ونقصد بذلك أنه لديها عدوانا كامنا لا تستطيع أن تعبر عنه مباشرة فتلجأ إلى الطريق السلبي الخفي والغير مباشر للتعبير عنه، والتي أهمها الأحلام.

وهنا ما ينصح به في هذه الحالة هو المتابعة النفسية من أجل التفريغ وإظهار المكبوتات والمشاعر العدوانية ، وبعدها محاولة إدماج الحالة مع الوضع الجديد والتأقلم معه.

كما أنه من التقنيات الهامة لمثل هذه الحالة هو إدماجها في العلاج الجماعي والأهم هو التمثيل على هيأة دراما نفسية psychodrama ، وذلك بأن تقوم بتمثيل الدور المنتقم من زوجها عن طريق ضرب مثلا وسادة في غرفة بعود كبير من أجل عملية التفريغ ثم تتابع فيما بعدها طرق العلاج التي ذكرت سابقا أي المتابعة النفسية الفردية والجماعية.

هذا فيما يخص محتوى أحلام المرأة المطلقة والمقيمة بالمدينة أما عن أحلام فئة النساء المطلقات والمقيمات بالريف فهي لا تختلف عنها من حيث الظاهر والتكرار، إلا أنه يلاحظ أن رموزه واضحة وغير مشوشة ومفهومة، كما أن الفئة مهتمة بالأحلام وتفسيراتها وربطها بمختلف الأحداث والأمور التي تحدث لهن إضافة إلى الإشارة لما قد يحدث مستقبلا عن طريقها (أي الأحلام التي يحلمنها) أو عن طريق أحلام الآخر لهن.

فمن هذه الأحلام لدينا حلم هذه السيدة التي تلبغ من العمر 42 سنة والتي كذلك عانت مجموعة من المشاكل مع زوجها انتهت بالطلاق وهي أم لطفلين الأول ذكر وهو ابن أربع عشر سنة، بحيث يدرس بالسنة الثالثة متوسط، أما الثاني فهي طلفة ابنة الثامنة وتدرس بالسنة الثانية ابتدائي.

الحالة ماكثة بالبيت وكان زوجها يشتغل بمصنع لإنتاج الزيوت بدخل جيد، وتذكر لنا عن أسباب طلاقها أنها تعرضت مرارا لعملية العنف من زوجها كما أنه سكير وفي بعض الأحيان لا يعود إلى البيت على مدار الأسبوع، وكان كثيرا السفر، كما تؤكد الحالة أنه كان يهجرها بالأسابيع والأشهر ومؤخرا أكثر من سنة...وتشير الحالة إلى أن زوجها كان مؤخرا يرغب الزواج بأخرى وهي عاملة معه في المصنع...وعلى إثر هذه الظروف والأحداث

طلبت الحالة الطلاق من زوجها والذي لم يتردد إطلاقا، كما أن القاضي حكم في صالحها من الجلسة الأولى بحكم هجرها وتواجد علامات على جسد الحالة من أثر الضرب...

ومن بعض الأحلام التي ذكرتها لنا الحالة حلمها التالي: " كنت وحدي في غابة كثيفة بالأشجار وأنا أمشي سمعت صوت الماء وعندما حاولت أن أعرف مصدره سقطت في بركة من الوحل وأنا أغرق شيئا فشيئا وبدأت بالصراخ والصراخ وخائفة من أن يصل الوحل إلى فمي ولا أستطيع التنفس وبالتالي أموت وفجأة وقف رجل بجانب البركة وهو كبير في السن ويرتدي ثيابا بيضاء وبيده مظلة فأمدني بطرف المظلة ورفعني نحو الأعلى بقوة حتى أنني ارتميت بالسماء وفجأة انفتحت المظلة وشعرت وكأنني أطير نعم شعرت بأنني أطير حتى استيقظت".

فلو حاولنا أن نفكك رموز هذا الحلم عن طريق التحليل النفسي والذي احتوى على:

الغابة، بركة من الوحل، الغرق، الرجل القوي والكبير السن، الثياب البيضاء التي يرتديها، المظلة، الشعور بالطيران، فإننا نجد حسب التحليل النفسي [1]:

* **الغابة**: هي رمز الحياة وكل ما وجد فيها يفسر على حسب موقفنا منه فإذا كانت به حيوانات مفترسة فسرت بالخطر والمصاعب، وإن كانت بها أشياء جميلة دلت على الراحة والاستئناس والاطمئنان وعلى مواصلة الطريق.

* **بركة الوحل**: طبيعة المصاعب التي يتلقاها الإنسان، كما تشير إلى الحالة النفسية والذهنية لصاحبها وحالة الكآبة ونظرة الشخص لنفسه وموقفه من الآخر.

* **الغرق**: يدور معنى هذا الرمز حول المعاناة العاطفية من بعض القضايا وامور الحياة، كما تشير إلى أن الشخص الغارق يغرق في المشاكل والمصاعب.

* **الرجل القوي والكبير في السن**: يدل على إنسان حكيم وخبير.

* **اللون الأبيض في الثياب**: هي رمز للتفاؤل.

[1] – انظر كتاب عالم الأحلام، تفسير الاشارات والرموز للدكتور سليمان الدليمي.

* **المظلة**: ظهورها في الحلم يدل على الحاجة للحماية الدائمة من خطر محتمل كالتجريح الكلامي ، التجريح في المشاعر.

* **الطيران أو الشعور به**: هو دلالة على الرغبة في الحرية والانعتاق ، كما أنه يدل على الحاجة إلى الإشباع الجنسي.

إذن و بعد تفكيكنا لرموز هذا الحلم حسب نظرة علم النفس بقي لنا أن نقوم بقراءته والربط بينه وبين الأحداث التي مرت وتمر بها الحالة.

فالحلم وإن احتوى على رموز متنوعة إلا أنها في عموميتها مفهومة وتشير إلى الحياة والجو العام الذي عاشته هذه المرأة المطلقة ونوع المعاناة، حيث أشارت رموز الحلم إلى نوعين من الصراعات:

الصراع الأول: وهو خاص بها وبمعاناتها المريرة التي مرت بها وهي مع زوجها بحيث أن ما ظهر في الحلم كان تعبيرا عن عدم الثقة والطمأنينة ونوع الصعوبات التي مرت بها، إضافة إلى شعورها بالإحباط والرغبة في الحرية والانعتاق والبحث عن الحل البديل .

وما يقابل ذلك في الحلم هو تواجدها في الغابة أي مسار حياتها مع زوجها وفجأة ظهر في الحلم بركة من الوحل وكإشارة قبل ذلك تذكر الحالمة أنها سمعت صوت الماء في الحلم ولكن عندما بحثت عنه وجدت بركة من الوحل وهذا وإن كان غير ظاهر في الحلم إلا أن الماء يشير في الحلم إلى الحياة نفسها وإلى البحث عن الأهداف والغايات، وفجأة تحول هذا الماء إلى وحل وهي تغرق فيه ، وهنا إشارة إلى تحول هذه الحياة الزوجية إلى جحيم وإلى ذروة اليأس والفشل.

أما الصراع الثاني: وهو الموقف الذي ظهر فيه الرجل الكبير في السن وحاول إنقاذها حتى أنها حاولت الطيران بواسطة الاداة المستعملة للإنقاذ والتي هي في الحلم المظلة.

معنى ذلك أن المرأة هذه بعد تلك المعاناة كلها، اتخذت قرارا حاسما في حياتها وهو الطلاق وتخليص نفسها ومصيرها من المعاناة التي سببها لها هذا الزواج.

ولكن وقعت في مشكل آخر ومعاناة أخرى، وهي المعاناة النفسية بعد الطلاق، خاصة وأن الحالة أفادتنا بأن أمها توفيت قبل طلاقها وأعاد أبوها الزواج والإنجاب ، وبعد

طلاقها عانت بعض المشاكل مع زوجة أبيها وهو ما جعلها محدودة العلاقات الخارجية مع الناس ومع أهلها والتفكير فقط في الاهتمام بأبنائها وبمستقبلهم.

وعليه نخلص من خلال تحليلنا لرموز الحلم والربط مع الظروف النفسية والاجتماعية للحالة على أن هذه المرأة تعاني من اكتئاب نفسي وفراغ عاطفي سببه الإحساس بالفراغ والحرمان ، فهي تعيش صراعا نفسيا وتكلف نفسها الكثير، بحيث تخفي احتياجها الطبيعي بتواجد الرجل في حياتها مع إظهار العكس مما يشكل ضغطا نفسيا لا مبرر له.

كما أنها كانت تحاول أن تثبت إمكانياتها العيش في توازن نفسي بدون وجود الرجل في حياتها ، فقد عانت الهجر منه في الفترات الأخيرة قبل الطلاق في مدد زمنية طويلة ، تلحق السنة في بعض الأحيان وهو ما أوقعها في الفراغ العاطفي الذي وفي حقيقة الأمر كان قبل الطلاق.

إن الحالة النفسية للمرأة المطلقة مشكلة عويصة للغاية لا تنتهي في الحياة اليومية فقط وإنما تمتد حتى بعد النوم، لتظهر في شكل رموز في الأحلام وتوضح نوع المعاناة التي تشعر بها هذه الأخيرة.

فإن كانت رقابة نفسها وضميرها والمجتمع تمنعها من إظهار بعض المشاعر فإن في الأحلام لا توجد حواجز ولا قيود وهو المتنفس الوحيد الذي بواسطته تعبر هذه الأخيرة بدون إلقاء اللوم عليها.

إذن وبعد تحليلنا لأحلام المطلقات سواء كان بالريف أو المدينة فإننا نخلص في الأخير إلى أن المعاناة النفسية تؤثر على مجرى الأحلام وتتخللها من خلال الرموز التي تظهر، وللثقافة دور كبير في ذلك.

فالمرأة المطلقة والمتواجدة بالمدينة تحاول أن تتغلب على الصراعات النفسية عن طريق العمل والكفاح لأجل أبنائها ، والمرأة المطلقة الريفية تسعى إلى كبت مشاعرها وعواطفها على حساب نفسها وأهلها والمجتمع الذي تعيش فيه.

وكلاهما يقعان في صدمة و مشكلة نفسية عميقة بعد الطلاق يضطرب فيها الوجدان، فينتج عنه القلق الشديد والتوتر المرتفع والاكتئاب ومشاعر الدنب والعدوانية وقد

يصل إلى درجة عدم الرضا عن النفس أو عدم الرضا بالحياة وكل هذا يؤثر على التفكير واضطرابه واضطراب النوم و الأحلام وتشويشها.

5- محتوى أحلام بعض الاضطرابات النفسية:

أ- حالات تعاني من الإكتئاب النفسي:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الاكتئاب النفسي ومحتوى أو مضمون الأحلام حيث يتم البحث عن :

هل المحتوى الظاهر لأحلام هذه العينة بمختلف تقسيماتها يختلف عن محتوى أحلام الأشخاص العاديين الذي لا يعانون من أمراض نفسية؟

وعلى إثر ذلك تم الحصول على عينة بحث تتكون من 14 شخص يعانون من الاكتئاب النفسي ، أين تم التوصل إليها عن طريق زملاء أخصائيين في علم النفس وكذا أطباء عقليين وأساتذة جامعيين من نفس التخصص وهم:

6 نساء يعانين من الاكتئاب النفسي وهن في سن اليأس ، و4 رجال يعانون من الاكتئاب النفسي الحاد ، بحيث 2 منهم لديهم ميول انتحارية بينما الاثنين المتبقين لديهم اكتئاب نفسي ولكن لم يظهروا أو يعانوا من السلوك الانتحاري.

بينما الأربعة المتبقية فهم طلاب جامعيين يدرسون بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية و الذي من خلال تدريسنا لهم عبر مقياس علم النفس ، تم التعرف عليهم (خلال السنة الجامعية الماضية والحالية 2011- 2012) وتم الاتصال بهم وإجراء مقابلة معهم ، حيث طلب منهم تسجيل أحلامهم الماضية التي يتذكرونها والحاضرة والمتكررة والكوابيس المزعجة في فترة زمنية قدرها 15 يوما.

هؤلاء الطلبة اثنان منهم ذكور وهما في السنة الثانية جامعي تخصص علم النفس بينما الاثنان المتبقيان هما طالبتان وتدرسان في السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية.

وعلى إثر ذلك تم هذا التقسيم النهائي لهذه الحالات إلى:

* أحلام نساء يعانين من الاكتئاب النفسي وهن في سن اليأس.
* أحلام رجال يعانون من الاكتئاب سواء أقبلوا أو لم يقبلوا على عمليات انتحارية.
* أحلام طلاب جامعيين يعانون من الاكتئاب النفسي البسيط.

أولا: أحلام نساء يعانين من الاكتئاب وهن في سن اليأس.

1- سبب اختيار الباحثة لهذه العينة في هذه المرحلة (أي سن اليأس)

هو أن هذه المرحلة هي مرحلة انتقالية طبيعية للمرأة مثلها مثل بقية المراحل الأخرى كمرحلة المراهقة والبلوغ والحمل والولادة...إلّا أن العوامل الشخصية للمرأة ودوافعها النفسية في فترات حياتها المختلفة قبل هذا السن له أثر بالغ على هذه المرحلة، فالنساء اللائي يكن أكثر ثباتا في الأزمات والمواقف الصعبة بشكل عام يكون تأثير هذه المرحلة على حياتهم النفسية كبيرا.

ومن هذه المواقف الصعبة التي تعرضت لها هذه النسوة والتي كانت السبب المباشر في هذا الاكتئاب النفسي هو عدم الإنجاب والتأخر في سن الزواج وهو ما جعل سن اليأس عندهن أسرع وقبل النساء العاديات ، حيث أن هذه الفئة فقدت نهائيا فرصة الإنجاب بسبب توقف الطمث وعلى إثر هذه الرغبة الملحة في الإنجاب وتوقف الحيض عندهن ظهرت مجموعة من الاضطرابات النفسية والعصبية والتي انتهت بالاكتئاب النفسي عندهن.

2- **الهدف من الدراسة**:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن المحتوى الظاهري للأحلام عند هذه العينة فيما إذا كان يختلف ويضطرب أو يتأثر بسبب هذا المرض النفسي الحاد.

3- **أدوات البحث**:

وقد استعملنا في هذه الدراسة المقابلة الشخصية مع جميع الحلات أين تم التعرف اولا عليهن ، ثم الإلمام ببعض المجالات المرتبطة بهن كالسن الحالي أو سن الزواج ومكان الإقامة ومكانتها في الأسرة ثم بعدها قمنا بتسجيل أهم الأحلام التي يتذكرونها.

4- **النتائج وتفسيراتها**:

لقد أسفرت نتائج هذه المقابلات على أن النساء اللاتي يعانين من الاكتئاب النفسي وهن في سن اليأس يتميز محتوى حياتهن عامة بـ:

أولا: فقدان الحيض والذي يقابله فقدان القدرة على الإنجاب إضافة إلى الشعور بالإرهاق والإجهاد، والعصبية والنرفزة، وفقدان الشهية وعدم الرغبة في القيام بأي عمل حتى وإن كانت أعمال روتينية كأعمال البيت، وهذا ما أظهر لديهن حالات من القلق الشديد والتوتر والشكوك الوسواسية، واضطرابات النوم و بعض اضطرابات الأحلام وظهور الكوابيس.

إن هذه العلامات الأخيرة أي "اضطرابات النوم والاحلام" كظهور الكوابيس بصفة متكررة ، ظهرت بشكل كبير عند هده العينة بحيث أنهن يشكين من قلقهن منها إضافة إلى أنها تزيدهن اكتئابا لأنها تحول نومهن إلى معاناة أليمة فهي تدور دوما حول أحداث مخيفة تسبب لهن الإزعاج فتصحوا من نومهن بأحلام مزعجة ويستقبلن يومهن في حالات نفسية سيئة، ومن هذه الأحلام المزعجة والكوابيس لدينا:

الحلم الأول: "حلمت أني حملت على رأسي رجلا ثقيلا جدا وطلب مني أن أمشي في شارع طويل وبه ماء قدر ولم أستطع الاستمرار وبدأت أبكي ، ولم أستطع إكمال السير فسقطت في ذلك الماء القذر حتى استيقظت ".

الحلم الثاني:" لقد حلمت مرة أن مجموعة من النساء يردن الإلقاء بي من أعلى العمارة...ثم حلمت مرة أخرى أن نفس النساء حاولن أن يرمينني في السكة الحديدية ليمر فوقي القطار...ثم في مرة أخرى حلمت أن مجموعة من النساء الشريرات يحملنني من فوق سريري وأنا نائمة ويحاولن الإلقاء بي من نافذة البيت ".

الحلم الثالث: حلمت مرة أن رجلا أسود وطويلا وقبيح المنظر كان يلحق بي وأراد ضربي بحجر كبير فتعثر وسقط وهربت منه.

الحلم الرابع: حلمت أنني واقفة على حافة نافذة غرفتي وبينما أنا أغسلها تعثر رجلي وسقطت ، وحاولت الإمساك بحافة النافذة إلا أنني انزلقت وسقطت على الأرض وتكسرت، وانتشر الدم من حولي إلا أن عيناي كانتا تنظران إلى النساء وهن حولي يصرخن.

الحلم الخامس: كثيرا ما أرى في الحلم رجلا غريبا يحمل جرسا كبيرا ويضربه بقوة في بيتي حتى استيقظ من كثرة الإزعاج".

هذه جملة الأحلام المزعجة التي ذكرتها لنا هذه الفئة ويلاحظ عليها أنها تمثل قلق واضطراب والذي عادة ما ينتهي بالاستيقاظ والخوف من العودة إلى النوم.

أما ما يلاحظ على المحتوى الظاهري للأحلام ، فانه احتوى على رموز تشير إلى وجود رغبة لا شعورية في توجيه العدوان نحو الذات وتدميرها وكذلك بعض الصراعات الداخلية والشعور بالعجز وتقدير الذات المنخفض وخروج الأشياء عن نطاق السيطرة.

كما أن بعض الرموز فيها إشارة إلى الكآبة والاضطرابات وتوخي الحيطة والحذر وفقدان الثقة بالنفس وبالآخر والشعور بعدم القدرة على العطاء.

ويمكن القول أن هذه الفئة ومن خلال تحليل المحتوى الظاهري لأحلامهن وصلت إلى نهاية حياتهن المنتجة ، وبالتالي يمكن الوصول إلى حالة التفكير في الموت أو الفناء.

ثانيا: محتوى أحلام رجال يعانون من الإكتئاب.

تم الالتقاء بهذه العينة بالمستشفى الجامعي د.مصطفى دمرجي بتلمسان، بقسم الأمراض العقلية والنفسية، وكانت المقابلة جد صعبة، لأن هذه العينة لم ترغب في الكلام وكانت لديها مجموعة من الأفكار المشوشة وفي بعض الأحيان متقطعة، إلا أنه تم تسجيل بعض الملاحظات على العينة ومجموعة من الأحلام التي تم بإلحاح الحصول عليها.

فما تم ملاحظته على العينة أنها تعاني من قلة النوم الكافي واضطراب في النوم مما جعل محتوى أحلامها يتميز بالإزعاج والذعر، وما تم التوصل إليه فيما يخص أسباب ظهور الاكتئاب عند هذه الحالات المدروسة ، هو مرورها بتجارب سلبية في مختلف مراحل نموها والتي شملت:

* فقدان الوالدين قبل سن البلوغ.
* التعرض لتحرشات جنسية متكررة في سن الطفولة.
* الإسراف في تناول الكحوليات والإدمان على المخدرات.
* الفشل في إقامة علاقات ودية عاطفية والتي تنتهي دوما بالانفصال.

إن هذه الظروف التي مر بها هؤلاء والتي تعتبر من الأسباب الرئيسية لإصابتهم بالاكتئاب ، جعلتهم كذلك يعانون من اضطرابات في النوم وفي المحتوى الظاهري لأحلامهم حيث تم التوصل إلى مجموعة من الأحلام المزعجة وهي كالتالي:

الحلم الأول: "كنت نائما على السرير وحدي بالبيت وفجأة انقض على جسمي وحش أسود وبدأ يقطع بطني ويستخرج أحشائي وشعرت بألم كبير وبدأت أصرخ وأصرخ حتى استيقظت".

الحلم الثاني: لقد حلمت مؤخرا أنني كنت خارج البيت أنتظر أصدقائي وفجأة حل الظلام وشعرت بالخوف وفجأة رأيت مجموعة من القطط السوداء الكبيرة الحجم تقترب مني وعندما حاولت الهرب انقضت على جسمي فحاولت ضربها بكل قوة بيدي حتى استيقظت وقد وجدت نفسي حقا قد ضربت يدي بكل قوة مع طرف السرير".

الحلم الثالث: "كنت في شاطئ البحر أتفرج على أمواجه وفجأة رأيت شخصا يغرق ولما ذهبت لإنقاذه لم أجده وكان قد غرق كليا فلما حاولت العودة لم أستطع وأصبح الشاطئ بعيدا وبدأت بالغرق وشعرت بالموت والاختناق حتى استيقظت.

وقد وجدت نفسي أتصبب عرقا وأشعر بقلق شديد وبعد مرور مدة من الوقت عدت إلى النوم إلا أنني حلمت مرة أخرى حلما جد مخيف وهو" أنني كنت عائدا إلى البيت في وقت متأخر من الليل وكان الهدوء التام وفجأة وأنا في الشارع الأخير الذي يؤدي للبيت هجمت علي مجموعة من الكلاب وقطعت ملابسي وبدأت تمزق أطرافي وعلى إثر هذا الألم الشديد استيقظت وأنا جد مرهق ولم أعد أرغب في النوم بل صرت في بعض الأحيان أخف من النوم بسبب الكوابيس".

إن ما يلاحظ على هذه الأحلام المزعجة أنها سببت القلق الكبير والاضطراب الواضح والتي كلها انتهت بالاستيقاظ ، ويصاحبها مجموعة من التغيرات الفيزيولوجية كالارتعاش والتعرق والقلق الزائد وفي بعض الأحيان الاستجابات الفعلية والأرق والخوف من العودة إلى النوم مرة ثانية.

أما ما يلاحظ على المحتوى الظاهري لأحلام هؤلاء المكتئبين هو اتسامها بأفكار الموت والعنف الهدام خاصة نحو أنفسهم ، واليأس والتشاؤم والتقدير المنخفض نحو ذواتهم ،كما أنهم ومن خلال محتوى أحلامهم يظهر الشعور بعدم القدرة على إنجاز الأهداف ولديهم الميل إلى المبالغة في تضخيم أخطائهم والعوائق التي تتعرض لها حياتهم وملاحقتهم من طرف الآخرين ،كما يتضح من خلال هذه الأحلام الشعور بالذنب من طرف المجتمع أو الأصدقاء أو حتى الأسرة القريبة ويريدون الهروب منهم حتى ولو كان على حساب حياتهم ؛ أي عن طريق التفكير في الانتحار وهو أسوء الحالات.

كما يتضح من خلال محتوى بعض الأحلام العجز الجنسي وعدم الرغبة، ومشاكل جنسية ذات العلاقة بالأسباب النفسية ونقص الاندفاعية وعدم الثقة بالنفس.

ونخلص في الأخير إلى أن المدركات المعرفية للفرد المكتئب تسيطر عليها إفراط في الحساسية نحو جل الإدراكات المعرفية والتي تتم عن طريق تحديد الاستجابة العاطفية ونوعها في أحلام المكتئبين خاصة عندما تكون مفاهيم مشوشة وغير حقيقية.

ثالثا: أحلام طلاب جامعيين يعانون من الاكتئاب النفسي.

قمنا بهذه الدراسة على مجموعة من الطلاب الجامعيين وعددهم كما تم الإشارة سابقا 4 طلاب يعانون من الاكتئاب 2 منهم ذكور و 2 المتبقية إناث .

وقد قسمنا هذا العمل إلى قسمين العمل الأول وهو مقابلة هذه الفئة وتسجيل معلومات حولهم ، كمرحلة الطفولة وسنوات التعليم والحوادث والأمراض التي مروا بها والحقل الجنسي وموقعهم من الأسرة وخصوصيات نومهم وأحلامهم ، ثم في المرحلة الثانية طلب من العينة تسجيل محتوى أحلامهم لمدة 15 يوما على التوالي كيف ما كانت.

وبعد إجراء المقابلة والتحصيل على المعلومات التي تفيد بحثنا قسمنا هذه العينة إلى قسمين:

قسم يحتوي مضمون أحلام الطلاب المكتئبين (ذكور) وقسم يحتوي مضمون أحلام الطالبات المكتئبات (إناث) حيث خلصنا بعد المقابلة وجمع الأحلام التي طلب تدوينها من طرفهم إلى النتائج التالية:

معظم الاحلام التي تم تدوينها تدور حول مواضيع قلقة وحول الامتحانات والعجز والصراعات العائلية وكذا حول مواقف العقاب ، كما نجد أن الشك والمتابعة يظهر بوضوح في محتويات أحلامهم ، ومما هو ملاحظ على العينتين انه لا توجد فروق من حيث أنواع الرموز المبينة فكلها تقريبا تشير إلى قلقهم وخوفهم وكذلك الشكوك التي تراودهم إضافة إلى الانطواء ، وهو الملاحظ على جميع الحالات ولتوضيح أكثر نعرض بعض الأحلام:

الحلم الأول:" كثيرا ما أحلم أنني في فترة الامتحانات وأصل متأخرة بحيث أجد كل الطلاب قد شرعوا في الإجابة عن الأسئلة وعندما تسلم لي ورقة الأسئلة أجد نفسي عاجزة عن قراءتها من شدة التعب وتحاول صديقاتي مساعدتي فينتهي الوقت".

الحلم الثاني:" حلمت بأنّ عائلتي كلها مجتمعة بالصالون وأنا وحدي في الغرفة أراجع دروسي وكانت نافذة غرفتي مفتوحة لأن الحر شديد وفجأة رأيت شيئا غريبا ومخيفا يحاول الهجوم علي وبدأت أصرخ لكن عائلتي لم تسمعني حتى استيقظت".

الحلم الثالث: "حلمت مرة بأنني كنت خارج من الإقامة الجامعية ومتجه إلى الجامعة باكرا لأنجز بحوثي، وعندما وصلت إلى الباب الخارجي للإقامة وجدت مجموعة من الأشخاص لا أعرفهم ووجوههم مخيفة ينتظرونني فحاولت الهروب منهم إلا أنهم ألحقوا بي ووضعوني في سيارة سوداء وانطلقت السيارة بكل سرعة وبصوت مخيف ولكن حاولت الهرب من الباب وعندما فتحته سقطت بالأرض وتألمت كثيرا ".

الحلم الرابع:" أتذكر يوما أنني قمت فزعا من نومي لأنني حلمت بتواجدي أمام شاطئ البحر ، وبينما أنا جالس على صخرة حتى بدأت أغوص في الرمل وعندما حاولت النهوض لم أستطع وانغمست في الرمل والماء ، فجأة انتزعت مني ملابسي وصرت عاريا وخفت أن يراني الناس وأنا عارٍ ولكن بدأت أصرخ وأصرخ ولم يسمعني أحد وشعرت بثقل ذلك الرمل المبلل على صدري حتى اختنقت واستيقظت من شدة الاختناق".

هذه بعض الأحلام التي تم تسجيلها من بين الكثير من الأحلام التي ذكرت لنا من طرف هؤلاء الطلبة، حيث أن الحلمين الأولين خاصين بالطالبتين الجامعيتين المكتئبتين أما الاثنين الآخرين أي الثالث والرابع فهما للطالبين الجامعيين المكتئبين.

فما يلاحظ على المحتوى الظاهري للحلم الاول هو أن الطالبة الجامعية هذه تعاني من القلق النفسي تجاه المواقف الدراسية إضافة إلى الشعور بالعجز والخوف من الرسوب وما لاحظناه عليها أثناء المقابلة هو ممارستها لعملية قضم الأظافر والتي صاحبتها من الطفولة وتزداد حدة كلما تعرضت لمواقف القلق والتوتر ، إضافة إلى أن الحالة ذكرت لنا مجموعة من المواقف التي تعرضت لها في الصغر حيث من الذكريات الهامة المؤلمة التي تعرضت لها هو تعرضها للضرب الشديد من طرف أمها بواسطة عود لأنها رسبت في سنتها الدراسية وعلى إثر ذلك أصبحت الحالة تعاني خوفا شديدا من الرسوب وقلة النوم خاصة في فترة الامتحانات وظهور بعض الكوابيس وهذا كله خوفا من أسرتها ومن الرسوب الجامعي وتعرضها للعقاب.

*<u>**أما الحلم الثاني**</u>: فيشير إلى عدم التوافق بين الحالة وأسرتها وإلى عدم الاهتمام واللامبالاة بحيث أن عائلتها تركتها تصارع كل المواقف لوحدها وتخلت عنها ولم تمدها بيد المساعدة وللإشارة فإن الحالة أمها متوفاة وهي الابنة الوحيدة لهما ، ثم أعاد أبوها الزواج ولها إخوة إلا أنها لا تشاركهم معظم نشاطاتهم وتفضل في كل الأحوال الانطواء والانزواء في غرفتها. وهو إشارة إلى أن الحالة تعاني من فراغ عاطفي كبير وانقطاع الحالة عن جميع وظائفها في الأسرة وعدم مشاركتها لهم فيها، وهو ما يشعرها دائما بالوحدة التامة وأنها تصارع هذه الحياة لوحدها بجميع مواقفها الإيجابية والسلبية.

*<u>**أما الحلم الثالث**</u>: فهو إشارة إلى بعض الصراعات الداخلية التي يعيشها الطالب كما يرمز إلى المعاناة والقلق تجاه دراسته إضافة إلى بعض العدوانية تجاه الآخر وهو يتفق مع ما جاء في المقابلة ، حيث أن هذا الطالب يشير إلى عدم سعادته مع أصدقائه في الحي الجامعي كما يشير إلى أنه لا يتوافق مع بعض زملائه الطلاب في الجامعة بسبب أفكارهم

المختلفة ولهذا هو يفضل الوحدة والابتعاد عنهم أفضل من التقرب منهم والاختلاف معهم.

* **أما الحلم الرابع**: ففيه إشارة إلى مدى الصراعات النفسية التي يعاني منها الطالب والتي هي تبين رغبات الهو ومتطلبات الأنا الأعلى في المجال الجنسي وربما تشير إلى الرغبة في الإشباع الجنسي، ونشير إلى أن هذا الطالب ومن خلال المقابلة فإن لديه أخوة ذكور فقط وهو أصغرهم وأنه حاول التلميح إلى أنه منبوذ من طرف زميلاته الطالبات بسبب شكله، وهذا ما جعله يبتعد عنهم ويفشل في جميع محاولات التقرب منهن ، وما يقابل ذلك في الحلم هو تجرده من الملابس حين الغرق وصعوبة التنفس والشعور بالاختناق بسبب تواجد الرمل المبلل فوق صدره.

وكخلاصة عامة لجميع الحالات المدروسة فإن هذه الفئة من الطلاب المكتئبين نفسيا ، سواء كانوا ذكورا أم إناثا لا يلاحظ عليهم فروقات من حيث المحتوى الظاهري للحلم بل وعلى العكس فقد اشتركت عندهم مجموعة من الأعراض كالصراعات النفسية والقلق والخوف والشعور بالعجز إضافة إلى الانسحاب وبعض الصراعات بين متطلبات الحياة ورغبات الهو، كما يظهر العدوان في أحيان كثيرة سواء نحو الذات أو نحو الآخر، كما تظهر بعض الرغبات الجنسية المكبوتة في بعض الرموز ودلالاتها.

ب – خلاصة عامة للحالات المدروسة:

إذن من خلال هذه المقابلات التي أجريناها مع مختلف الحالات سواء المطلقات حديثا باختلاف ظروفهن وإقامتهن، أو سواء حالات تعاني من بعض الاضطرابات النفسية الحادة كالنساء اللاتي يعانين من الاكتئاب النفسي وهن في سن اليأس، أو الرجال الذين أظهروا سلوكات انتحارية من خلال الاكتئاب النفسي والعقلي الحاد، إضافة إلى الطلاب الجامعيين الذين لديهم سلوكات إكتئابية فإننا نخلص إلى أن:

الحلم هو التشخيص والتعبير الحقيقي عما يدور في عقلنا الباطن أو الظاهر وهو عبارة عن انعكاس لما يزعجنا، أو لما نأمل فيه، كما أنه يمكن للحلم أن يكون الحدس والحل والعلاج، وما تقوله أحلامنا هو عبارة عن توضيح لحقائق كثيرة عن النفس سواء في حالة السواء أو في حالة المرض، ولكن أكثر من ذلك في حالة المرض وخصوصا أثناء المعاناة في مواجهة المواقف الصعاب والمشاكل والأزمات.

فالحلم هنا يتحول إلى انعكاس لفكر الإنسان وعواطفه وميوله واهتماماته ومشاكله ومنازعاته.

إن الحلم أصبح يمثل جزء من الطريقة التي نفكر بها في تفاعلنا مع المواقف الخارجية وإلّا لما كان هناك حق في إبداع الرؤى والأحلام والخيالات ، خاصة عندما تتعكر صفوا حياتنا النفسية والعقلية والاجتماعية، وتتخللها الآلام والمعاناة، وينعكس كل ذلك على مجرى أحداث أحلامنا وتصبح تعبيرا عن حقائق لا مهرب منها وعن آمال وألام وتكهنات ورؤى تواصلية.

6- تحليل النتائج العامة للبحث:

تجربة الحلم هي من بين الظواهر التي استرعت انتباه مختلف الشرائح والفئات التي قصدناها في مجتمع البحث، ولقد لاحظنا أنها استحوذت على أذهان وعقول وقلوب الكثير من الفئات وبدرجات متفاوتة تبعا لتعدد وتنوع طرق تفسيرها وتحليل أسباب ظهورها، وتزداد قيمتها بزيادة معناها وأهميتها في حياة صاحبها والوظيفة التي تؤديها.

فالأحلام في هذا الشق من الدراسة تناولناها كتجربة نفسية خالصة وفق حالات متنوعة وظروف مختلفة وثقافات متعددة ومستويات متباينة، كما تناولناها مابين حالات في السواء، وحالات في المرض، وكان الهدف العام هو إظهار الوظيفة والدور الذي تلعبه هذه الظاهرة في حياة بني البشر. فاضطررنا إلى ربط محتوى هذه الظاهرة بالماضي كما جاءت إشارات إلى ربطها بالمستقبل وكثيرا ما كانت لها علاقات بالأحداث اليومية وفي حالات كانت عبارة عن رموز وإشارات لبعض الاضطرابات النفسية وحتى العقلية، وكل ذلك يعني أن الأحلام مرتبطة بالإنسان في كل الأحوال والمواقف والظروف ولها فائدة إيضاحية وتبصيرية لما فات الفرد من انطباعات لم يشعر بها أثناء اليقظة.

كما تمكنه من الاتصال سواء مع الأشخاص العاديين أو الاتصال بالموتى، أو بالعالم الفوقي فهي بمثابة رحلة للإنسان من مكان لآخر ومن عالم لآخر. كما جاء تركيزنا من خلال هذا البحث على ما لهذه الظاهرة من فوائد نفسية كتحقيق بعض الرغبات والتنفيس عن بعض التوترات سواء كانت مكبوتة ولها زمن طويل على حدوثها، أو كان لها علاقة بالأحداث واليوميات المهنية أو الأسرية أو المجتمعية، وهي في هذا تساعد على التخفيض من حدة المشاكل التي تصادفنا في الحياة بصفة عامة وتكيفنا معها.

كما استطعنا من خلال تحليلنا لبعض الحالات وتفسيرنا لأحلامها أن نكشف أو نشخص ولو بقدر قليل بعض الاضطرابات النفسية، حيث أصبح هنا الحلم يمثل العرض النفسي الذي تعاني منه تلك الشخصية، او بطريقة أخرى أصبح يمثل الحلم ومختلف الصور والرموز التي تظهر فيه التشخيص الذي يفيدنا في فهم الحالة وبالتالي وعبر تتبع مختلف الأحلام يمكننا أن نتنبأ بمصير الحالة المرضية.

وفي هذا إثبات للنظرية التي تعتبر الحلم أداة للكشف عن الأمراض النفسية أو تثبيت لنظرية فرويد التي يعتمد عليها في علاج مختلف الحالات المرضية، حيث كان لها إسهامات خلاقة وأثر كبير في إحداث ثورة علمية في هذا الصدد من خلال تخليص دراسات الأحلام من الأفكار الميتافيزيقية والأسطورية والدينية وإسباغ التفسيرات العلمية على دراستها. ويمكن القول أن كل الدراسات السيكولوجية ذات علاقة بهذا الأمر ، ما هي إلا ردود أفعال لدراسات فرويد سواء بالقبول أو التعديل أو الرفض.

وبالرجوع إلى هذه الظاهرة المدروسة وبالذات في مجتمع بحثنا فقد لاحظنا أن تفسير الحلم ودلالاته تختلف باختلاف الظروف الاجتماعية للمبحوثين ، كما أن الاحلام في مجتمع البحث تستمد قيمتها ومعناها ووظيفتها من التراث الديني الإسلامي، وفي هذا الإطار تلعب شبكة العلاقات الاجتماعية وبناء الأسرة وطبيعتها دورا كبيرا في عملية الحلم والاعتقاد فيه وعملية تفسيره والسير على منهجه.

وبصفة عامة الحلم يلعب وظائف عديدة في حياة بعض شرائح مجتمع البحث، بحيث يقلل من ضغوطات ومشكلات الحياة ويساعد بعض الأفراد على التكيف مع الصدمات، كما قد يسهم في زيادة حدة بعض المشكلات من خلال ارتباطها ببعض المعتقدات الأخرى، كما أنه يساهم في التنبؤ بالمستقبل ويكشف بعض الأمور التي تتعلق بالغيبيات ويساهم في عملية الترقي والصعود بالنسبة لبعض الفئات، كما اعتبر أداة للاستمرارية والتواصل.

و قد استنتجنا أن مجتمع البحث على وجه الخصوص والمجتمع الجزائري على وجه العموم عن طريق زيادة انفتاحه على المجتمعات الأخرى عبر أجهزة استقبال الأقمار الصناعية أصبح يدرك بعض الحقائق العلمية لهذه الظاهرة ويستطيع تفسير بعض الرموز لوحده ، وذلك من خلال اطلاعه على القنوات الخاصة بهذه الظاهرة، وهي قنوات تهتم بتفسير وتأويل الأحلام، والتي ربما كان لها إسهام في الاختفاء التدريجي لفئة مفسري الأحلام في المجتمع، والتي لا ننكر أننا وجدنا صعوبة في العثور عليها.

إن تفسير الرسائل الحلمية وتأويل رموزها يستند في الكثير من أجزائه على الواقع الاجتماعي والثقافة المحلية والممارسات التي تعود إلى العادات والتقاليد الضاربة بجذورها في أعماق المجتمع، إلا أنها تلتقي في الكثير من الأحيان بالتفسيرات الدينية باعتبار أن الدين يشكل أحد أهم المعتقدات الأساسية في ثقافتنا المحلية.

كما أن الاعتقاد في الأحلام موجود لدى جميع الطبقات الاجتماعية وفي مختلف المستويات التعليمية، إلا أنه ينتشر بقوة في المناطق الريفية وهو اكثر انتشارا لدى النساء مقارنة بالرجال، وهذا يعود للخصوصية الثقافية التي تميز سكان الريف عن المدينة، وللطبيعة النسوية المتمثلة في الاهتمامات الغيبية، كما هو ملاحظ في الأوساط، عكس الرجال الذين هم أقل إيمانا وممارسة لهذه السلوكات إلا بعض الفئات الخاصة كرجل الدين أو المتصوفة، إلا أن هذا الاعتقاد وبصفة خاصة بدأ يتراجع نسبيا في أوساط المجتمع المختلفة ولاسيما في الفئات الثقافية التي يتسم سلوكها وتفكيرها بالطابع المادي، بحيث أنها تؤمن بالأحلام لكن لا تؤمن بتأثيرها على حياة صاحبها ولا بالأمور الغيبية التي قد تحدث للمرء عبر هذه الظاهرة، وهنا نخلص إلى أنه هناك ثقافات تنتزع انتزاعا روحيا وثقافات لها طابعها المادي واعتقادها الخاص بها.



خاتمة

خاتمة

الحلم ليس أمرا مستقلا عن سائر أحوال النفس في يقظتها بل هو يتصل بها أوثق الاتصال ويكون حلقة من حلقات الحياة النفسية، ومن الأهمية العظمى للأحلام أنها تعبر عن أمور لا يسعنا حتى مجرد الإحساس بها أثناء اليقظة وتحيطنا الاحلام بما عفا عليه الزمن من أحداث ، منها الخبرات الأولى فيبعثها أمام ناظرنا فتضع لنا الصلة بين ماضي الإنسان وحاضره حتى يمكن القول أن الأحلام هي الطريق الأمثل لاكتشاف النفس البشرية.

والأحلام هي ظاهرة طبيعية عند الإنسان تماما كالتنفس والحاجة إلى الطعام ووجودها عنده يدل على سلامته النفسية والجسمية، ويتمثل دورها أساسا في تحقيق التوازن النفسي، إذ هي عامل استقرار وتهدئة إزاء الكبت الذي يواجهه الإنسان في واقعه، أو هي حلول للهواجس التي تنتاب الإنسان فيجد حلا لمشاكله على الأقل في أثناء النوم.

وقد كتب أحد الباحثين الرومان كتابا عن الأحلام قبل أكثر من ألف عام، وهو مؤلف ضخم يحتوي على خمسة مجلدات يحمل عنوان "تفسير الأحلام" يظهر في هذا الكتاب أن الإنسان القديم في المراحل الأولى استطاع أن يؤكد أهمية الأحلام في الحياة اليومية وما تقدمه من رسائل تتعلق بالكثير من جوانب الشخصية وأنماط السلوك اليومي، وذلك قبل أن يستطيع التحليل النفسي في العصر الحديث من إثبات ذلك.

ثم بدأت تظهر وتتعدد المدارس العملية في هذا المجال بداية من فرويد الذي اهتم في عملية التحليل النفسي بتحليل الأحلام كوسيلة للوصول إلى أعماق اللاشعور والكشف عن أسراره ، إلى العالم "يونغ" الذي لم يوافق فرويد على تأويله مستندا في ذلك على أن العديد من الاحلام تتضمن أمور مؤلمة وأمورا مستقبلية، ثم بعده العالم "أدلر" الذي ربط هذه الظاهرة بمختلف الظواهر التي تحدث من حول المرء، واعتبر أن الحلم محاولة لحل مشاكل الحياة.

و واصل العالم "فروم" في هذا الطريق وأضاف أن الأحلام تعكس العناصر المعقولة والعناصر الغير معقولة من الشخصية في نفس الوقت.

ولم يكن تفسير الأحلام وتحليلها قاصرا على علماء الغرب فقط بل ذاع صيت كثير من العلماء العرب في ذلك المجال فهناك من الأنبياء والرسل من كانت لهم في هذا المجال رؤيا محكمة في التأويل وصدق الرؤى كسيدنا إبراهيم ويعقوب ويوسف وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن الصحابة الكثير من المعبرين والمفسرين الذين كانت لهم إسهامات في تعبير الرؤى، كما اشتهر مفسرون ومحللون بمؤلفات ذائعة الصيت في هذا المجال كابن سيرين والنابلسي والدينوري وغيرهم الكثير ممن كان لهم باعا طويلا فيما سمي "بتعبير الرؤيا" على اعتبار ان الرؤى والأحلام تعطي صورة عن كيان الإنسان الخفي وحقيقته الروحية والنفسية وهي صورة لمعدنه وجوهره، وذهبوا إلى أن الأحلام هي كوامن الإنسان الخاصة التي لا يريد أن يطلع عليها أحد لأنها أسراره وخصوصياته إلا إذا رغب هو في ذلك، فالضمير الباطني يضغط عليها ليجعلها في طي السرية الكامنة والكتمان، وهذا النوع من الأحلام له قيمة علمية في نظر التحليل النفسي وعلماء النفس، حيث بواسطتها يمكن اكتشاف حقيقة المرء وتعيين الجذور الأصلية لمتاعبه النفسية وانحرافاته الخفية.

ومن جهة أخرى انتهت الأبحاث البيولوجية والفسيولوجية إلى أن الأحلام تؤدي العديد من الوظائف مثل التكيف والتثبيت والملاذ ودعم الذكريات الهامة أو نسيان الأحداث التي ليس لها قيمة، وقد تناولتها الأبحاث كذلك من خلال دورها الشبه العلاجي وعلاج بعض الاضطرابات والتكيف مع الضغوطات التي يتعرض لها الإنسان وتقوية دور الجهاز العصبي في التعامل مع الخبرات والتجارب المختلفة.

كل هذه الأبحاث التي ذكرت وأجريت على ظاهرة الأحلام قمنا بتحليلها ودراستها بل إثباتها من خلال الفصول الميدانية و البحث على العينة المدروسة، كما ساهم بحثنا ومن خلال احتكاكنا بالعينة المدروسة في توضيح بعض المفاهيم الخاصة بالأحلام لدى العوام من الناس وتوضيح العلاقات بين محتوى الأحلام والظروف الاجتماعية المختلفة للحالمين سواء من ناحية السن أو الجنس أو المهنة أو التعليم أو درجة التدين....

وكان لهذا الأخير أي مجتمع البحث دور كبير كذلك في إثراء محتوى عملنا بحيث ورغم الصعوبات التي يتلقاها كل باحث في مجال البحث الميداني إلا اننا ومن خلال

المقابلات وجمع وتحليل الاستمارات ومعايشة بعض الأحداث كالنساء المطلقات مثلا أو عالم الشيخوخة أو عالم الصوفية...وغيرها من فئات مجتمع البحث، فقد أعطتنا دافعا قويا وحافزا كبيرا، بل أفكارا كانت غائبة عن أذهاننا في تحليل وتوجيه خطة البحث الميداني، كما لا ننكر أنه ومن خلال العمل الذي شمل دراسة ظاهرة إنسانية يتميز كل إنسان بها منذ ولادته حتى وفاته، سمحت لنا بمعرفة ورؤية الإنسان من نفس الزاوية التي رآه فيها ابن عربي في مخاطبته للإنسان:

دواؤك منك وما تُبصر

وداؤك فيك وما تشعر

وتحسب نفسك جرما صغيرا

وفيك انطوى العالم الأكبر

لقد خطت الباحثة من أجل تحقيق هدف البحث وحصر وتحديد أبرز المعالم التي تم تناولها عدة طرق واعتمدت على عدة تقنيات ، بغية الوصول إلى أهم النتائج المتوصل إليها من وراء هذه المحاولة المتواضعة التي نأمل أن تكون قد أزاحت الستار عن بعض المفاهيم والحقائق الخاصة بهذه الظاهرة التي يعيشها كل فرد، أو ساهمت– على الأقل– في فتح باب الآفاق التي يمكن التطلع إليها من قبل الراغبين في اقتحام هذا الموضوع والغوص في أعماقه، وانطلاقا من هذا فقد بدا من خلال هذه الرحلة العلمية أن الأحلام حسب الباحثة، لو نظرنا إليها من الخارج لبدت لنا انعكاسا أو مرآة للحوادث الخارجية بصفة أساسية، لا باعتبارها حاصلة بمناسبة هذه الحوادث أو متوافقة معها، وإنما باعتبار أن أصلها كامن فيها، "وأنه لا يمكن فصل ما هو ظاهر في الحلم عن ما هو مخفي فيه، وعن ما يحدث من حول المرء"، فهذه ثلاثية تمشي مع بعضها إذا ما حاولنا فهم وتحليل الحلم بطريقة صحيحة ومن جميع الجوانب.

وقد كتب أحد علماء وظائف الأعضاء القدامى وهو "بُورْداخ" عن الحلم قائلا:

"إن الحلم ليس تكرارا لما يمر بنا في اليقظة من خير أو شر ومتعة وتقزز، بل العكس صحيح، فالأرجح أن الحلم يرمي إلى تفريغ عقلنا من كل هذه الانطباعات كي يوفر لنا الراحة من عبء شحنات اليقظة بما فيها من خير وشر" [1].

وبهذا فإن الإنسان في عالم الأحلام يتحدث مع نفسه وبطريقة لا شعورية عن شؤون حياته اليومية وتصريف كل أموره، دون أن يكون مدركا لذلك ، ولهذا نجد أن أغلب موضوعات الأحلام تكون حول العلاقات الاجتماعية للأشخاص ، ذلك أن الإنسان يقضي أغلب وقته في حالة تفاعل وبطرق شتى مع الآخرين، ولكن هناك الكثير من الأمور التي لا يدلي بها الفرد حتى لأقرب المقربين، وفي عالم الأحلام تتلاشى الحواجز والقيود بحيث تعبر الشخصية عن كل جوانبها المكبوتة الخاصة منها والعامة، وتظهر على شكل رسائل أثناء النوم.

بل قد توفر لنا هذه الرسائل الظاهرة في الحلم فرصة السفر مع الزمن إلى المستقبل بحيث يحمل الحلم هنا بعدا آخرا يرى فيه الإنسان أمورا قد تحدث في المستقبل، وليس غريبا على الإنسان أن يبحث عن الجوانب التنبؤية في الأحلام، ولكن ليس كل وجميع الأحلام تنطوي على بعد مستقبلي أو أنها تحمل إشارات وتكهنات لما يمكن أن يحدث في المستقبل.

ومع ذلك لا يمكننا أن ننكر أنها تقدم لنا في الكثير من الأحيان إجابات عن تساؤلات كانت تشغل بالنا في حياة اليقظة.

وقد أكد الكثير من الأدباء والعلماء والفنانين والمخترعين أنهم وجدوا في أحلامهم الإجابات والحلول اللازمة للعديد من المشكلات ذات العلاقة بطبيعة عملهم، وعلى اختلاف أنواعها ودرجة تعقيدها، وليس بالضرورة أن تكون النتيجة كما نريد، ونتوقع، ولكن قد تقدم لنا أفكارا أو مقترحات تتعلق بمشكلتنا أو قضيتنا فننظر لها من تلك الزاوية، ونلتمس الحل، وبالتالي يكون الحلم كمفتاح لذلك.

---

[1] سيغموند فرويد، "تعبير الأحلام"، تلخيص نظمي لوقا، كتاب الهلال، القاهرة، العدد 138، سنة 1972، ص14.

فكثيرا ما كان للحلم دور كبير في إخراج أكبر الأعمال الفنية أو الاختراعات العلمية أو تشريعات دينية كالآذان التي استمتعت به البشرية، وكتب لها التاريخ الخلود.

وفي الأخير ندعو إلى ما يلي :

1- إجراء أبحاث أنثروبولوجية دينية لظاهرة الأحلام في مختلف الثقافات.

2- التعاون العلمي الأكاديمي لدراسة الأحلام، فهي قاسم مشترك بين العديد من التخصصات مثل علم البيولوجيا والفسيولوجيا والطب النفسي، وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا.

3- إجراء دراسات وأبحاث حول أحلام الأطفال.

4- إجراء دراسات أنثروبولوجية و نفسية تتناول الكوابيس ومختلف اضطرابات النوم.

5- أبحاث علمية حول طبيعة أحلام المكفوفين.

6- إجراء دراسات نفسية حول محتوى أحلام جميع الأمراض النفسية.

7- تفعيل الدور العلاجي للأحلام في مختلف أمراض الشخصية لدى المستشفيات النفسية.

8- إجراء بحوث ودراسات حول أحلام ورؤى المتصوفة وأنواعها.